

العقد النفيس

فى نظم جواهر التدريس

لامام العلماء العاملين وواسطة عقد الاولياء
السالكين قطب العارفين وامام المتقين سيدنا
ومولانا الشريف الحسينى السيد أحمد بن ادريس
المغربى أعاد الله علينا من بركاته
وأمدنا بنفحاته

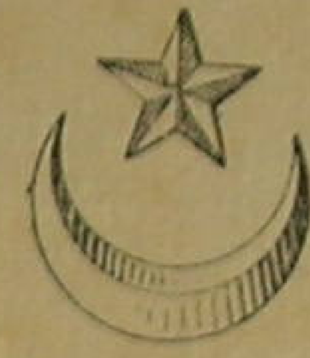


(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١٥

هجرية



(بسم الله الرحمن الرحيم)

بعد حمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الامين
وآله وأصحابه أجمعين فانى مقدم مقدمة بين يدى هذه الكراريس
يزول بها ان شاء الله عن قلبى صدأ التلبيس وهو أنى لما نظمتنى بحمد الله
تعالى يد عنايته فى عقد نظام التدريس وساقتنى سياط القدر الى حضرة
بانى ما اندرس من معالم الدين على أحسن تأسيس امام العلماء العاملين
وواسطة عقد الاولياء السالكين سيدى الامام الاعظم الشيخ الافخم
أحمد بن ادريس أعاد الله علينا من بركاته وتولى الله عنا مكافآته
وسلك بنا طريق أوليائه وألحقنا بصالحى أمة خاتم رسله وأنبيائه محمد
سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أردت ولله الامر
جميعا أن أثبت فى السطور وان لم أكن أهلا للتصدير ما أورد من فوائده
وأصدر ما صدر من شوارد مصادره وموارده لكن لما لم تكن لى أهلية
للغوص فى بحار بواطنه وتيار ظواهره لاستخراج جواهر أصدافه
وأصداف جواهره صرت أقدم رجلا وأؤخر أخرى ثم استخرت
فوجدت التحرير أولى وأحرى لتكمل ان شاء الله الفائدة وتعود
على الموصول العائدة ولأمر أقدمنى على ذلك وجرأنى على ما هنالك
وهو أنه رضى الله عنه بين أظهرنا نغدو اليه ونروح وبدره فى سماء

العلياء

العلياء على رؤس الاشهاد يلوح فاذا مثلت بين يديه وصرت واقفا لديه
عرضت عليه ما نقلته وأسمعته ما من كلامه عقلته فما أجازه ثبت فى
رق التحرير وما لم كشط عن صدوره ومحى عن التصدير أو نصلح ما أمر
باصلاحه أو باثبات أرواحه وتعويض أشباحه لانى لم أنقل منه
ما سمعته حال إملائه ولا اغترفت من زخاره حين إلقاء دلائه بل أضبط
بذهنى السقيم ما أمكننى من ابراز معانى عباراته وأسبكه فى قالب لفظ
ناقص عن لفظه بجميع جهاته فربما آتى بلفظ لا يعبر عن تلك المعانى
أولا يفى بها وربما شردتها عن مجتمعات سربها فتصديت لما قلت آنفا
مقرا بالتقصير عارفا مستعينا بعون المستعان متكلا على من عليه
التكلان (وسميتها العقد النفيس فى نظم جواهر التدريس لسيدى
أحمد بن ادريس) نفعنا الله به آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله الامين وآله الطاهرين
وصحبه أجمعين (وبعد) فهذا ابتداء الكلام على نقل ما سمعته
من الشيخ سيدى أحمد بن ادريس أزاح الله بشمس علمه ظلم التلبيس
وهدانا لاقتباس نور علمه ورزقنا حفظ ما قنص من شوارد المعانى
بشباك ذوقه السليم وفهمه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شئ عليم

(سئل) رضى الله عنه ما معنى الدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم رضنى بقضائك حتى لا أحب تأخير ما عجلت ولا تعجيل
ما أخرت (فاجاب) ان معناه التسليم لله تعالى حتى إن المصيبة العظيمة

تكون عند وقوعها أحب اليك من عدم وقوعها وان كانت النفس
لا تشتهي الا عدم وقوعها فان الخير لك في وقوعها باعتبار المآل فان الله
سبحانه لا يفعل الا ما يعود عليك نفعه فان المصائب مثلا مقدمات للنتائج
لو اطلعت عليهن لتمنيت وقوع المصيبة عند عدم وقوعها فان الله سبحانه
جعل الوجود خيرا من العدم فاوجدك من العدم بحيث لم يكن لك
اختيار فكن في الوجود كانك في العدم وربما منع عنك ما نفسك
وهواك يشتهيانه ولكن الخير لك في منعه ألا ترى أن الصبي ربما
أنس الى النار فسعى نحوها والمشفق عليه يدرؤه عنها فيبكي من ذلك المنع
ولكن لو علم أنها تحرقه حمد المانع له بعد سعيه اليها وذلك التسليم هو
الذي أوصى به ابراهيم بنيه ويعقوب حيث قال تعالى ووصى بها ابراهيم
بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون
ثم قال انظر الى تسليم أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه لما مرض المرضة
التي مات فيها قيل له هل نأتي لك بطبيب فقال الطبيب أمرضني يعني ان
الطبيب الاعظم وهو الله جل وعلا أمرضني فعلمت أن ذلك المرض عين
الطب ثم انظر الى ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام لم يسأل ربه
حين رماه النمروذ في النار بل لما تعرض له جبريل عليه السلام وهو في
الهواء قال ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما الى الله فبلى قال سل ربك قال
علمه بحالي يغني عن سؤالي فهذا غاية التسليم عند وقوع الحادثة وأما عند
كون الدعاء عبادة فدعاؤه عليه الصلاة والسلام كثير كما في قوله رب هب لي
حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني

من

من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم
يبعثون فتأمل موافقته للمقام ومطابقته للحال (ثم سئل) رضي الله
عنه ما الدليل على وجود الحق سبحانه وتعالى (فأجاب) أن انظر اذا خرجت
الى البر فرأيت هنالك خيمة أنت تعلم أن لها ناصبا لأنها لا تنصب نفسها
علما ضروريا كذلك تنظر الى خيمة السماء المرفوعة بلا عمد بهذا
الاتقان والاحكام فتعلم علما عقليا ضروريا أن لها ناصبا سبحانه وتعالى
وهو لا يتحيز جل وعلا في مكان وانظر الى السمن في اللبن لا يتحيز في جهة بل
هو في جميع أجزائه ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا
هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا (وسئل)
رضي الله عنه هل صح أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة (فأجاب) ان
ذلك من عند خلق آدم وأما الدنيا فلا يعلم ابتداء خلقها الا خالقها فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن عمره فقال لا أعلم غير أن
كوكبا يطلع في الحجاب الرابع في كل اثنين وسبعين ألف سنة مرة وقد
رأيته اثنين وسبعين ألف مرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعزة ربي
أنا ذلك الكوكب فسبحان العالم لا اله الا هو (وسئل) رضي الله عنه
عن القدر (فأجاب) أن لا يملك الانسان لنفسه نفعا ولا ضرا ويقول
الله تعالى في كتابه العزيز قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وقال تعالى ونحن
نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا وقال تعالى
حاكيا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام الذي خلقني فهو يهدين والذي هو
يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ثم لما نسب المرض الى نفسه
التي لا تنفع ولا تضر أعقبه بالدعاء بغفران ذلك الذنب فقال والذي أطمع

أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين وزعم بعض المفسرين أن الخطيئة هى أنه قال عليه الصلاة والسلام بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وهو كذب وليس كذلك فانه معصوم ولا يجوز عليه الكذب بل المعنى بل فعله كبيرهم وهو الله جل وعلا لانه اله الآلهة وهم مقرون بالحق جل وعلا ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فأجاب على ما عندهم مطابقة للمقام فقال بل فعله كبيرهم وقوله هذا مبتدأ محذوف الخبر أى هذا قولى فاسألوهم ان كانوا ينطقون ﴿وسئل﴾ رضى الله عنه عن قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الى اخرها (فأجاب) هم الذين يصلون وقلوبهم مشتغلة بغير الله سبحانه وتعالى انظر الى المصلى اذا توجه الى غير الكعبة هل تصح صلاته كذلك اذا توجه بقلبه الى غير الله تعالى بل توجهه بقلبه الى الله تعالى أحق من أن يتوجه بقالبه الى الكعبة فوصفهم سبحانه وتعالى بانهم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن يعنى يصلون بقوالبهم لا بقلوبهم ألا يراؤن والرياء هو الشرك نسأل الله السلامة والعافية ويمنعون الماعون وهو الاناء يعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم وخلق قلبه إناء له سبحانه وتعالى فمنعه وشغله بغيره وكذلك جميع الذات لم يخلقها الله تعالى الا ماعونا أى اناء لذكره وعبادته بدليل قوله سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لموسى واصطنعتك لنفسى فاذا منعتها مما خلقت له وشغلتها بغير ما خلقت له فأنت ممن يمنع الماعون وما فسر المفسرون فى الماعون داخل تحت هذا المعنى فان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما اشتد حبه ليوسف والقلب لا يسع الا الواحد فرقه عنه تأديباله ثم خفى عليه وهو فى الجب

بالقرب

بالقرب منه لما أراد أن يفرقه عنه وحين أراد اتصاله به وجد ريحه من مصر الى كنعان فسبحان القادر لا إله إلا هو وكذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما عظم فى قلبه حب اسمعيل وذلك لكونه بشر به وقد بلغه الكبر وامرأته عاقر فبلغ به الحب الى الغاية فبلاه الرب جل وعلا بذلك البلاء العظيم وهو ذبحه له فسلم غاية التسليم ثم فداه الله سبحانه بذبح عظيم وهذا كذلك لكون القلب لا يسع الا الواحد مع كونه قد عظم حب اسمعيل فابتلاه بذلك ليخلى قلبه له جل وعلا والذبيح اسمعيل بلا شك لا كما قيل هو اسحق لثلاثة أدلة الاول أن الله سبحانه وتعالى ذكر قصة الذبيح الى اخرها ثم قال وبشرناه باسحق وذلك الترتيب فى كتاب الله تعالى تقتضى الحكمة فيه ذلك الثانى أن اسحق لم ينقل أحد ولم يسمع أنه سكن مكة بخلاف اسمعيل فالنص القرآنى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل والذبح وقع بمنى الثالث أن الله سبحانه وتعالى بشر ابراهيم باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فى حالة واحدة ولو كان اسحق لما صح الابتلاء وهو يعلم أن فى صلبه يعقوب كما بشره الله به ﴿وسئل﴾ رضى الله عنه عن الحق تعالى هل يرى فقال نعم بلا كيفية وتتلاشى عند رؤيته الحواس فان رآه راه بجميعه وان سمعه سمعه بجميعه لا بجارحة فقط ولهذا قال ابن الفارض

اذا ما بدت ليلى فكلى أعين * وإن هى ناجتنى فكلى مسامع

﴿وسئل﴾ رضى الله عنه عن أهل الطريقة هل جميعهم عارفون بالشريعة ولا يفتون الا بها أم لا (فأجاب) أن منهم من يكون عالما ومن

لايكون انما العالم منهم يكون نطقه اذا فنى بالكتاب أو بالسنة والذى ليس بعالم قد يأتى بلفظ يصيب به المعنى المقصود من الشارع لكن بعض إصابة وقد يخطئ بذلك اللفظ المعنى الذى أراده الشارع لانه ليس بمعصوم اذ لا يكون معصوما الا كلام الله أو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال والفرق بين المعجزة من النبى والكرامة من الولى أن المعجزة تكون على جهة التحدى والاعجاز ليعلموا أن تلك المعجزة لا تدخل تحت طوق البشر وأما الكرامة فتنقسم الى قسمين باختيار الولى وبغير اختياره فالتى بالاختيار كشرب خالد بن الوليد رضى الله عنه للسم لانه رمى بقطرة من ذلك السم بعير فتفتتت أعضاؤه فتناول الاناء الذى فيه السم وشربه بجميعه والقوم ينظرون فهذه باختياره متيقنا أنه لا يضره لانه لو شربه غير متيقن أنه لا يضر كان آثما لان قتل النفس حرام وكما اتفق للشيخ محيى الدين بن العربى حين جاءه رجل يعتقد أن التأثيرات للطبائع فى الثمار وفى المخلوقات فدارت المذاكرة فى القاء النمروذ لابراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار فقال ذلك الرجل ليست النار هذه التى تحرق بالطبع انما هى نار الغضب وليس هناك نار تأجج فقال الشيخ محيى الدين أهذه النار التى تراها هى التى تحرق بالطبع قال نعم فقال لبعض أصحابه هات تلك النار ثم مدّ كمّ قميصه وقال ألقها على كم القميص فألقاها وجعل يحدث ساعة ثم كشف كمه واذا النار قد عادت فحما ولم تحرق شيأ من ثوبه ذلك فكانت سبب توبة ذلك الرجل وما أبداها الا لهذا الغرض اذ لو كانت على جهة التفاخر لكانت مذمومة عقلا وشرعا فان رجلا منهم جاء الى رجل يتصيد الحوت فى البحر ولكنه لم يقبض شيأ فأدخل ذلك الولى يده فى الماء فخرج فى كل شعرة من شعر يده

حوت فقال ذلك الصياد وهو منهم أتفخر علىّ ثم أومأ الى البحر أن هيا الرواح فجعل الماء يمشى بعده فكلا الرجلين بقيا زمانا يجاهدان فى أن يعودا الى الدرجة التى كانا فيها فما أمكن ﴿وسئل﴾ رضى الله عنه عن قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو قال العفو هو أن تعفو عمن أساء اليك واذا كنت كذلك فقد اتصفت بصفة من صفات الله تعالى فحقا عليه أن يعاملك بما اتصفت به سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم لا كما قيل من أن العفو هو ما فضل من القوت بل قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومنه ذلك العفو لانه أحب ما يكون الى الانسان سيما عند احتياجه اليه فى يوم القيامة والقرآن يخدم بعضه بعضا (وقال رضى الله عنه) إن كان اذا دخلت على اسم من أسماء الله تعالى فان عملت فى الاسم الرفع وفى الخبر النصب فلا تسمى ناقصة تأدبا انما يقال لها الحرف الرافع للاسم الناصب للخبر واذا لم تعمل سميت التامة وكذلك الذى تسميه النحاة زائدا لا يقال له فى القرآن زائد وليس بزائد بل تحته معنى نحو قوله تعالى حتى اذا ما جاؤها بقيت ماهنا النافية لتؤدى معنى وهو أن يبقى فى الاثبات شمّ من النفى لانهم ما جاؤها هم باختيارهم انما سيقوا اليها وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا فبقيت النافية لتؤدى هذا المعنى وكذلك قولهم فى قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله إنّ من هنا زائدة وليس كذلك تعالى الله بل لا يستقيم المعنى الا بها لان قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله أى من مثل عبدنا فالضمير راجع الى عبدنا ولا يصح المعنى الا بها فتأمل وكذلك قوله تعالى اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فهى وان كان المعنى للثبوت لكن أتى بالنافية هنا ليبقى للنفى شم

وهو يؤدى معنى أنهم غير واثقين بالتقوى منهم وذلك شأن المؤمن فانه ورد فى حديث بعض السلف انه عرف كذا عددا من الصحابة كلهم يخشى على نفسه النفاق ذكره البخارى فتأمل فائدة الاتيان بها (وقال رضى الله عنه) فى العالم الانسانى ما أشرف هذا الجوهر لو عرف بقدره فان الانسان اذا ملك جوهرة نفيسة يحرص عليها غاية الحرص ويضن بها فيضعها فى صندوق [1] من فوق سبع سموات ومن تحت سبع أرضين وهو فى بطنهن وجميع ما فيهن مسخرات له قائمات فى خدمته شجر الدنيا وحجرها ومدرها وحيواناتها وجميع ما فيهن مسخرات له قائمات فى خدمته وجامدها ومائعها ونجوم السموات وشمسها وقمرها وسحابها ومطلعها وما فيها حتى الملائكة أسجدها له ومن أبى منهم صار طريدا بعد أن كان قريبا ملعونا بعد أن كان فى جيش الملائكة وجميع الملائكة فى السموات حتى حملة العرش فى خدمته الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيآت ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ثم لما أهبط الله آدم الى الارض قال للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك هنا ذكروا المساوى ولم يذكروا المحاسن مع أن فى

(١) قوله من فوق سبع سموات الخ كذا فى الاصل ولعل قبله كلاما ساقطا فتأمل اه مصححه

بنى

بنى ادم محاسن لكن حملتهم الغيرة على التكلم بذلك وحق لهم أن تعتريهم الغيرة على الخلافة فقال انى أعلم ما لا تعلمون ولما أراد أن يظهر لهم سر الخلافة علم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أى فى زعمكم ذلك قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم هذا كان موضعه عند قوله انى جاعل فى الارض خليفة وهذه الآية وهى قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ينبغى لكل طالب للعلم أن يقرأها عند ابتداء كل حضور فى موقف شيخه وبالله التوفيق لان الملائكة لما قالوها كذلك أمر ادم أن يعلمهم الاسماء ﴿استدراك من قوله ما أشرف هذا الجوهر﴾ لكنه أهمل نفسه ووضعها فى غير موضعها وتكلف ما لا يعنيه وتحمل مشقات من الدنيا لم يخلق لها كما قال تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فما أحسن هذا الشاهد فى حقه وقد أثقله الحمل ولا شئ على ظهره (وقال رضى الله عنه) فى الصحابة رضى الله عنهم هم مخصوصون بامور لا تعم جميع الامة فلا يقول العالم أحكم باجتهادى وأقيس عملا بقول معاذ رضى الله عنه حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن وقال له بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال فبسنة النبى صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد قال أجتهد رأيى لان معاذا قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم أعلمكم بالحلال والحرام وجاء فى الحديث أنه يحشر يوم القيامة فى مقام العلماء والعلماء بعده بقدر رتوة [1] بحجر وفى بعض روايات هذا الحديث أنه قال النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن

(١) الرتوة الرمية كما فى القاموس اه مصححه

قال أجتهد رأيى فتثبت حتى تعلم أو تكتب الى " فلا يجوز للعالم الان أن يجتهد رأيه فى حكم من الاحكام أو يقيس لانه يحكم بما لا يعلم لما فى حديث مسلم حاكم فى الجنة وحاكمان فى النار فالذى فى الجنة رجل علم الحق وعمل به واللذان فى النار رجل حكم بالجهل ورجل علم الحق ولم يحكم به فهذا الذى حكم بالجهل وان طابق الحق لكن لا يعلم به وهذا الحاكم برأيه اذا قلت له أتحلف بالله العظيم أنه الحق فان بذلها فلا بد أن تطالبه بدليل ولا يكون الا من الكتاب أو السنة وان رجع علم انه ما بين الخطا والصواب وما ألجاه أن يوقع نفسه فى هذه الورطة مع أنه فى النار اذا أصاب فكيف اذا أخطأ فالحكم فى هذه القضية إما أن يكون فى الكتاب أو فى السنة انما هو مقصر فى البحث أو مسكوت عنه فهو عفو ألا ترى أن الحق تعالى نهى عن السؤال فى المسكوت عنه والكتاب ينزل فقال يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور رحليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين فان من قبلنا سألوا نبيهم أن يبعث لهم ملكا ليقاتلوا فى سبيل الله وكانوا فى فسحة غير مأمورين بالقتال ولا مكتوبا عليهم فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم وذلك عقوبة لهم لانهم ما طلبوا الملك الا وكل منهم طامع أن يكون هو ذلك الملك فلما لم يكن واحدا منهم بل بعث فيهم طالوت وهو أفقرهم ولا كان منظورا بعين من علك الملك بل هو أضعفهم قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وفى مثل من أمثال الصوفية لو نزلت قلنسوة من السماء لوقعت على رأس من لم يردها فان طالوت لم يرد أن يكون ملكا فلو لم يسألوا لكانوا فى راحة من هذا كله ثم القليل

اتبعوا الملك فابتلوا بالنهر وذلك قوله تعالى ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فانظر الى هذه العقوبة والحال أنهم سألوا أنبياءهم ما لم يكتب عليهم فكيف اذا سأل الرجل نفسه ما لم يكتب عليه ثم أجاب من نفسه فالله المستعان ثم ضرب مثلا ان بعض الملوك كان مشغوفا بفرس فرضت فقال لو أخبرنى أحد بأنه مات لأضربن عنقه فلما مات قال بعض غلمانه ان الفرس احتوى والتوى ومد قوائمه الى الهوا فقال السيد مات فقال الغلام من فم سيدى سمعناها فلا يقف الانسان الا عند الكتاب والسنة فانهما لم يتركا شيأ بل هذه الشريعة ليلها كنهارها قال الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين لنا الحلال والحرام وسكت عن أشياء رحمة بهذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها وما كان ربك نسيا وأيضا فان الصحابى اذا حكم برأيه فهو اذا غلط رجع عنه لا محالة ولا بد من عرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل وأما الآن اذا غلط فمن يردّه الى الصواب (ثم قال رضى الله عنه) واعلم أن الجماعة المنبه عليهم بقوله يد الله مع الجماعة هم القافون أثر كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان واحدا فان النبى صلى الله عليه وسلم كان وحده فى أول البعثة وكذلك ابراهيم قال تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين (ثم قال رضى الله عنه) فى حق الصحابة ان من رأى النبى صلى

الله عليه وسلم سمى صحابيا ولا يدخل النار فقيل ان أبا لهب رآه فقال رآه انه
ابن أخيه ولم يره أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوائد فى العقائد
(ثم قال) وإياك أن تخوض فى الصحابة بشىء فان الجناب خطر قال تعالى
تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا
يعملون واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى على بن أبى طالب
كرم الله وجهه ورضى الله عنه اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه وجرى بينه
وبين معاوية ما جرى فلا تنظر الى ظاهر الامر وانظر الى حقيقته فان معاوية
رضى الله عنه من الصحابة وأيضا فانه خال المؤمنين فان أم حبيبة أخته
وهى زوج النبى صلى الله عليه وسلم توفى وهى تحته باجماع الامة والنبى
صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين فان فى بعض الآيات النبى أولى بالمؤمنين
من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وأولوا الارحام بعضهم أولى
ببعض فاذا عرفت فأضرب لك مثلا اذا جئت وأبوك وخالك يختصمان
فان عضدت أباك أغضبت أمك وان عضدت خالك أغضبت أباك فان كانا
موجودين فالاولى لك أن تسعى بينهما بالصلح وان قد سلفا فقل ما ندبك اليه
قول الله تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى
قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم (وأيضا) فان الحلاج سأله
بعض الناس ما الفتوة فلم يجبه فلما حكم الحكام بقتله حين قتل الحلاج
خرج دمه جلالات فرآه السائل فى المنام واذا هو فى موقف العرض
وغرماؤه جميعا والحق تعالى يقول هؤلاء غرماؤك فسل ما شئت نصنع
بهم فقال رب لا أسألك الا أن تعفو عنهم ثم التفت الى السائل فقال له هذه
الفتوة كأنه أراد أن يكون الجواب بالفعل لا بالقول (وقال رضى الله عنه)

نوه

نوه الحق جل وعلا بفضل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر النبيين بأن
ناداه فى جميع القرآن بيا أيها النبى يا أيها الرسول يا أيها المزمل يا أيها المدثر
ونادى سائر النبيين بأسمائهم فقال تعالى ياموسى أقبل ولا تخف ياعيسى
انى متوفيك ورافعك الى ياابراهيم أعرض عن هذا ثم من لطفه سبحانه
وتعالى أنه نادانا فى الكتاب العزيز بيا أيها الناس يابنى آدم يا أيها الذين امنوا
ولم يقل يا أيها الذين كفروا الا فى موضع واحد وذلك انما هى حكاية عنهم يوم
القيامة يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون
وذلك معاملة لهم باللطف وعدم التنفير يريد الله أن يتوب عليكم ويريد
الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن
يعاملهم بذلك فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وذلك
لان الصيد اذا انفر عسر صيده ثم أمرنا تعالى أن لا نجادل أهل الكتاب
الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم لان حرف الاستثناء بمعنى
الاستدراك وهو قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن
الا الذين ظلموا منهم أى لكن الذين ظلموا منهم وأما غير الظالمين فهم الذين
امنوا منهم وقد صاروا اخواننا ثم بين سبحانه وتعالى كيف يكون الجدال
بالتى هى أحسن فقال سبحانه وتعالى وقولوا امنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم
والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون (وقال رضى الله عنه) فى قول
الله سبحانه وتعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أتى سبحانه وتعالى بلفظ
أقيموا ولم يقل صلوا وذلك لان الصلاة كالاعضاء وسائر الجسد والخشوع
روحها فاذا حصل الخشوع والحضور مع الحق جل وعلا صارت قائمة لان
الشئ لا يقوم الا اذا كان له روح وأما اذا لم يكن له روح فهو ملقى هنالك

مرمى لاروح له يقوم به بل لا يقدر على الحركة وقوله وآتوا الزكاة ومثله
قوله مالك يوم الدين والامر يومئذ لله مع أنه جل وعلا ملك الآخرة والاولى
وله الامر فى الابتداء والانتهاء لكنهم لما ادعوا أن لهم فى الدنيا ملكا ولهم فيها
أمر اسلم لهم على دعواهم سبحانه ما ألطفه تبارك وتعالى ساجلهم سبحانه
وتعالى على دعواهم لانهم ادعوا أن لهم مالا فقال سلمنا وعليكم منه الزكاة
وهو العشر أو نصف العشر أو ربع العشر مع أنه قد قال سبحانه وتعالى
وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولهذا لم يملك الانبياء شيأ لعلمهم ان ليس
لهم شىء مما فى أيديهم بجميعه لله هم وغيرهم فيه سواء * قيل ان أحمد بن حنبل
والشافعى كانا قاعدين اذ مر شيبان الراعى فقال أحمد بن حنبل
انى أريد أن أسأل شيبان سؤالا فقال له الشافعى لا تفعل قال لا بد قال دونك
واياه فقال أحمد بن حنبل يا شيبان فى كم الزكاة من الغنم فقال على
مذهبكم أم على مذهبنا فقال أوهما مذهبان قال نعم قال أفتنى بهما فقال
أما على مذهبكم ففى الاربعين شاة وأما على مذهبنا فلا يملك العبد مع سيده
شيأ فالجميع حق الله تعالى وسأله أيضا عن المصلى اذا سها فى الصلاة
بزيادة أو نقصان بم يصلحها فقال على مذهبنا أو على مذهبكم فقال أجبنى
على كلا المذهبين فقال على مذهبكم يجبر بالسجود وعلى مذهبنا هذا
قلب غافل يجب تأديبه فخر أحمد مغشيا عليه (وسئل) رضى الله عنه
عن الجلسة قبل القيام من وتر فى الصلاة وهى التى يقال لها جلسة
الاستراحة فقال هى السنة فمن لم يأت بها فقد خالف السنة لانه قد ثبت عنه
صلى الله عليه وسلم فى الصحيح وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وقال صلى الله عليه وسلم

صلوا

صلوا كما رأيتمونى أصلى وأورد رضى الله عنه أحاديث عن النبى صلى الله
عليه وسلم هى حقيقة أن تكتب بسواد العيون الحديث الاول ثلاثة
يرضاهن الله لكم ورسوله أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأن تعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله عليكم وثلاثة يكرههن
الله منكم ورسوله قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال الحديث الثانى
ثلاثة حق على الله أن يعينهم رجل تزوج امرأة ثقة بالله وتوكلا عليه
ورجل استدان دينا ثقة بالله وتوكلا عليه فى قضائه ورجل فك رقبة ثقة
بالله وتوكلا عليه هذا اللفظ أو معناه الحديث الثالث ثلاثة يزوجهم الله
من الحور العين ما شاؤا رجل اؤتمن أمانة شهية خفية فأداها من مخافة الله
تعالى ورجل قرأ فى دبر كل صلاة قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ورجل
عفا عن قاتل يعنى يكون العفو من المقتول أو من الولى (وقال) رضى الله
عنه كل مقدم فى القرآن فهو الاهم بدليل قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما رقى الصفا أبدأ بما بدأ الله به ان الصفا والمروة من شعائر الله فان تأخر
الاهم فلنكتة (وقال) رضى الله عنه فى العناية من الله سبحانه وتعالى ببعض
عبيده لما قال الكهنة والمنجمون لفرعون انه يكون خراب ملكك على
يد ولد من بنى اسرائيل فأمر بذبح الابناء فلما ولدت أم موسى ألقته فى البحر
خوفا عليه من الذبح فالتقطته امرأة فرعون وقالت له قرة عين لى ولك
لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا فقال فرعون قرة عين لك فلو سكت
لكان قرة عين لهما ثم لما أخذته امرأة فرعون أبى أن يقبل ثدى مرضعة
وذلك قوله سبحانه وتعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت لهم أخته
هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرده الله الى أمه

وكانت نفقتها عليه وتربيته موسى على يد فرعون وأما السامرى فلما
خافت أمه عليه الذبح ألقته فى كهف فى جبل فتولى تربيته جبريل عليه
السلام وصار بعد كافرا وفى ذلك يقول الشاعر ا

فموسى الذى رباه جبريل كافر * وموسى الذى رباه فرعون مرسل

كذلك سحرة فرعون جاؤا فى أول النهار يريدون أن يدحضوا حجة الله
بالباطل وهذا شرأى شر فما غربت شمس ذلك اليوم الا وقد صاروا فى أعلى
مراتب الايمان فانه لما بعث فرعون فى المدائن حاشرين ليأتوه بكل سحار عليم
فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم
وانكم اذا لمن المقربين أجرى الحق سبحانه وتعالى ذلك على لسان فرعون
وهو أنه وقع لهم الاجر من ربهم وكانوا عنده من المقربين قال لهم موسى ألقوا
ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
فلما رأى موسى عليه الصلاة والسلام ذلك خاف كما فى آية طه فأوجس
فى نفسه خيفة موسى وذلك الخوف ليس هو من ذلك السحر وهو كون
الحبال والعصى صارت حيات ولكن خاف أن يلتبس الامر على من لم يعرف
فقال سبحانه وتعالى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما فى يمينك تلقف
ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ليس أنها ازدردت
الحيات التى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى وهى الحبال والعصى اذ لو كان
كذلك لكان لهم مدخل فى قدح الحجة بأن يقولوا سحره أعظم من سحرنا
فالتقمت عصاه حبالنا وعصينا كما أن بعض أنواع الحيوانات يأكل بعضها
بعضا فان الحوت الكبير يأكل الصغير وكذلك الطير ولكنها أبطلت السحر
فاذا الحبال والعصى ملقاة هنالك لم تتحرك بل حبال وعصى على أصلها فلم

يبق

يبق لهم عذر ولحقهم الخزى والفضيحة على رؤس الاشهاد لما صارت كذلك
فما بقى الا أن ألقى السحرة سجدا أى ألقاهم الله سبحانه وتعالى قالوا آمنا
برب هرون وموسى قال امنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم
السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع
النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات
والذى فطرنا أى وعلى الذى فطرنا وقدم البينات هنا على الذى فطرنا لكونها
السبب فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا
ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ولم يقولوا
والآخرة خير وأبقى أو والجنة خير وأبقى وذلك لقوة ايمانهم قد تعلقت
قلوبهم بالله سبحانه وتعالى فانظر كيف جذبتهم يد العناية فى أسرع وقت
اللهم عناية من عندك يارب العالمين (وقال) رضى الله عنه أعظم الرزايا
على هذه الامة ثلاث الاولى لما اشتد المرض على النبى صلى الله عليه وسلم
قال ائتونى بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فما فعلوا
وكثر منهم اللغط عنده صلى الله عليه وسلم فعوقبوا بان قال لهم قوموا عنى
الثانية أن النبى صلى الله عليه وسلم لما جاء رجل اليه فقال ألست تحدث
نفسك أنك خير هؤلاء يعنى الصحابة قال بلى ثم ذهب ذلك الرجل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقوم فيقتله فقام أبو بكر رضى الله عنه
فوجده قد خط خطا وصلى فقال لا أقتل رجلا يصلى هو يناجى ربه ثم قال
من منكم يقوم الى الرجل فيقتله فقام عمر رضى الله عنه فقال أنا يارسول
الله فمضى فوجده يصلى فقال ان أرجع فقد رجع عنه من هو خير منى
لا أقتله وهو يصلى فهلا سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم من يقوم فيقتله

بعد أن قال أبو بكر هو يصلى فقال أيكم يقتل الرجل فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه أنا يارسول الله فقال أنت له ان وجدته وما أظنك تجده فجاء فلم يجده فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو قتلتموه لكانت أول فتنة فى الاسلام وآخرها وما اختلف فى أمتى اثنان وذلك الرجل هو رأس الخوارج **الثالثة** جاء النبى صلى الله عليه وسلم يعلمهم بليلة القدر فتلاحى اثنان من أصحابه فقال انى خرجت لأعلمكم بليلة القدر لكن لما تلاحى فلان وفلان رفعت وعسى أن يكون خيرا لكم وقال لما اختلف اثنان من أمتى رفع علمها وبقيت خافية فى العشر الاواخر من رمضان

(وسئل) رضى الله عنه ان ابليس يجىء للانسان بوساوس يشغله بها فى أمر دينه وربما جاء فى الصلاة فقال لا يضره ذلك فان التسلط هو أن يفسد على الانسان دينه ليس التسلط بمجرد الوسواس فان الصحابة رضى الله عنهم شكوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ان الشيطان يوسوس لأحدنا ما نتعاظم أن نتكلم به فقال النبى صلى الله عليه وسلم أوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك محض الايمان وذلك لان ابليس كاللص ولا يتسور اللص الا على البيت العامر أما على الخراب فلا يرجى فيه شيأ يأخذه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون

(وسئل) رضى الله عنه عن التوكل فقال قال الله سبحانه وتعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وذلك أنهم علموا أن النصر لا يكون الا من الله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده فوكلوه وفوضوا ولم يعترضوا

لان

لان الموكل لا يعترض على الوكيل الا لاحد أمرين إما أن يكون متهما للوكيل بنوع خيانة أو انه ليس عالما بالمضار من العدو فيدفعها أو غير عالم بجلب المنافع لموكله فيجلبها وكل ذلك غير مجوز على الله تعالى الله علوا كبيرا فلما صدقت الوكالة له جل وعلا لم يتكلوا على كثرة ولا اكترثوا من قلة فنجاهم من عدوهم ونصرهم عليهم وفى يوم حنين يقول الله تعالى فيهم ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وذلك لانه أصابهم ما أصابهم لانهم اتكلوا على أنفسهم فوكلهم اليها فانهزموا ولم يبق الا الرسول صلى الله عليه وسلم فعمت المصيبة جميع الصحابة ولم يتكلم بتلك الكلمة الا البعض وهى قولهم لن نغلب اليوم من قلة فانظر الى هذه المصيبة أصابتهم من الله سبحانه وتعالى لكنها فى الحقيقة من أنفسهم ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ثم انظر الى الحسنة ما تكون الا من عند الله سبحانه ابتداء فانك اذا فعلت الحسنة فمن أقدرك عليها

لك الحمد يا ربى على كل نعمة * ومن أعظم النعماء قولى لك الحمد

(وقال) رضى الله عنه من لطف الله تعالى وحسن خطابه لعبيده يقول لهم فى الجنة كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الأيام الخالية كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون وجميع ما أسلفوا هو نعمة من الله سبحانه وتعالى لكن لما كان الخطاب بأنه مقابل لما أسلفوا ارتفع المن وكأنهم هم الذين جلبوا لنفوسهم تلك النعمة بما أسلفوا وذلك من تمام نعمته سبحانه وتعالى فان الانسان اذا حصلت له نعمة يرى أن سببها سعيه عظمت لذتها عنده فامتن سبحانه وتعالى عليهم فى هذا والمنة له فأكرم هذا الرب تبارك

وتعالى فذلك قوله سبحانه وتعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون مع أن المعنى غير مقطوع بل على حاله والله أعلم (وقال) رضى الله عنه لما كان يوم بدر نصر الله سبحانه وتعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجنوده وشاور النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى أمر الاسرى لان الله أمره بقوله وشاورهم فى الامر فأجمع الصحابة رضى الله عنهم على أخذ الفداء الا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه أشار بقتلهم فعاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض والنبى صلى الله عليه وسلم ما عمل بمشورتهم الا بأمر الله سبحانه وتعالى حيث قال وشاورهم فى الامر وقد أجمع رأيهم على الفداء الا عمر رضى الله عنه ثم هو مأمور بالعفو فاعف عنهم واصفح وهو من خلقه عليه الصلاة والسلام المجبول عليه والله سبحانه أمسك الوحى فى تلك الحالة ليقضى أمره ثم بعد نزلت آية العتاب ثم بعدها لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم والكتاب الذى سبق هو قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد ثم لنتيجة قوله تعالى لاهل بدر اعملوا ما شئتم فانى قد غفرت لكم ثم لما سبق فى قضائه من سعادة العباس وعقيل ومن أسلم منهم فلما كملت آية العتاب قال تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم تابعهم سبحانه وتعالى على حسب مرادهم لان الغنائم فيما سبق كانت تنزل نار من السماء تأخذها فأحلها الله لهذه الامة من ذلك الحين والغنائم أحلت لهذه الامة ان الله جعل زينته والطيبات من الرزق فى الدنيا وفى يوم القيامة للذين آمنوا فاغتصب الكفار عليهم من التى فى الدنيا والمغتصب عليه له أن يأخذ حقه

ايـنما



أينما وجده إما بتسلق أو جهارا أو خفية كذلك ما اغتصبه الكفار على الذين آمنوا فلهم أن يأخذوه بأى وجه هو لمن سبق اليه وأما ما كان فى يوم القيامة فهى للذين آمنوا لا يقدر عليها غاصب ولا يشاركهم فيها مشارك قال سبحانه وتعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا فهى لهم فى الدنيا لا لغيرهم ثم قال خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون (وسئل) رضى الله عنه عن النوم ألا يكون فى الجنة مع أنه معدود من اللذات فى الدنيا (فأجاب) ان لوجوده فى الدنيا نعمتين ولعدمه فى الجنة نعمتين فنعمتا وجوده فى الدنيا أنه جعله سباتا والسبات ربطة للعقل لان المجنون الذى قد ذهب عقله لا ينام النعمة الثانية الراحة من النصب فاذا نام ذهب التعب وأما اللتان فى الجنة عند عدمه فان أهل الجنة قد شاركوا الحق فى البقاء كما جاء انه يكتب اليهم من الحى الذى لا يموت الى الحى الذى لا يموت أما بعد فانى أقول للشئ كن فيكون وقد جعلتك اليوم تقول للشئ كن فيكون وهو سبحانه وتعالى لا تأخذه سنة ولا نوم مع أن السنة هى أول النوم فقد يتوهم أن البارى تبارك وتعالى منزه عن الاتصاف بالقليل ولا يكون له الا الشئ الكثير من الاوصاف فقال ولا نوم هذه فائدة قوله ولا نوم والثانية يفوتهم عند النوم من النعيم العظيم ما لا مزيد عليه وذلك غبن فتأمل هذا والله الموفق (وسئل) رضى الله عنه عن قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (فأجاب) بما معناه والذين آمنوا صدقوا فاتصفوا بصفاتنا وتخلقوا بأخلاقنا فان الله سبحانه هو المؤمن وعملوا الصالحات التى بلغوا بها الى مقام كنت

سمعه وبصره الى آخره فانا جعلنا فيهم قوة وقدرة على عمل الصالحات التى يبلغون بها الى هذا المقام فانا لا نكلف نفسا الا وسعها فلم يأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تخلقوا بأخلاق الله الا وهو يعلم أنه أقدرهم على ذلك وفى هذا تلميح الى أن الله تعالى خلق ادم على صورته فمن بلغ هذا المقام أولئك أصحاب الجنة والجنة جنتان جنة المعارف وجنة الزخارف فلا التفات الى جنة الزخارف لمن كان من أصحاب جنة المعارف هم فيها خالدون فى الدنيا والآخرة جعلنا الله منهم بفضله آمين (وسئل) رضى الله عنه عن قول الله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم (فأجاب) بما معناه أى انها تعبد الله تعالى مأمورة بذلك قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقال تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون فهى مخاطبة بأمرين أحدهما عبادة الله والآخر تسخرها للانسان فانه ذللها سبحانه لبنى آدم وجعل منها متوحشا كالسبع ليعرف ما قد ذلل له منها فهى أمم أمثالنا تعبد الله وتوحده وتمجده وكذلك الجمادات فانها تعبد الله وتسبحه قال الله تبارك وتعالى ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء وقال سبحانه وتعالى فى قصة داود عليه السلام ياجبال أوبى معه ففى الحديث ان الارض تلبى اذا لبى الحاج الى أن تنقطع من كل جهة والمؤذن يشهد له كل رطب ويابس الى منتهى صوته وهل فى الارض الا رطب ويابس (وقال) رضى الله عنه ان الحصى التى

سبحت

سبحت فى كف رسول الله صلى الله عليه وسلم هى كذلك فى كل حالة وانما هو كشف الحجاب عن مسامع الصحابة رضى الله عنهم فسمعوها فكانت من خرق العادات وقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الى يومئذ تحدث أخبارها أى تشهد للعباد وعليهم فكل بقعة تشهد بما صنع فيها العبد ولا تشهد بما شهدت به بقعة أخرى كالاذن لا تشهد بما رأته العين لان ذوقها غير ذوق العين وكذلك سائر الاعضاء والجوارح فما من شئ فى الدنيا الا وهو شاهد بالتوحيد يسبح بحمد ربه (وقال رضى الله عنه) سخر الله سبحانه وتعالى جميع ما فى السموات والارض لبنى آدم وهى جميعها ليست مفتقرة الى ابن آدم أبدا وابن آدم مفتقر الى جميع ما فى السموات والارض فالله سبحانه وتعالى أعطى ابن آدم قبل سؤاله وانما سؤاله بلسان الحال لا بلسان المقال فجميع ما سأل من كل ما هو مفتقر اليه قبل وجوده ثم خلق سبحانه وتعالى وأوجد أرزاق المسخرات له فهو رأس المخلوقات وسنامها ولولاه ما خلقت المخلوقات ولا دار الفلك فالشمس وجميع الكواكب فى منفعته والدواب جميعها فى منفعته وما توحش منها كذلك لان بتوحشها يعرف قدر المسخرات وما نزل من السماء كذلك وجميع ما يخرج من الارض والملائكة يستغفرون لهم فالانسان يذنب والملائكة تتوب عنه فقسم سبحانه ذكر الملائكة بينه وبين آدم قال يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ثم زاد فى كيفية استغفارهم ودعائهم لهم فقال سبحانه وتعالى على ألسنتهم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما الى قوله وذلك هو الفوز العظيم فهم يستغفرون للذين تابوا وهم يشفعون لمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وأسجدهم له وهو

فى صلب أبيه فابن ادم له عند الله هذا الشأن وخلق من أجله جميع المخلوقات فسخرها له وخلقها له وهو يعبد ما خلق من أجله ويعرض عمن خلق له فكيف هذا السقوط من الثريا الى الحضيض نسألك اللهم عافيتك اللهم اشغلنا بعبادتك عن عبادة من سواك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ثم الجمادات كالاحجار والاشجار والارض جميعها تدعو البنى آدم وتستغفر لهم وتشهد لهم باعمال البر كتلبية الارض الى منتهاها للملبى بالحج وشهادة كل رطب ويابس للمؤذن الى منتهى صوته وغير ذلك مما لا يحصى فسبحان الكريم ما أكرمه على عبيده

(ومن فوائده رضى الله عنه) فى كيفية الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك اللهم انى أسألك ايمانا دائما وأسألك قلبا خاشعا وأسألك علما نافعا وأسألك يقينا صادقا وأسألك دينا قيما وأسألك العافية من كل بلية وأسألك دوام العافية وأسألك تمام العافية وأسألك الشكر على العافية وأسألك الغنى عن الناس

(ومن فوائده أيضا رضى الله عنه) اللهم انى أسألك بنور وجه الله العظيم الذى ملأ أركان عرش الله العظيم وقامت به عوالم الله العظيم أن تصلى على مولانا محمد ذى القدر العظيم وعلى آل نبى الله العظيم بقدر عظمة ذات الله العظيم فى كل لمحة ونفس عدد ما فى علم الله العظيم صلاة دائمة بدوام الله العظيم تعظيما لحقك يا مولانا يا محمد يا ذا الخلق العظيم وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهرا وباطنا يقظة ومناما واجعله يارب روحا لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الاخرة يا عظيم

(وقال رضى الله عنه) من أراد الله

سبحانه به خيرا رزقه الادب معه فان ابليس أذنب حيث لم يسجد لآدم فترك ما أمره الله وآدم عليه الصلاة والسلام أذنب حيث أكل من الشجرة ففعل ما نهاه الله عنه لكن لما قال سبحانه وتعالى لابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين والعالين هم ملائكة لم يؤمروا بالسجود انما هم هائمون فى الله لا يعرفون غيره وهو ليس منهم فما بقى الا انه استكبر فبين استكباره بان قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فنسب الى الحق سبحانه الظلم لانه جعل نفسه خيرا منه وسجود الأعلى للادنى ظلم فأضاع الادب أى اضاعة فكان سبب طرده ولعنه وآدم عليه السلام لما قال له الحق سبحانه وتعالى ولزوجه ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فلزما الادب واعترفا بذنبهما ولم ينسبا الظلم الا اليهما فغفر سبحانه وتعالى لهما وانظر أيضا الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث دعا ربه سبحانه وتعالى حيث قال فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين ثم لزم الادب ههنا ولم يقل واذا أمرضنى فهو يشفين بل قال واذا مرضت فهو يشفين فنسب المرض اليه تأدبا مع الحق سبحانه وتعالى ثم خاف عند ذلك فخشى أن يكون بسلوكه فى طريق الادب قد وقع فيما لا يليق بجلال سيده سبحانه وتعالى بأن نسب المرض الى نفسه فقال والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين فجعل نسبة المرض اليه خطيئة وانظر أيضا الى الخضر عليه السلام حيث نبأ موسى بما لم يستطع عليه صبرا فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها

فعند ذكر العيب هنا قال فأردت وأتى بالضمير المفرد ونسب العيب للسفينة الى نفسه وذلك تأدبا مع مولاه سبحانه وتعالى وقال فى قتل الغلام وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا فأتى بالضمير لا على صيغة الافراد لان فى قتله على أبويه حزنا وكربا فى الابتداء عند قتله وسرورا وراحة فى الانتهاء باعتبار ما انتهى اليه أمرهما لان الله سبحانه وتعالى أبدلهما بابنة خرج منها سبعون نبيا فالضمير ههنا هو ضمير نفسه مع الحق سبحانه والنكتة فى اتيان الضمير بصيغة التثنية التأدب مع الحق جل وعلا فالامر الذى يقتضى الحزن والكرب وهو ما حصل لابويه عند قتله نسبه الى نفسه وما آل اليه الامر نسبه الى الحق سبحانه وتعالى ولذلك لما كانت الحالة لا تقتضى الا السرور والراحة ابتداء وانتهاء نسب الامر الى الله تعالى ولم يجعل لنفسه مدخلا فقال فى وصف الجدار وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما فقال فى الاولى فأردت وقال فى الثانية فأردنا وقال فى الثالثة فأراد ربك وانظر أيضا الى دعاء نبينا محمد عليه الصلاة والسلام قال لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك أى لا يتقرب به اليك فما أحسن هذا التأدب مع مولاه سبحانه وتعالى موافقة لقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه الذى منه مات هل نلتمس لك طبيبا فقال الطبيب هو الذى أمرضنى ليس على ما زعم من فسره بظاهره ونسب الى أبى بكر أنه لم يتأدب وانه لم يقل مثل الخليل عليه الصلاة والسلام واذا مرضت فنسب

المرض

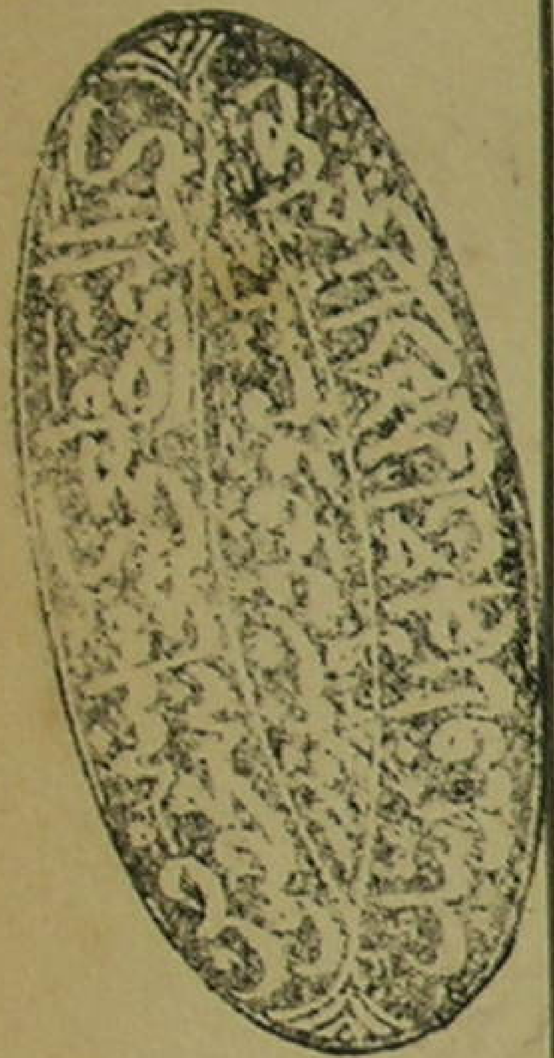
المرض الى نفسه بل قال أمرضنى ونسبه الى الحق سبحانه وتعالى لكن ليس على ظاهره بل معناه أن الطبيب داوانى بدواء يزول منه دائى وهو المرض فالمرض هو عين الدواء واذا كان كذلك فليس بشر واذا لم يكن بشر فلا اساءة فى الادب بل ذلك من حسن الادب فافهم ما فى هذا البحث من نكت فى لزوم الادب (وقال رضى الله عنه) فى قول ابن عطاء الله رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا ومأخذ هذا مستنبط من كتاب الله تعالى ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير استكبار ولا عز قال الله سبحانه وتعالى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وفى الحديث فيما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى فانظر الى الفرق بين قوله عند ربهم و بين أنا عند المنكسرة قلوبهم فاذا قلت الملك عند فلان فهو أجل وأعظم من أن تقول فلان عند الملك وكذلك أنين المذنبين أحب الىّ من زجل المسبحين (وقال رضى الله عنه) ان من تحرى الطهارة وتورع عن النجاسات وهو يأكل حراما فورعه ذلك كورع الكلب يأكل النجاسات والقاذورات واذا أراد أن يبول رفع رجله لكيلا يصيبها شئ من البول (وقال رضى الله عنه) فى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى وانى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغرق قلبه فيما وراء الحجب السبعين التى هى وراء السموات والارضين وهو مأمور بالتبليغ فيستغفر سبعين مرة ليظهر قلبه على أمته فيطلعوا على أسراره فان الشاذلى رأى النبى صلى الله عليه وسلم مناما فقال يا رسول الله ما معنى الغين الذى تستغفر منه سبعين

مرة قال ذلك غين أنوار لا غين أغيار يا مبارك (وقال رضى الله عنه) في قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين فكرر لفظ اتقوا ثلاثا ولفظ امنوا ثلاثا وقال في آخرها وأحسنوا مرة واحدة أى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات ليس عليهم جناح فيما طعموا من الطيبات من الرزق ثم كلما طعموا زادهم ايمانا وتقوى واذا كان الاكل للطيبات بالنية على تقوية الاعضاء للطاعة زادك ايمانا وتقوى لان الصحابة منهم من حرم الدسم ومنهم من حرم النكاح ليتفرغوا للعبادة ثم قال تعالى ثم اتقوا وأحسنوا أى ان الاحسان مقارن للتقوى والايمان وفى الحديث انه نزل جبريل عليه السلام على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال ما الايمان قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الاسلام قال الاسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال ما الاحسان قال أن تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال ما الساعة قال ما المسؤل عنها بأعلم من السائل فاذا كان الاحسان مقارنا للايمان والتقوى فقد صار وليا فقد أحبه الله واذا أحبه الله فقد صار سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكيف يخافون ويحزنون وقد صار الحق منهم بهذه الصفة قال الشاعر

هم الذخر للملهوف والكنز والرجا ... ومنهم ينال الصب ما هو طامع
بهم يهتدى للعين من ضل فى العمى ... بهم يجذب العشاق والربع شاسع

(وقال

(وقال رضى الله عنه) فى قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر على حذف مضاف أى أصحاب الكوثر وهم المؤمنون الذين هم أولاد للنبى صلى الله عليه وسلم كما فى احدى القرا ات وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم والكوثر هو النهر الذى فى الجنة عدد أقداحه عدد نجوم السماء لان الكفار قالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم أبتر أى لا نسل له وانه ينقطع ملكه ولا له بنون يقومون بملكه فنزلت انا أعطيناك الكوثر أى أصحاب الكوثر قاموا بعده بحق الاسلام وقفوا فيه آثاره الى الآن ولله الحمد فصل لربك وانحر أى اجعل هذا القول فى نحر أعدائك ان شانئك هو الابتر وأنجز الله سبحانه وتعالى قوله وهو أن لا يبقى الآن فى الآفاق جميعا ذرية لابى لهب ولا لابى جهل ولا لاحد ممن مات منهم وهو كافر (وسئل رضى الله عنه هل يجوز أن تفرد الصلاة على غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول اللهم صل على فلان من دون أن تذكر النبى صلى الله عليه وسلم فقال نعم أخبرنا الله سبحانه وتعالى بانه يصلى علينا فقال سبحانه وتعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وقال تعالى فيمن قال عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ويدل على أن الصلاة من الله تعالى هى الرحمة وزيادة لا كما قيل انها الرحمة فقط أن الرحمة عطفت على الصلوات من باب عطف العام على الخاص ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجيئه المتصدق بالصدقة فيصلى عليه امتثالا لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى فلا اقتحم العقبة ان العقبة بلغة العرب هى الجبل الوعر



المسالك الذى لا يصعد اليه الا بمشقة ثم قال وما أدراك ما العقبة أى عقبة هى فك رقبة والرقبة هنا منكرة لتقتضى الشمول لكل رقبة محبوسة إما فى دين فيقضى عنها فيفكها أو من وجب عليه القصاص فيفكها أو ضال يهديه فيفك رقبته من حبس الضلال أو غير ذلك ثم قال تعالى أو اطعام فى يوم ذى مسغبة أى ذى جوع والمراد المطعم هو الجائع وان كان غيره شبعان يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة اليتيم على قسمين أحدهما الملتجئ الى الله تعالى لا يصافى أحدا غيره ولا يصادق ولا يحب الا الله أو فى الله فهو يرى وجود أبويه وعدمهما على حد سواء وهذه أعلى رتبة فهو يتيم وان بلغ سن الشيخوخة والثانى اليتيم عن أبويه أو أحدهما ولا يكون يتيما الا مادام لا يمكنه التكسب والمسكين على قسمين الاول هو المتمسكن الى الله أى الذى لا يسكن الا الى ربه فهو ملازم حضرته فلا يأنس الا اليه وهذا هو الذى قال فيه الصادق المصدوق صلوات الله عليه وعلى آله اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وهذا هو أعلى درجة والثانى هو اللاصق بالتراب ثم قال تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة كان هذه من قوله كان من الذين آمنوا تامة يعنى تستغرق الزمان ماضيا وحالا ومستقبلا أى بقى مؤمنا حتى مات كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ولم يقل من عمل الحسنة ليكون معناها من جاء يوم القيامة بالحسنة ولم تحبط ومن جاء بالسيئة ولم تمح (وقال رضى الله عنه) انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون قال هذه الآية من

المخوفات

المخوفات التخويف العظيم لان إنما للحصر ومن ذا يكون متصفا بهذه الصفة فانه قيل لبعض الاولياء وهو الحسن البصرى كيف تجد ايمانك فقال أومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره وأما أنى ممن اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى اخرها فلا أدرى والذكر هو باللسان والقلب والاعتبار بالعين لقوله تعالى الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى فهو ذكر هنا بالعين فان الاعتبار فى العالم ذكر وهو أعظم الذكر وقوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا المراد الآيات القرانية والعالمية أى اذا نظرت الى مخلوقاته زادك ايمانا لانها آيات تتلى عليك قال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون (وقال) رضى الله عنه أفرأيتم ما تمنون الانسان يلقى منيه ولا يدرى أين صار فيوكل الله به ملكا خلق من سر الخالق البارئ المصور يضعه فى قرار مكين أى لم يخن فى شئ منه بل يحفظه غاية الحفظ ثم يكون علقة أشد من النطفة فاذا كان كذلك استأذن الملك ربه يقول رب هل قدو فى أجله أفتزلق فاذا هو لم يصل أجله يقول لا انقله مضغة فيصير مضغة وهى أشد من علقة فيستأذن الملك ربه كذلك فيشق جل جلاله بصره وسمعه ويخلق فيه الاعضاء حتى يصير فى الصورة الانسانية فيبرز الى الوجود وليس له عقل يعقل به ولا فهم يفهم به ولا نطق يتكلم به عما يريد فيجوع ويعطش وهو لا يحسن الكلام فيصيح وذلك الصياح يدعو ربه دعوة مضطر فيجاب فى الحال والسرعة فيوجد

الله له اللبن فى ثدى أمه حتى لو أنها أرادت أن تدفعه وتردّه ما أمكنها ولو أرادت
وجوده قبل ان يولد المولود ما أمكنها فيأتينا كذلك مجابين الدعوة فى
الحال ثم يوجده سبحانه وتعالى سائغا ليس يحتاج الى مضغ لكون الطفل
بلا أسنان يمضغ بها ولا يحتاج الى هضم لان معدته غير قوية على
الهضم ثم يجد فيه الرى والشبع فيستغنى عن الماء والطعام لانه لا يقدر
أن يطلب عند عطشه ماء ولا عند جوعه طعاما فيهديه اليه ويهوى اليه لا الى
عضو غيره ثم يلهمه المص على تلك الكيفية سبحانه وتعالى ثم لا يزال ينمو
ولا ينظر عيانا لان كل شئ اذا مددته بعد أن كان متحيزا لابد أن تنظر لمدّه
تأثيرا فى طوله وعرضه وأما هذا النمو فهو فى كل حالة لا يزال ينمو هو جملة وكل
عضو من أعضائه وهو لا يدرك ثم يتولد معه التدبير وكلما زاد معه التدبير
نزع الله الشفقة من قلب أبويه بقدر ذلك فان أمه فى أوّل الامر لا تستطيع
تفارقه ساعة ثم بعد قد تفارقه اليوم واليومين ثم قد تفارقه بعد أن يكمل
تدبيره الزمان كله فلو لم يد بر له أمرا بل رضى بالله كفيلا كما كان أولا لكفاه
كل مؤنة وتيسير ما هو موجود أهون من ايجاد ما هو معدوم باعتبار عقل
الانسان ألا ترى أنك قد تهتم بتيسير قوت يومك وهو موجود على ظهر الارض
وتيسيره أهون من ايجاد اللبن من العدم من بين فرث ودم حسبنا الله ونعم
الوكيل (وقال) رضى الله عنه فى قول أهل الكلام الاسم عين المسمى أو غير
المسمى خاضوا فيما لا يعنيهم وحيروا من اطلع على علومهم من بعدهم الذات
هى جميع الاسماء وهو تعالى متجلّ بجميع صفاته فى ذاته ألا ترى أن
الرجل اذا كان حدّادا نجارا خياطا عمارا عالما فاذا رأيته رأيت رجلا ثم
اذا ظهرت لك صفة من صفاته علمته بها فسميته بها فان علمته نجارا مثلا سميته

نجارا وان علمته حدادا سميته حدادا وهلم جرا فالبارى جل وعلا يعلم
بجميع صفاته من صنعه سبحانه وتعالى قال على بن أبى طالب رضى الله
عنه للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى يارسول الله قال قل ربى الله ثم استقم
فقال ربى الله ولا حول ولا قوة الا بالله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ليهنك
العلم يا أبا الحسن لانه قال ربى الله ومن قال ربى الله فقد آمن بالله وبكتبه
ورسله ووعده ووعيده ثم استحضر فى جواب قوله ثم استقم لا حول ولا قوة
الا بالله أى ان الاستقامة لا تكون الا بحول الله وقوته وتوفيقه فاذا أردت
ولم يرد الله تعالى لم تقدر أبدا ولو حاولت بكل ممكن ثم قال رأى بعض الاولياء
النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يارسول الله قلت شيبتنى هود وأخواتها من
القرآن ما الذى شيبك منها قال قوله تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك
ولم يسأل علىّ كرم الله وجهه عن الاسم ولا عن المسمى بل عرف بحقيقة
الاسماء كلها بقوله ربى الله ولم يجبه النبى صلى الله عليه وسلم الا بذلك الجواب
الذى يظهر من فحواه أن قد علم بالعلم جميعه ثم فى البقرة وعلم آدم الأسماء
كلها أى أسماءه سبحانه وتعالى واذا علم بأسمائه لزم علم أسماء غيره من جميع
المخلوقات فلا حاجة لنا فى ذلك العلم الذى يقال فيه الاسم عين المسمى أو غير
المسمى لانه مظلم والعلم نور وهو خفى والشريعة ظاهرة والحق بين يثبت
فى القلب حتى لو اراد من عرف الحق أن يطمسه من قلب نفسه لما قدر
والباطل داحض ان الباطل كان زهوقا لا يحتاج الى من يزهقه لان العدم
لا يحتاج لاعدام والوجود لا يحتاج الى ايجاد واذا بطل من الانسان شئ من
مفاصله بفالج أو غير ذلك نسأل الله العافية والسلامة لا يقدر أن يقوم بل
يبقى قاعدا وان أقامه غيره فلا يقوم الا متى بقى ملازما له فاذا تركه وقع والله

الموفق (وسئل) رضى الله عنه عن قوله تعالى إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن (فأجاب) الجهالة هنا هى أن يعمل السوء وهو جاهل بحق الله تعالى لا أنه جاهل أنه سوء ثم لما علمت بالله وعلمت أنه عندك حاضر لا يغيب وأن السيئة الصغيرة فى جناب من عصيته كبيرة وأى كبيرة وعلمت بطشه وصدقت وعده ووعيده وتبت من قريب تاب الله عليك مالم تغرغر بالموت فان تبت قبل أن تغرغر فقد تبت من قريب فأتى الله سبحانه بعلى فى قوله إنما التوبة على الله أى وجبت لانه لو قال من الله أو لله فلا تؤدى هذا المعنى ثم قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن فذلك لا ينفع (ثم قال) رضى الله عنه واعلم أن الانسان فى كل حالة مخاطب بالموت قال تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير قال النبى صلى الله عليه وسلم ما مددت بصرى الا وظننت الموت يبتدرنى قبل أن يرتد الى طرفى وما التقمت لقمة الا وظننت الموت يبتدرنى قبل أن أسوغها هذا أو معناه ومن هنا ارتفع حكم التسويف والأمل قال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل وقال تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الآية فالامد والامل بمعنى واحد وهو الذى يجوز أن يكون له فيه توبة ولا يتوب ولم يعلم أن الموت فى كل حالة يطلبه لقول الصديق رضى الله عنه

كل امرئ مصبح فى أهله   والموت أدنى من شراك نعله

(وقال) رجال لبعض الاولياء لما رأوه لا يتكلم معهم فى خوضهم لم لا تتكلم معنا انا نحب حديثك فأجاب الحالة التى تحب أن تكون عليها عند الممات كن عليها فى جميع الحياة فانظر الى هذه الكلمة التى تلحق بالمعجز لانك اذا رأيت الامير النافذة أوامره اذا قيل له تموت غدا هل يبقى من أمره ذلك احبسوا فلانا قيدوا واشدوا الفرس جهزوا الجيش أم ينتظر الموت ويرتقب له ويتهيأ له دائم الفكر متذكرا لسيئاته قد يذهل عمن عنده ولا يتكلم بشئ مما جرت به عادته وكذلك غيره من أهل الصناعات والزراعة والتجارة اذا قيل له تموت غدا لا يشتغل بشئ من ذلك الذى هو فيه سابقا بل يشتغل بالتأهب للموت فانظر معنى هذه الكلمة (وسئل) رضى الله عنه عن قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم أى ان الابرار لفى نعيم فى الدين لانهم فى هدى والهدى نور والنور وجود والوجود هو الله وان الفجار لفى جحيم لانهم فى ضلال والضلال ظلمات والظلمات عدم فيحيون باحياء الله والاولون بحياة الله تعالى وليس من كانت حياته باحياء الله كمن حياته بحياة الله وأنى وأين فوجودهم كعدمهم وان كانوا فى الظاهر فى نعمة ألا ترى أن الملك اذا كان حزينا بموت ولده أو بنصر عدوه ربما كان فى بستان أنيق بين نور وشقيق وفى يده مفاتيح الخزائن وبين يديه الخيل الصوافن تتهادى له الجوارى ويتنزه طرفه فى العيون الجوارى ويتبختر فى ظلال زهوه ويتيه فى قصور زخارفه ولهوه لكن قلبه فى نار الحزن وعينه مطلقة للوسن قد عاف الطعام والشراب وضاقت عليه الفسيحات من الرحاب قال تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الآية وقال تعالى فمن عداهم ومن أعرض عن ذكرى فان له

معيشة ضنكا وقال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون (وسئل) رضى الله عنه هل يحتاج المصلى على النبى صلى الله عليه وسلم واله أن يقول وصحبه قال لا يحتاج لانهم قد دخلوا فى آله لان الآل هم المؤمنون من أمته فهم وغيرهم من المومنين قد دخلوا فى الآل بدليل ما ثبت فى بعض القراآت النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وقوله تعالى انا أعطيناك الكوثر أى أهل الكوثر وهم الذين يقومون بشريعته من بعده كالخلفاء الراشدين من بعده ومن تبعهم لان الكفار قالوا انه أبتر وان هذا الامر سيبطل بعده لانه ليس له ذرية يقومون بهذا الامر بعده فنزلت هذه السورة وأثبت الله بها معزتين احداهما أن الله سبحانه وتعالى أقام هذا الدين بآله من بعده الى الآن والثانية أن الكفار حين تكلموا بذلك ولهم ذرية وأحفاد لم تمر أدنى مدة الا ولا يعلم أن أحدا ينسب اليهم ولا بقى منهم بقية نفى نسبهم عن الدنيا بالكلية فسبحان العدل الحكيم وذلك مصداق قوله تعالى ان شانئك هو الابتر (وسئل) رضى الله عنه اذا صلى الرجل صلاة المغرب ثم أراد أن يتصدق على رجل آخر بالصلاة معه هل يقتصر على الثلاث أو يقوم بعد أن يسلم الامام يأتى برابعة لكون الثلاث لم تشرع فى حق المتنفل (فأجاب) بان المتنفل إما أن يكون اماما أو مأموما فان كان اماما اقتصر على الثلاث كما ثبت فى الحديث أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد صلى هو وأصحابه فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أيكم يتصدق على الرجل فيصلى معه فقام رجل قيل فى حديث آخر هو أبو بكر واذا كان أبا بكر فهو الامام بلا شك لانه الافضل وهم لا يقدمون الا الافضل

عملا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم انما أئمتكم شفعاؤكم يوم القيمة فانظروا لانفسكم شفعاء وجائز أن يصلى المفترض خلف المتنفل لهذا ولفعل معاذ كان يصلى مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم يخرج فيصلى بالناس ومعلوم أنه لا يرضى بالصلاة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم الا فريضة ويتنفل حين يصلى بالغير وذلك فى مغرب وغيره فهذا هو الدليل على الاقتصار على الثلاث وعلى أنه يجوز للمفترض أن يصلى خلف المتنفل وان كان المتصدق المتنفل هو المأموم قام وأتى بركعة بعد أن يسلم امامه لان الثلاث فى حق المتنفل ليست مشروعة (وذكر) رضى الله عنه فى حال كون المتنفل اماما والمفترض مأموما أنه ربما صار الامر والتصرف للضعيف الادنى كان تحصر المرأة عن طواف الافاضة فيجب على محرمها أن يحصر معها فتصير هنا متبوعة وهى فى كل حالة تابعة (وقال) رضى الله عنه اعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال فربما كان الحق عند من هو غير مقطور به وربما كان المقطور به يخفى عليه الحق ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما استأذن عليه أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه ثلاثا ولم يؤذن له رجع فلما فرغ عمر مما هو فيه قال أين أبو موسى فقيل له رجع فأمر من يبتغيه فلما وصل قال لماذا رجعت قال كان هكذا يفعل الصحابة مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال لئن لم تأتنى بشاهد لأوجعنك أو كما قال فقصد أبو موسى الانصار فأخبرهم فقالوا ان الصبيان منا يعلمونه فأرسلوا معه أصغرهم فشهد بذلك والحال أن عمر كان أكثرهم استئذانا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخفى عليه مثل هذا وكذلك لما خطب يوما فنهى عن المغالاة فى المهور فقالت امرأة تنهى عن المغالاة فى المهور وقد قال



الله سبحانه و تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فقال حتى النساء أعلم منك يا عمر فكن مع الحق يعرفك بأهله ولا تقل لو ثبت هذا العلم فلان فربما آخذ الحق من غير أهله كما قال سبحانه وتعالى حاكيا عن ابليس فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال تعالى فالحق والحق أقول أى فالحق تقول والحق أقول ثم ثبت فى الحديث ان أبا هريرة رضى الله عنه لما كان على الصدقة جاءه ابليس فأمسكه فقال لئن تركتنى لاعلمنك شيأ اذا قلته لم يدخل بيتك شيطان فتركه قال تلك آية الكرسى فقال له النبى صلى الله عليه واله وسلم لما أخبره لقد صدقك وهو كذوب فالحق معروف لا غبار عليه (وقال) رضى الله عنه فى قول الله لرسوله فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل إن من هنا للتبيين وقال تعالى بعد أن عدّد الرسل فى سورة الانعام أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده واستثنى سبحانه وتعالى واحدا منهم فى أمر مخصوص فقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم (وقال) رضى الله عنه فى قوله تعالى فى قصة يوسف ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه أى همت فيما هو همها فانها قد عرضت من قبل ليوسف تعريضات فما بلغت ما تريد فلما لم يمكن الا التصريح صرحت به فراودته عن نفسه صريحا وهو عليه الصلاة والسلام همه الخلوص منها فهم لما غلقت الأبواب وقالت هيت لك وما بقى منه بد بالتخلص منها بقتل أو بضرب أو غيره فعها عنه لان ذلك همه لولا أن رأى برهان ربه والبرهان الذى رأى هو صورة امرأة العزيز لانها برهان لصانعها جل وعلا لان البرهان للشئ هو الدلالة عليه وذلك معنى قول أبى بكر رضى الله عنه ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله ومعنى

وفى كل شئ له آية   تدل على انه الواحد

فألهمه سبحانه وتعالى أن يدرأ بالتى هى أحسن ليصرف عنه السوء والفحشاء بذلك التخلص وهو الهرب فاستبقا الباب وقدّت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب وقد كان يوسف أراد أن يكلمه عند أن ألفياه لكنه ردّ أمره الى الله قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم أشارت عليه بالسجن خوفا عليه من القتل عند الغيرة كما تفعله الملوك فلما تكلمت بذلك ونسبت اليه ذلك دافع عن نفسه فقال هى راودتنى عن نفسى (وقال رضى الله عنه) اذا لم تجد دليلا على الحادثة فى عمل أو فتيا من الكتاب أو من السنة فقل لا أدرى فهى خير لك من أن تفتى برأيك فان قولك لا أدرى خير لك من أن تكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان من أحدث شيأ فى شريعته فقد كذب عليه وفى الحديث العلم ثلاثة آية محكمة وسنة ماضية ولا أدرى هكذا هو أو معناه وقال الشاعر

تعلمت لا أدرى لأدرى أننى   اذا قلت لا أدرى بأنى لا أدرى

(غيره)

اذا شئت أن تدرى تعلمت لا أدرى   فان قلت لا أدرى أفادك من يدرى
وان قلت أدرى لست تعدم سائلا   يبين بالتسآل أنك لا تدرى

(وقال رضى الله عنه) لما سئل عن الدعاء المأثور عن النبى صلى الله عليه واله وسلم فى السجود وهو اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم هل يجوز ذلك مع انه قد نهى عن تلاوة القرآن

في الركوع والسجود وهذا الدعاء متضمن الآية فأجاب ان ذلك يجوز لانه ليس قاصدا التلاوة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نهيت أن أقرأ القران راكعا وساجدا الا ان التلاوة حكاية عن الله تعالى والركوع والسجود موضع خضوع ولا يحكي عن الله تعالى في موضع الخضوع لانه نائب عن الله تعالى وهنا ليس بتلاوة فيجوز وكذلك في سجود التلاوة فتبارك الله أحسن الخالقين (وسئل رضي الله عنه) عن قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فأجاب ان لها وجوها الا ان الله سبحانه وتعالى لا يتحيز فكذلك كلامه لا يتحيز في معنى ومن حيزه في معنى فهو لقصور علمه وفهمه فأحد وجوه تفسيرها هل جزاء الاحسان من الله ابتداء الا الاحسان منه انتهاء أي ما ابتدأ سبحانه وتعالى من العطاء لا يسترجعه لانه حرم ذلك على عبده فما ظنك به جل جلاله وهو بالاحسان بادئ حاشاه يختم بالاساءة ولكن اذا نزعت عن الانسان نعمة أنعم الله عليه بها فاعماه ولكونه لم يقبلها فاذا ألبسه الله حلة فقد يلبسها أياما ثم يلقيها وقد لا يقبلها في الساعة فيقال له أعطيناك حلة فلم تقبلها نحن نعطيها غيرك أي نعمة كانت نعمة دين أو نعمة دنيا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ابتدأ كل انسان بالاسلام لان كل مولود يولد على الفطرة فلم يقبله البعض بل تهود أو تنصر وعلى هذه غيرها من جميع النعم (وسئل رضي الله عنه) عن تفسير قول الله تعالى ويل لكل همزة لمزة فأجاب ان ويل واد في جهنم مخصوص جعله الله للافاك أي الكذاب وللمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وللمطففين وللهمازين اللمازين والهمزة واللمزة متقاربان وهو الذي ينظر في عيوب الناس التي لا تضره ولم ينظر في عيوب نفسه التي تضره قال تعالى هماز مشاء بنميم

وقال

وقال تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات أي يعيبونك والذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات وهم المتشوفون بقلوبهم لما في أيدي الناس فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وقال تعالى الذي جمع مالا وعدده أي هذا الرجل الملازم على جمع ما في أيدي الناس يحسب أن ماله أخلده وقد لا يأكل من ماله ذلك لقمة كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة أي مطبقة في عمد ممددة وذلك لان العمود الحديد اذا صار نارا والنار لا تفارقه فهو أشد في العذاب نسأل الله العافية والسلامة (وسئل رضي الله عنه) أي الاولى للانسان التكسب أو عدمه فأجاب انه ينبغي للانسان أن يقف حيث أوقفه الله فان أوقفه في كسب بقي فيه ولا يتكل على ذلك الكسب فان رجلا من الصالحين كان خرازا فحدثته نفسه يوما انه ان لم يعمل لم يأكل شيأ فقال لها وأنا عقوبة لك يا نفسي لأقفن حيث أوقفني الله ولا أطعمك مما أكتسب شيأ فبقي كذلك حيث أوقفه يتكسب من حرفته ويتصدق به ولا يأكل منه شيأ وان لم يوقفه في تكسب بقي كذلك حيث أوقفه لكن لا يسأل ولا يتشوف قلبه الى اعطاء أحد الا الله وذلك لان الله سبحانه وتعالى خلق خلقا للتكسب فلا بد أن يتكسبوا وخلقا لا للتكسب فلا يمكنهم فلا بأس بالامرين وكلاهما حسن مع شروطهما ألا ترى أن الصحابة في الهجرة بقي منهم جماعة في الصفة منهم أبو هريرة وعثمان بن مظعون لم يأمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتكسب ومنهم من تكسب بالتجارة كعمر وعثمان لم ينههم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وسئل رضي الله عنه) عن أخذ الفقير لما أعطى هل لا بأس

بذلك فأجاب انه لابأس مع عدم السؤال والتشوف لما فى أيدى الناس فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى من شمسه فاضت الانوار على من سبق ومن لحق كان يقبل الهدية وفى الحديث كل لقمة لك لابد أن تأكلها فكلها بعز ولا تأكلها بذل أى ربما أكلتها بسؤال والتجاء الى مخلوق فتأكلها بذل وان أكلتها وأنت عازم ومعتقد أنها من الله وان أعطاك مخلوق فأنت أكلتها بعز وفى الحديث لا ترضين أحدا بسخط الله ولا تحمدن أحدا على رزق الله ولا تذمن أحدا على مالم يؤتك الله فان رزق الله تعالى لا يسوقه اليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره وان الله عز وجل بعدله وقسطه جعل الروح والفرج فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط انما الشكر الذى أمرنا به لمن أحسن الينا لكونه السبب كما قال تعالى أن اشكر لى ولوالديك فان الخالق البارئ المصور هو الله سبحانه وتعالى وأبواك السبب فأمرك بشكرهما بل قرن شكرهما بشكره سبحانه واذا أرجعت ما أعطيته فقد أسأت الادب لان الله تعالى أعطاك ذلك فلم تقبله وهذا اساءة أدب وأى اساءة فرجل عاهد الله تعالى أن لا يسأل أحدا ولا يأخذ شيأ اذا أعطى وهو فى الحج حينئذ فكابد مكابدة عظيمة وأدركه الجهد فلما كان يوم منى رأى رجلا فى أعلى سوق منى يسعى سعيا بالغا فلما سامته ألقى فى حجره فلوسا ثم ذهب لا يستطاع أن يلحق فبقى الرجل مفكرا لانه قد عاهد الله أن لا يقبل شيأ والرجل لم يعلم من هو ولا يمكن لحوقه فأخذ ذلك رغما منه وكان تأديبا له لان هذه الصورة هى أعظم ما يكون فى موافقة ما يريد له لكنه لم يخرج من قبولها (فقيل له) فان كان المعطى ظالما قال ان علمت أنه ينزجر ويخاف

اذا

اذا أرجعت ما أعطاك أرجعته وان لم يؤثر قبضته وتصدقت به لان ما فى يده مال الله محبوس فى يده يدعو الله أن يطلقه فكان لك السعى فى اطلاقه وان كنت تعلم بصاحبه أرجعته له (فقيل له) فان كان أكلا كان يكون دعوة فكنت ممن دعى فقال ان أمكنك الخلوص فهو الأولى وان لم يمكن ولا بد فكل وتصدق بمثله فى مقابلته لانه لابد من المحاسبة على مثاقيل الذر فتكون هذه فى مقابلة تلك وان كنت فقيرا نويت ذلك ان يسر الله عليك ونية المؤمن خير من عمله (فقيل له) فان وقع ذلك كيف الخلوص منه قال التوبة وصورة التوبة فيما كان بينك وبين الله تعالى أن ترجع لكل ذى حق حقه ان كان معلوما وان لم يعلم تصدقت بذلك أو بمثله حتى تعلم أنك قد أوفيت وان كنت فقيرا نويت ذلك ونية المؤمن خير من عمله وقصارى الكلام أن الظالم محنة على نفسه وعلى غيره ففر منه أى فرار ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار والظلم بمعنى النقص قال الله تعالى آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ أى لم تنقص وأى شيء أنقص من نفسك فانها عدوة لك فلا تركن اليها فتمسك النار (وقال رضى الله عنه) سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العاملين ويدخلهم النار أول الداخلين الا أن يتوبوا الا أن يتوبوا الا أن يتوبوا فمن تاب تاب الله عليه الناكح يده والفاعل والمفعول به والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه والزانى بحليلة جاره ومدمن الخمر هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما أدرى السبعة مجموعة فى لفظ الحديث أو كل واحد على انفراده (وقال رضى الله عنه) فى التتن أى التنباك حين حدث بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ثلاثة يكرههن الله قيل وقال

وكثرة السؤال واضاعة المال فقال وأعظم اضاعته فى التنباك فأى عقل لمن اشترى منه الرطل كما بلغنى فى سنة متقدمة عدم فيها وبلغ الرطل أحد عشر ريالا أعقل هذا أو راءه بل هو عسافة من ورائه هلا كسا به عاريا هلا أطعم به جائعا وهو لا يسمن ولا يغنى من جوع وليس بدواء كما يخيل لهم فان الدواء والسم اذا داوم عليهما الانسان لا يضره السم ولا ينفعه الدواء والحال انه داء مقطوع به فكيف زعمهم بأن التنباك دواء وهو يشرب الدواء أكثر من قوته وأيضا فهو داء ألا ترى الى منافس المطبخ التى يخرج منها الدخان كيف اسودت فكيف صدر هذا الشارب له وحلقه قد تراكم فيهما الصدأ فكيف يرجى النفع فيما هذا حاله فانا عرفنا عدة من الناس ممن تركه ابتهجوا وخفت عليهم المؤنة واعتدلت طباعهم كما أخبرونا وتوفر لهم النوم الذى هو سبات الانسان وثبات عقله والحال أنه تركه بعد أن فعله فكيف الذى لم يذقه البتة هل اتفق له داء لا يكون دواؤه الا التنباك لا بل ليس مذكورا فى كتاب من كتب الحكماء ولا سمع عن حكيم انه دواء فأى اضاعة للمال أشد من هذه الاضاعة مع أنه أخبرنى من أثق بخبره ولا أشك فى صدقه أنه رأى النبى صلى الله عليه واله وسلم فى المنام فقال له يا رسول الله التنباك حلال أم حرام فالتفت الى عائشة وهى بجنبه فقال لو شربته هذه لما قاربتها فقال أحلال أم حرام قال لو شربته هذه ما قاربتها ثلاثا قال الرائى فحدثت نفسى أنى أقول له هل حرمته فى الشريعة ففى أى موضع من مواضع الحديث فأنسيت فى الحال فانظر الى هذا الذى لو شربته عائشة أم المؤمنين لفارقها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أى داهية أعظم من فراق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم المؤمنين وأى

تعريض

تعريض بتحريمه أعظم من هذا ومن رأى النبى صلى الله عليه واله وسلم فقد رآه حقا ومن راه مناما فكأنما راه يقظة (وقال رضى الله عنه) لما سئل عن الذنب الذى أذنبه داود عليه السلام فخر له راكعا وأناب فقال قد ذكر رجل فيما تقدم فى مجلس عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قصة داود عليه السلام فقال رجل من العلماء ان كانت القصة كما ذكرت فالله ستره فلا ينبغى لنا أن نهتك ستر الله على رسوله وان كانت القصة لا أصل لها فلا ينبغى لنا أن نكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هذا الكلام أحب الى من حمر النعم وما قاله المفسرون فى قصة داود عليه السلام أخذه بعض العلماء السالفون فقال لم يذكره الله سبحانه وتعالى فان قلنا اما أن نخطئ أو نصيب فان أخطأنا كذبنا على نبى الله وان أصبنا كشفنا ستر الله لانه لم يذكره وقد غلط ههنا كثير من المفسرين والمقام خطر نسأل الله العافية (وقال رضى الله عنه) اذا أردت أن تسترشد أحدا أو تأمره أو تنهاه فابدأ بنفسك ثم بأهلك فان عمر رضى الله عنه كان اذا أراد أن يأمر بشئ أو ينهى عنه لا يفعل حتى يبدأ بأهل بيته ثم لن لمن وعظت ولا تنفره بالتبكيت فان بعض العلماء دخل على الرشيد فقال له انى جئت لأعظك فاصبر لى لانى أريد أن أغلظ عليك فقال لا تفعل فان الله أرسل من هو خير منك الى من هو شر منى فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فكان الرشيد أعلم منه واذا لنت فى الخطاب كنت مقتديا بالقرآن والسنة وما عليك أن لا ينفع أمرك أو نهيك فان الموعظة كالريح تجمع بين الضدين تطفئ وتؤجج قال تعالى واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض

فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون (وسئل رضى الله عنه) عن
أخذ الاجرة على درس القرآن أو على تعليمه فأجاب ان ذلك حرام لان النبى
صلى الله عليه وآله وسلم هو المقتدى به فى جميع الامور ولم يبين لنا صلى الله
عليه وآله وسلم أن ذلك الحكم خاص به ونحن مأمورون باتباعه فاتبعونى
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والحق سبحانه وتعالى يقول لرسوله قل
لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى
الا على الله وفى الحديث حق على الله فى قارئ القرآن أن لا تأكله النار مالم
يأكل به مالم يعل به مالم يراء به مالم يدعه الى غيره وأحلت الاجرة فى الرقيا به
لا غير كما ثبت فى حديث وما يدريك أنها رقيا ثم قال اقسموا لى معكم ليبين
لهم أن ذلك فى غاية من الحل ثم هو صلى الله عليه وآله وسلم مأمور بالتبيين
قال تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون فلو
كان قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى خاصا به لبين لنا
فان القرآن لم يجمل بل بين بعضه بعضا أو بينته السنة فانظر الى قوله تعالى
فاغسلوا أيديكم واليد عند العرب مطلقا الى العضد فبين بقوله الى المرافق
وقال والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ولم يبين فبينته السنة بان ذلك
من الرسغ ومن السنة ما بينته السنة مثل تجزيك ولا تجزى غيرك فكيف
لا يبين لنا أمر الأخصية ونحن مأمورون باتباعه وما كان ربك نسيا (ومن
فوائده رضى الله عنه) فى الطب انه وصف من ابتدأ فيه الجدرى أن يطلى
بنشا يخلط عليه ملح بقدر ما يؤثر طعمه فيه وذلك مجرب نفعه ويطلى بواطن
قدميه بحناء وعصفر فانه يدفعه عن العينين ووصف فى الورم اذا وقع فى
الرجل واشتد الوجع بأن يؤخذ زبل الغنم القديم ويدق ناعما ثم يطبخ بماء

طبخا

طبخا جيدا ثم يضمد عليها (وقال رضى الله عنه) اذا نظرت الى من عصيت
فلا صغيرة من الذنوب بل أصغر الصغائر كبيرة فانظر الى من أذنبت اليه
ولا تنظر الى الذنب نفسه (وقال رضى الله عنه) عامل العبد لاجل سيده فان
عاملت العبيد لاجل سيدهم عاملك بما عاملتهم به سيجزيهم وصفهم إنه
حكيم عليم فان كنت رحيما بهم كان بك رحيما وان كنت عفوا عنهم
كان عفوا عنك وما اتصفت بصفة من صفاته سبحانه وتعالى الا اتصف لك
بها عند الفاقة والاحتياج والافتقار (وقال رضى الله عنه) قال الله سبحانه
وتعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا سبحانه وبحمده ما ألطف هذا الامر
من ملك الدنيا والآخرة نزل نفسه سبحانه وتعالى منزلة المستقرض لما
ادعينا أن لنا مالا وأنا نملكه فطلب منا شيأ منه على جهة القرض نعطيه
فقراءنا وهو يتولى قضاءه فجعل نفسه وليا فى الاخذ للقرض وفى القضاء
فان الصدقة لا تقع فى يد الفقير الا وقد وقعت فى يد الله ليربيها حتى تكون
اللقمة كأحد ويضاعفها لنا ثم يعطينا اياها عند الفاقة والحاجة اليها
وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا
لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن
تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد أى أنفقوا من أطيب ما تجدون كما
فسره قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وكما تحبون أن يعطيكم
الله سبحانه وتعالى فأحبوه لغيركم منكم ولو نظر الغنى الى النعم التى أنعم الله
عليه بايجاد الفقير وهو سبحانه قادر على أن يغنى الجميع لكان الفقير أعز عنده
من كل شئ لكونه سببا لهذا الشرف وهذه المزية التى لا يعادلها شئ وهى
أخذ الحق منه سبحانه وتعالى (وقال رضى الله عنه) لما رغب النبى صلى



الله عليه وآله وسلم الصحابة فى الصدقة قال عمر رضى الله عنه وصادف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندى مال ثم قال عمر رضى الله عنه فى نفسه ان كنت سابقا سبقت أبا بكر اليوم بصدقة عند تجهيز الجيش الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فحمل نصف ماله ثم أتى واذا أبو بكر رضى الله عنه قد أتى بجميع ماله فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعمر ما تركت لاهلك قال تركت لهم نصف مالى وقال لابى بكر ما تركت لاهلك قال تركت لهم الله ورسوله قال صلى الله عليه وآله وسلم بينكما ما بين كلمتيكما وجاء رجل آخر بشىء من ذهب وذلك جميع ماله فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم ألك غيره قال لا فارجعه له فأعطاها ثانيا فأرجعها النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاعطاها ثالثا فرمى بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى كاد أن يشجه وذلك لانه صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعل شيأ الا باذن ربه تعالى فأبو بكر أخذ منه جميع ماله لانه قال تركت لهم الله ورسوله والرجل لم يقبل منه لكونه قال ما تركت لهم شيأ والفرق بين أبى بكر وعمر فى الفضل كالفرق بين كلمتيهما لانه صلى الله عليه وآله وسلم قال لهما بينكما ما بين كلمتيكما

(وقال رضى الله عنه) فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة إن ذلك ليس موقوفا على هذه المذكورات بل تعس عبد الكتاب لانه يلهو بنقشه عن عبادة الله يخدم الخادم ويرفض المخدوم فربما بقى فى تدقيق المسائل حتى فاتته الجماعة أو الوقت وتعس عبد الهيئة فربما لا يخرج بين الناس الا فى هيئة مخصوصة فهو يعبدها ويسوى عمامته ويتعب فى تحصيل ما يشترى به الثوب الذى لا يبرز بين الناس الا به واذا شغله شىء عن الله فقد شاركه فى العبادة

ومعنى

ومعنى ذلك أن تدخل ذكره على فكرك كلما ذكرت الله سبحانه ذكرته مثله أو أقل أو أكثر فان كان مثله فهو معنى قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ومعنى قوله سبحانه والذين هم بربهم يعدلون أى يعادلون به غيره كمعادلة المحمول على البعير وهى المساواة وان كان أكثر فهو معنى قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره وان كان ذكره تعالى أعدل وأكثر فهو أول درجات الايمان وهو معنى قوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وذلك أنه بقدر ذكرك للشىء يكون حبك له واذا لم يكن فى قلبك الا الله ولا تحب سواه فلا تذكر غيره ولا تشتغل الا به وهذه أعلى درجات الايمان فلا تشتغل بنقل الرسوم ولا بغيرها عن عبادة الله سبحانه وتعالى ليكون قلبك فارغا عما سوى الله سبحانه بجميع أفعالك وحركاتك وسكناتك وأقوالك (قيل) أن مجنون ليلى لما زارته وقالت ها أنا ذه ما تريد منى قال لها اليك عنى فان حبك قد شغلنى عنك وأما من أنفق بسطته فى طلب الرسوم ظانا أنه العلم فقد أخطأ ولو علم معنى قوله تعالى وقل رب زدنى علما أن المراد علمه بالله سبحانه وتعالى لما خاض فى الرسوم والزيادة فى الاحكام فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم وضع عنا من الاحكام منها أنه راجع فى الصلاة من خمسين الى خمس ومنها أنه لم يعد لصلاة التراويح خشية أن تفرض والعلم بالله سبحانه مستفاد من تقواه واتقوا الله ويعلمكم الله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل (وسئل رضى

الله عنه) عن تعارض الحديثين مثل حديث علي بن طلق في مس الذكر انما هو بضعة منك وحديث بسرة من مس ذكره فليتوضأ فأجاب أن لا تعارض بينهما والعمل بهما لا يرجع الى قاعدة المحدثين من التصحيح والتضعيف لانه قد وردا الحديثان فان عملنا بحديث طلق لم يبق عمل بحديث بسرة وان عملنا بحديث بسرة كان العمل بكلا الحديثين فعملنا به وحكمنا بالوضوء لانه ان كان ناقضا فقد توضأنا منه وان كان غير ناقض فالوضوء على الوضوء نور على نور واذا وردت أحاديث مثل أحاديث التشهد فالاولى العمل بها جميعها ففي رواية التحيات لله والصلوات والطيبات وفي رواية التحيات لله الصلوات لله الطيبات لله وفي رواية الغاديات الرائحات وفي رواية أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وفي رواية بحذف لا شريك له وفي أخرى بحذف وحده وحذف لا شريك له فيعمل بالجميع تارة بهذا وتارة بهذا ثم قال في حديث الزكاة فيما سقت السماء وأنبتت الارض وحديث لا زكاة فيما دون خمسة أوسق لا تعارض بينهما وانما قدر الاوسق لكونه قد أجمل فيما أنبتت الارض فشمل الخضراوات وغيرها فبين بذكر الاوسق أنه لا يزكى الا ما يكال وأفاد فائدة جيدة وهي تقييد النصاب فالثاني مبين والاول مجمل وفي القران أيضا ما هو مجمل يبين بعضه بعضا كما في قوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت هذا مجمل بينته احدى القراآت من أم وقوله تعالى فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا هذا مجمل بينته احدى القراآت وهي بعد قوله وكان أبواه مؤمنين وكان هو كافرا فهذا صريح وان أدمج كفره في قوله فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن هذا

مجمل

مجمل بينه الثابت في احدى القراآت لهن غفور رحيم (وسئل رضي الله عنه) عن هذا الشرط فقال لا يؤخذ بمفهومه بل اذا لم ترد تحصنا وهي زانية فلا يملكها بل يبيعها ولا يجب عليه أن يبين للمشتري أنها زانية ولا يكون عدم التبيين خيانة لان القلوب بيد الله وهو مقلب القلوب سبحانه فتركها هو الذي يجب عليه انتهى (وسئل رضي الله عنه) عن الشرط الذي في قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا (فأجاب) ان الآية تحتمل معنيين أحدهما قصر الصلاة من رباعية الى ثنائية والآخر عدم التطويل لانه ثبت أنه كان يحصل لبعض الصحابة رضي الله عنهم حزن بعدم التطويل وفي بعض الاحاديث أن اثنين من الصحابة قام أحدهما يصلي ونام الآخر فجاء العدو ورماه بسهم فسهم اثنين أو ثلاثة فقال النائم للمصلي هلا أيقظتني قال كنت في سورة طويلة فخشيت أن أقطعها ومفهوم الشرط معمول به في هذا المعنى وأما على كون القصر من الرباعية الى الثنائية فليس الشرط معمولا به بل تقصر الصلاة في السفر في الامن (وسئل رضي الله عنه) عن قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب (فأجاب) بان الحكمة هي استعمال العلم في محاله وأن يجتنب ما نهاه ربه عنه على أحسن حال وأن يستعمل مكارم الاخلاق مع جميع خلق الله تعالى (وقال رضي الله عنه) في قوله تعالى ففهمناها سليمان قال المذكور في القران قصة واحدة وهي ثلاث قصص الاولى المذكورة في القران وهي قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وذلك أنه لما جاء الخصمان عند داود وعليه

السلام حكم عليه داود أن يغرم لصاحب الزرع زرعه فلم يجد ما يغرم صاحب الغنم سوى الغنم فغرمها جميعها لصاحب الزرع فمرا على سليمان عليه السلام فسألهما عن حكم داود فأخبراه فقال أنا أحكم غير هذا الحكم الغنم تبقى لدى صاحب الزرع ينتفع بألبانها وصوفها وصاحب الغنم يقوم بمؤنة الارض حتى تعود كما كانت عليه وكل واحد منهما يرد لصاحبه حقه فقال الله سبحانه وتعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وداود حكمه ذلك هو عين الصواب لانه حكم عليه بان يغرم ما أفسدته أغنامه فقدر الذى أفسدته جاء بقيمة أغنامه فهو عن علم وحكم لكن حكم سليمان أخف لان كل واحد منهما صارت نفسه طيبة بذلك الحكم والقصة الثانية أن امرأتين خرجتا الى البرية بولديهما صغيرين فجاء الذئب فافترس أحد الطفلين فسبقت الكبيرة من المرأتين وقد فقدت ولدها الى ابن الصغرى فأخذته وادعت أنه ولدها فتحاكمتا الى داود وكل واحدة ادعت أنه ولدها لكن لما كان فى يد الكبرى حكم لها به لكون يدها ثابتة عليه وذلك عين الصواب فى الحكم فمرتا على سليمن فسألهما عن الحكم فذكرتا له حكم داود فقال لا عندى حكم غير هذا ثم أخذ الشفرة وقال نقسمه نصفين لكل واحدة نصفه فرضيت بالحكم التى هو فى يدها والاخرى قالت لا تقسمه يا نبى الله هو ولدها قد رضيت بحكم داود فعلم أنه ولدها لانه أدركها الحنان الذى لا يتفق الا للام فحكم لها بالولد القصة الثالثة أنهم جاؤا بامرأة بكر حول فرجها منى فأراد داود أن يقيم عليها الحد فقال سليمن ائتونى بنار ثم أحمى الذى يزعمون أنه منى على النار فنضج واذا هو زلال بيض فتيقن أن ذلك كيد وأنقذها من حكم

الجلد

الجلد (وسئل رضى الله عنه) ما الفرق بين العفو والغفران فقال الغفران بعد العتاب والعفو بلا عتاب كما جاء فى الحديث ان الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يكتب الى رجل من عباده كتابا يقول فيه أنت فعلت وتركت يذكر ذنوبه ثم يقول لكن قد غفرناها لك ولم نطلع أحدا عليها فيخجل ذلك الرجل غاية الخجل من ذلك فهذا غفران والعفو تفسيره ما ورد أن الله سبحانه وتعالى يذكر ذنوب الرجل شائب فيقول لا يا رب ما فعلت شيأ من ذلك فتقول الملائكة أما علمت يا رب أنه فعل ولكنه كذب فيقول بلى ولكنى استحييت أن أكذب شيبته فيدخله الله سبحانه الجنة فسبحان اللطيف الخبير بهذا الذنب العظيم وهو انكاره لذنوبه عند توبيخه بها من المطلع عليها الذى سعد بسببه السعادة العظمى فهذا هو العفو وأى عفو هذا يعنى أن العفو كونه لم يظهر أنه كذب بل ستره ولم يعاتبه عليه (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك وهى الجمال والكمال ويهديك صراطا مستقيما وهو سر قوله تعالى ان ربى على صراط مستقيم وينصرك الله نصرا عزيزا والنصر العزيز لا يكون الا لله تعالى ثم قال بعد تمام هذه الآية انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا أعاد الضمير مفردا ولم يعده مثنى فههنا نكتة بينها قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وذلك معنى قوله تعالى فى الحديث القدسى لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق

به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى

تأمل سطور الكائنات فانها ... من الملك الاعلى اليك رسائل
وقد خط فيها ان تأملت خطها ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وفي بيعة الرضوان قال النبي صلى الله عليه وسلم هذه يد الله وأشار الى اليمنى وهذه يد عثمان وأشار الى اليسرى أو قال اليسار ثم وضع احداهما على الاخرى فظهر معنى ذلك بالفعل في ارتقاء عثمان رضي الله عنه على المنبر الى الدرجة التي كان يرتقي اليها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن ولي الأمر قال الله سبحانه وتعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فرقى النبي صلى الله عليه وسلم الى درجة النبوة ثم رقى أبو بكر رضي الله عنه الى الدرجة التي تحتها وهي درجة الصديقين ثم رقى عمر رضي الله عنه بعده الى درجة الشهداء وهي التي تحتها ثم جاء عثمان رضي الله عنه فرقى الى الدرجة التي كان يرقى اليها النبي صلى الله عليه وسلم وذلك في شطر خلافته الأخرى ليظهر سر وضع يد الله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله في يد عثمان عند بيعة الرضوان وهم نقموا على عثمان في ذلك ولكنهم لم يعرفوا الحقائق في الأمور وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل (وقال رضي الله عنه) كان النبي صلى الله عليه وسلم يقف على رؤس الآى ويرتل القرآن وذلك مأخوذ من الرتل وهو الفرق الفاصل بين الاسنان كما أمره الحق تعالى ورتل القرآن ترتيلا فان قراءة الفاتحة ورد في الصحيح ان الانسان يقول الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي فيقول الرحمن الرحيم فيقول الله تعالى أثنى على

عبدي فيقول مالك يوم الدين فيقول الله سبحانه وتعالى مجدني عبدي ثم يقول اياك نعبد واياك نستعين فيقول الله سبحانه وتعالى هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ثم يقول اهدنا الصراط المستقيم الى آخرها فيقول سبحانه وتعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل فالوقوف عند رؤس الآى حتى يجيبه ربه بذلك لان شروع العبد في الكلام الثاني قبل جواب سيده عليه في الكلام الأول من سوء الادب وقولهم لا يقف الانسان عند قوله ان الانسان لفي خسر انما هو رأي لا فائدة تحته فان القارئ اذا وقف على خسر استشعر القلب أمرا يجب عنده الحضور وبعد كماله في الحضور ووقوفه في مرتبة الخوف يبتدئ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر كذلك في قوله ثم رددناه أسفل سافلين يستشعر القلب وكأنه يسائل عند ذلك أو يقف على ما يطمئن به خاطره وذلك قوله تعالى آيات للسائلين والسائل هو الذي يمعن النظر في التدبر فاذا كان كذلك فلا بد أن يحصل الخوف عند قوله أسفل سافلين ثم يتأمل قليلا عند وقوفه في هذه الاسفلية ثم يفتح باب الرجاء بقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فينبغي للقارئ أن يقف على رؤس الآى كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم (وقال رضي الله عنه) في مدح التخلي عن الناس قال الله سبحانه وتعالى فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا في مريم عليها السلام وقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب فنتيجة الوهب تحصل من مقدمة العزلة (وقال رضي الله عنه) المؤمن كلما اتصف بصفة من صفات الله تعالى قرب منه الا سورة الاخلاص فلا يشاركه في صفاته فيها أحد فان ادم عليه السلام لم

يولد لكنه يلد وعيسى عليه السلام لم يلد لكنه يولد من جهة الأم لا من جهة الاب والله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا اله الا هو امنا بالله وكتبه ورسله (وقال رضى الله عنه) تأملت فى قوله تعالى فى قصة سليمن عليه الصلاة والسلام فسخرنا له الريح تجرى بأمره وقال للنبى صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شىء فلاح لى المعنى بحمد الله فسررت به وهو أن الله سبحانه وتعالى تولى أمره جميعه فى جميع أحواله فى حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وسيره ووقوفه ونطقه فهو سبحانه بصره ولسانه وسمعه ويده (قيل) لبعض الأولياء وهو أبو يزيد رضى الله عنه فوّض أمرك الى الله فقال ليس لى أمر فأفوّضه اليه وفرقان بين الامر من الله سبحانه وتعالى وبين الامر من العبد (وقال رضى الله عنه) فى قوله تعالى واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وهو جل جلاله اذا أمر بخلق حسن فهو أحق به بدليل ما كان الله لينهاكم عن الربا ويأخذه منكم فهو أحق سبحانه اذا حضر قسمة الرحمة منه سبحانه وتعالى بين خلقه أن يرزق منها من أساء من خلقه وهو أرحم الراحمين لا يحكم على خلقه حكما الا وهو أولى به جل وعلا وحين خرج موسى عليه السلام يستسقى بجميع قومه أوحى الله اليه إن فيكم رجلا نماما خطاء فقال يارب عرفنى من هو أستتيبه فقال كيف أنهى عن النميمة وأكون نماما سبحانه وتعالى ما ألطفه بخلقه وأمره أن يأمرهم جميعا بالتوبة فيكون من جملتهم وفى الحديث ما معناه ان الله لا يعذب مسلما تسمى باسم نبى كرامة له من حيث اتحاد الاسم ولا يعذب الله سبحانه وتعالى من تسمى مؤمنا يقول أنا المؤمن وقد سميتكم المؤمنين فقد وافق اسمكم

اسمى

اسمى فادخلوا فى رحمتى وهذا اعظم الرجاء ثم قال واجعل الخوف فى معادلته فانه ليس للتسويف هنا مسلك بل الرجاء يكون أكثر من الخوف لانه ورد أن المحتضر للموت اذا كان عنده أحد فليذكره بالرجاء وسعة الرحمة كذلك الانسان فانه فى كل حالة محتضر وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير فليس للتسويف هنا من مدخل ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ومن هنا يتولد التسويف يعنى من طول الامل وهو استبعاد الآخرة لا من الرجاء (قيل) لرجل صالح علمنى فقال أجمع لك التوراة والانجيل والزبور والفرقان فى ثلاث كلمات أن تخاف الله تعالى خوفا لا يكون شىء أخوف عندك منه وترجوه رجاء أشد من خوفك منه وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وفى الحديث أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء (وسئل رضى الله عنه) عن قول الله سبحانه وتعالى وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك من هو الظان هنا (فأجاب) بأن الظان هو الرجل لا يوسف لانه لا يجوز الظن على يوسف عليه الصلاة والسلام لانه أوحى اليه الحق سبحانه وتعالى بتأويل الرؤيا والظن لا يغنى من الحق شيأ وإياكم والظن فانه أكذب الحديث فكيف يظن يوسف فيما أوحى اليه ربه سبحانه وتعالى وقد غلط المفسرون فى قوله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ان الظن هنا فى موضع العلم وليس كذلك بل الظن هنا فى محله والمراد أنهم يظنون فى صلواتهم تلك أنهم ملاقو ربهم فيصلون صلاة مودّع وهذه حالة المؤمن أنه فى كل حالة يترقب الموت (وقال رضى الله عنه) قال رجل صالح لآخر من أين أقبلت فقال من الصيد قال

أولست محرما يعنى أنهم قاصدون ربهم كما يقصد الحاج مكة فان الحاج يحرم
حتى يقضى مناسكه كذلك هم محرمون حتى يلاقوا ربهم فاذا لقوه أحل
لهم كل شئ وهذه حالة عظيمة وهى سر قوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده وقال تعالى وله أسلم من فى السموات والارض حتى
الغنم والبقر سالمة من شرهم والحال أنهم يذبحونها لكن ذلك بغيتها فان
أكل المسلم لها عندها كالشهادة عندنا فذلك الذبح أوصلها بغيتها التى
لا بغية لها فوقها وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده هو من حديث
تمامه والمهاجر من هجر مانهى الله عنه والمجاهد من جاهد نفسه وهواه وهو
الجهاد الاكبر وقوله المهاجر من هجر مانهى الله عنه أى اذا رأيت منكرا
وماقدرت على ازالته تركته وقت عنه وانتقلت الى موضع غير ذلك الموضع
ولو بمسافة يسيرة فان خطواتك تلك خطوات هجرة وكذلك قوله تعالى الذين
يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع
الصابرين أى يظنون فى ذلك القتال لان المجاهد الصابر متيقن لاحد
الامرين إما الشهادة أو النصر ومتظنن أيهما يقع بخلاف الفار من الزحف
فانه ايس من الامرين لان النصر قد فقد بالفرار لا محالة وكذلك الشهادة
والفرار أيضا لا ينجيه من القتل ان كان كتب عليه فربما وقع فيما فر منه
وحرم إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة ذلك هو الخسران المبين فالظن فى
محله كما ترى (وقال رضى الله عنه) فى تفسير قوله تعالى لايلاف قريش
ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من
جوع وآمنهم من خوف رحلة الشتاء والصيف هو اتيان الحجيج اليهم أى
قريش فى الشتاء ان كان الحج شتاء أو فى الصيف ان كان وقت الحج فى

الصيف

الصيف لانهم يقبلون الى مكة من كل فج عميق ويقتحمون الاخطار والمشاق
يأتون بارزاق أهل مكة تجبى اليه ثمرات كل شئ وهذه هى المنة العظيمة
عليهم أن غيرهم يسعى اليهم برزقهم مع مشقة عليه وأى مشقة يقاسون
من الشدة والتعب والبردان كان الحج فى الشتاء ومن شدة الحران كان
الحج فى الصيف وهم ماكثون قاطنون فى أوطانهم امنون كما تراهم الآن
فليعبدوا رب هذا البيت الذى هو السبب فى ذلك الذى أطعمهم من جوع
وآمنهم من خوف لا كما ذكر المفسرون من أنها رحلة اليمن والشأم يرحل
اليهما أهل مكة وهم قريش لان الله سبحانه أراد أن يظهر لهم النعمة التى هم
فيها ويعرفهم بها وأما اذا سافروا بأنفسهم فهم كغيرهم من الناس بل يحمل
اليهم من محاسن جميع الارض وهم واقفون فى أوطانهم يأتيهم بها غيرهم
وهذه هى النعمة العظيمة التى لا نعمة فوقها (وسئل رضى الله عنه)
عمن رأى النبى صلى الله عليه وسلم على غير الصورة التى هو منعوت بها
هل يعمل بها أم لا وهل الرؤيا على غير هذه الصورة حق أم لا (فأجاب)
انها رؤيا حق وان من رأى النبى صلى الله عليه وسلم فقد رآه حقا وان
كان على غير صورته بدليل أن جبريل عليه السلام كان يجيء للنبى صلى الله
عليه وسلم على صورة دحية وانما تختلف حالات الرائين له صلى الله عليه
وسلم ففى المرآة تنظر صورتك فان كنت حسنا رأيت حسنا وان كنت قبيحا
رأيت قبيحا كذلك من رأى النبى صلى الله عليه وسلم يراه على قدر عمله مع
الله سبحانه وتعالى والمؤمن مرآة أخيه وأما اذا أمره بامر أو نهاه عن نهى
فان كان على الصورة المنعوت بها صلى الله عليه وسلم فأمره فى النوم
كأمره فى اليقظة فى انه يتبع وكذا مانهى عنه وأما اذا لم يكن على صورته تلك

فلا يتبع الا اذا وافق الشرع ثم ذكر رضى الله عنه فى المرآة معنى آخر
فقال والمرآة هذه آية عظيمة فانك ترى صورتك فيها متيقنا لذلك وتعلم أيضا
يقينا أنها ليست صورتك فهو عدم ووجود فى حالة واحدة ضدان لا يفترقان
وكذلك حين خلق الله آدم قبض يديه تعالى كما يليق بجلاله ثم قال لآدم
اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين مباركة كما يليق
بجلاله سبحانه وتعالى ففتحها فاذا فيها آدم وذريته وجميع الانبياء كما ورد
ذلك فى الحديث فذلك الظهور وجود فى عدم وعدم فى وجود فسبحان
الله العظيم (وسئل رضى الله عنه) عن قوله تعالى أولم يكن لهم آية أن يعلمه
علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به
مؤمنين فقال الضمير فى يعلمه يعود الى النبى صلى الله عليه وسلم
والعلماء منهم هم الذين آمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأما الذين
لم يؤمنوا به فليسوا بعلماء بل هم أجهل الجهال حتى انه لما نزل قوله تعالى
يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قال بعض من آمن بنبينا صلى الله عليه وسلم
وهو عبد الله بن سلام رضى الله عنه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم والله انا
لنعرفه أعظم من معرفتنا لابنائنا لأن أبناءنا قد تخوننا أمهاتهم فهذه آية
لمن كفروأى آية وذلك أن علماء بنى اسرائيل آمنوا به لما علموا أنه
رسول الله خاتم النبيين نبى الساعة الموصوف عندهم فى التوراة والانجيل
كما قال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من
أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه
فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار أى ان

مثل



مثل كل منهم فى التوراة والانجيل وكما ثبت أن آدم سأل ربه أن يريه صور
بنيه أى الرسل منهم فأراه صورهم فصورهم آدم وجعلهم فى خزانة فلما وصل
ذو القرنين سرنديب أخرج تلك الصور ليجعل لكل نبى تمثالا ففعل ذلك
ثم ان نفرا من المسلمين رحلوا الى هرقل فهللوا حتى تحرك البنيان وغلق
الابواب والشجر فقال لهم هرقل أهكذا يكون فى بلادكم قالوا لا وانما وقع
هنا الشئ يعلمه الله فقال هرقل ما أحسن الصدق فسألهم عن النبى صلى الله
عليه وسلم فأخبروه فعمد الى الصندوق وجعل يخرج صورا ويقول عند
كل صورة أهذه صورته وهو يقول لا فلما وافق صورة من الصور قال
هذا نبى الساعة وشأنه هذا ثابت الى يوم القيامة فهذا يدل على أن للنبى
صلى الله عليه وسلم وأصحابه أمثالا عندهم فى التوراة والانجيل حتى
لا يشكوا فى معرفتهم فهم معروفون عندهم بالصفات والذوات فهما
ورؤية ولما رأوه صلى الله عليه وسلم بتلك الصفة التى فهموها ورأوها
آمنوا به وهم على يقين لا يشكون بل أوضح من الشمس فهذه آية لمن
كفر وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم أى القرآن ما كانوا
به مؤمنين أى أنهم يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم من حين ولادته
بينهم لم يجالس شاعرا ولا كاهنا ولا أحدا من بنى اسرائيل فيقولون تعلم
شعرا أو سحرا أو أخبره بنو اسرائيل بسبب مجالسته لهم بل يعرفونه فيهم
أميا لا يفارقهم فلما أقيمت عليهم الحجة لم يؤمنوا به قال الله تعالى ولو نزلناه
على بعض الأعجمين فقرأه عليهم بلسان فصيح ما كانوا به مؤمنين وذلك مثل
قوله تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ
قبلا ما كانوا ليؤمنوا ومن يضلل الله فما له من هاد (وقال رضى الله عنه)

قال النبي صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي وفي حديث آخر لا يكون المسلم مسلما حتى تكون ذاتي أحب اليه من ذاته ونفسي أحب اليه من نفسه وعترتي أحب اليه من عترته (قيل) ان رجلا من المغرب نزل على بعض السودان ضيفا فخرج به في بعض الايام الى البرية واذا ملك السودان يمشي بعساكره وخيله فلما بلغ من مرآهم ما يتميز به الاسود من الابيض ترجل ثم بقي يمشي راجلا حتى جاوزهم بمسافة ثم ركب فقال الاسود للمغربي أتعرف لمن ترجل الملك قال لا أدري قال لما رأى ك أبيض نزل تأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم لكونه أبيض فانظر الى هذا التأدب يترجل من فوق فرسه لأجل اللون الذي وافق لون النبي صلى الله عليه وسلم (وسئل رضي الله عنه) عما وصل الى الثوب من الماء الذي يرش به الاسواق بعد وصوله الى الارض (فأجاب) بأنه طاهر وان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه دخل المسجد بعد أن خاض في الطين بعد أن توضأ وقدماه غير جافتين بلا نعال ولا شيء بعد أن مشى في الطريق العامة وقال النبي صلى الله عليه وسلم الارض يطهر بعضها بعضا ولم يأمر بتطهير النعال عما بل كان يصلي بنعليه والصحابة بعده بنعالهم فنزل في بعض الاحيان جبريل يخبره أن في احدى نعليه عذرة فخلعها وبنى على صلاته تلك وخلع الصحابة نعالهم فلما فرغ قال لهم لم خلعتم نعالكم قالوا اقتداء بك يا رسول الله فقال انما أخبرني جبريل الحديث (وسئل رضي الله عنه) عن أصول الريش والشعر قال مسكوت عنه والمسكوت عنه عفو وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب فرسا معرّاة ومعلوم أنه لا بد أن يقلع من شعرها

ويعلق بثيابه (وسئل) رضي الله عنه عن الصلاة على النبي صلى الله عليه واله وسلم في التشهد الأوسط قال ذلك غير وارد فقال السائل لكنه قد ذكر وفي الحديث البخيل كل البخيل من ذكرت عنده ولم يصل علي وحديث امين لما قال جبريل من ذكرت عنده ولم يصل عليك فأبعده الله فقلت امين قال قد سلمنا عليه في التشهد الأوسط وصلينا عليه في التشهد الأخير ونحن في ذكر واحد لم نخرج عنه فقيل له ما الصلاة البتراء قال أن تصلي عليه من دون آله لانها تنزع منها البركة لان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا وكذلك آله تعود عليه من كل واحد منهم عشرا عشرا بالغا ما بلغوا ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه (وسئل) رضي الله عنه عن القاتل هل له توبة قال نعم قال الله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما فيبدل قتله ذلك كأنه قتل كافرا في سبيل الله وعبادته لغير الله كأنما عبد الله في تلك المدة وزناه كأنه نكح أهله كذلك ما رواه البخاري وغيره فيمن قتل تسعة وتسعين نفسا وحبرا وقتل الحبر من أعظم البلاء وروى أنه بعد أن قتل سبعة وتسعين سأل حبرا فقال لا توبة لك فقتله ثم ثانيا ثم ثالثا حتى كملوا مائة فأتى حبرا عارفا بحقائق الامور فسأله فقال وما يمنعك من باب التوبة فقال وكيف أصنع قال اذهب الى قرية كذا فان فيها رجالا يعبدون الله تعالى فأتهم واعبد الله فيهم حتى يأتيك اليقين ففعل فلما وصل نصف الطريق قبض الله روحه فابتدرته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب

فاختصموا فجاءهم ملك فحكم بينهم أن يقيسوا مسافة الارض من حيث
سافر فى التوبة والى المحل الذى يريده فان كانت مسافة السير من حيث تاب
الى هنالك أكثر كان لملائكة الرحمة فأمر الله تلك المسافة أن تمتد
فامتدت والاخرى أن تنزوى فانزوت حتى كانت التى سافرها أكثر
فخطفته ملائكة الرحمة وهذا الرجل من بنى اسرائيل مع أن الله
سبحانه وتعالى كتب عليهم أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض
فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا فهو
كمن قتل الناس جميعا مائة مرة فما ظنك بمن كان من هذه الامة وقد رفع عنهم
إصرهم وبقى لهم الخير ممن سبق من الامم قبلهم فمن قتل منهم نفسا فما قتل
الا اياها لا يكون كمن قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس
جميعا فهو بالتوبة أحق وأجدر وأما ما قال ابن عباس لا توبة لك فذلك
رجل كان يقتل ثم يتوب فقال هل لى من توبة فقال له لا توبة لك لان
نيته أن يقتل ثم يتوب لان ذلك إصرار وأما من فعل الذنب ثم بعد ان فعله
تاب وندم انما غلبه هواه والشيطان وحكم عليه القدر فتلك توبة مقبولة
لا محالة ومن ثم ما كان من الزجر الوارد فى الكتاب أو فى السنة يبقى على حاله
كقوله صلى الله عليه وسلم سبعة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم
عذاب أليم الناكح يده والزانى بحليلة جاره والضارب والديه حتى يستغيثا
والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه ومدمن الخمر والفاعل والمفعول به وأمثال
ذلك لان معاملة الله سبحانه وتعالى لعبده يوم القيامة على مقتضى حكمته
كذلك هذا الرجل الذى من بنى اسرائيل قاتل المائة من ذا يعلم أن مثله يتاب
عليه اذا قتل وقد ورد فى حديث أنه يخرج رجل من النار بعد كذا أعواما

واسمه

واسمه هناد وهو مقطوع بخروجه من النار الى الجنة فأى مزية أعظم
من هذه وفى حديث آخر أنه توزن أعمال رجل فتستوى الحسنات
والسيآت فيقال له لو زادت حسنة لرجحت ودخلت الجنة فامض الى
الناس فالتمس منهم حسنة فيمضى على أناس لهم حسنات كالجبال
فيستعطيهم حسنة فلا يرضون فيمر برجل له حسنة واحدة وسيآت كثيرة
فيقول له خذ هذه الحسنة التى معى فانك أحق بها منى لكونك بها تدخل
الجنة فيقال له خذ بيده وادخلا الجنة وهذا الايثار عند الله سبحانه وتعالى
أمر عظيم فقال بعض أصحابه وأنا سمعت أن رجلين انكسرت بهما سفينة
فبقى أحدهما على لوح فالتفت الى صاحبه وقال له ألك أهل قال نعم قال
فاركب على اللوح فانك أحق بالبقاء منى لانى ليس لى أهل ومن الناس
رجل يؤمر به الى النار فيقول رب كيف تعذب رجلا شاب فى الاسلام
فيدخله الله الجنة ولو كان دخوله الجنة لشيبه لما دخل النار شائب ولكن
معاملات الحق فى ذلك اليوم على مقتضى حكمة الله وفيه يحاسب على مثاقيل
الذر (وقال) رضى الله عنه ان الله سبحانه وتعالى حرم فى مكة الصيد وأن
لا ينفر ولا يقطع شجرها وذلك لحرمة الجوار فما ظنك بمن مات بها وهو هنالك
مرمى وحده فى قبره فى جوار الله تعالى مفتقر الى رحمته وأى ثبوت يثبت له
حق الجوار فقال له رجل من الحاضرين قيل ان ابن عباس رحل عنها وقال
لا أحب أن أسكن فى بلد تتضاعف فيها السيآت كما تتضاعف فيها الحسنات
فأجاب ان ابن عباس رضى الله عنهما كان يعمل بالرخص قيل ان مالكا
دخل على الرشيد فقال له اتق رخص ابن عباس وعزائم ابن عمر قال مالك
فخرجت من عند الرشيد عالما وكان رجل لا يفتر عن العبادة والبكاء

وصاحبه لا يفعل شيأ من ذلك الاما وجب عليه فقيل له فى ذلك فقال كلانا
نقرأ فى صحيفة واحدة هو يقرأ ان الله شديد العقاب وأنا أقرأ ان الله غفور
رحيم (وسئل رضى الله عنه) اذا تكلم أحد بكلمة الردة فى حالة غضب
هل يحكم عليه بالردة أولا فأجاب أن لا تقام عليه حدود حكم الردة
لان النبى صلى الله عليه وسلم قال ادرؤا الحدود بالشبهات وأى حالة
أعظم من حالة الغضب بل يمهل حتى يفيق من غضبه ثم يكلم بما ثبت دليله
من العقل فان الله سبحانه وتعالى قال وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به
وأيضا مر أبى بن كعب على رجل يقرأ آية من كتاب الله على خلاف ما قرأ
أبى فأتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل واحد منهما اقرأ فقرأ كل واحد منهما قراءته التى سمعها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما كلا كما محسن وكلا كما مجمل فقال أبى
ما كلانا محسن ولا كلانا مجمل قال أبى ودخلنى من الشك مثل ما كنت عليه
فى الجاهلية أو أشد فطعنه النبى فى صدره وقال اللهم أخسئ منه الشيطان
فقال أبى فكأنى أنظر الى الله فرقا ولم يحكم عليه النبى بردة وكذلك ان
بعض الصحابة قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات
أنواط فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر الله أكبر الله أكبر انها السنن والذى
نفسى بيده لقد قلتم كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة
فلم يحكم عليهم النبى صلى الله عليه وسلم بردة ولم يأمرهم بتطليق نسائهم وفى
الحديث ان رجلا قال لما لقى جمله بعد أن شرد عليه اللهم أنت عبدى وأنا
ربك فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حين حدثهم بهذا الحديث وهو يدل
على أنه لا يؤاخذ على ذلك (وسئل رضى الله عنه) عن قوله تعالى وما أرسلنا

من

من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فأجاب انه
قد غلط فى تفسيرها كثيرون بما ذكروا من أنه دس ابليس فى النجم تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وهذا لا يحكم به عقل ولا يقول به من
له أدنى مسكة من قواعد الايمان فلو كان ذلك لحصل شك فى جميع الكتاب
والسنة ولبطلت الشرائع حيث تمكن ابليس من أنه ينطق على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حاشا وأبعده الله أن يتمكن من ذلك ثم ان النبى صلى الله
عليه وسلم اذا اتفق له ذلك فكيف صورة القصص التى اتفقت للنبيين قبله
لم يسمع شئ من ذلك فى كتاب منزل من الكتب المتقدمة ولا عن بنى اسرائيل
فى حديث من أخبارهم ولا عن سلف ولا عن خلف ولكن تفسيرها ظاهر
لا غبار عليه وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان
فى أمنيته وأمانى الرسل وبغيتهم أن يؤمن قومهم فيلقى الشيطان فى أمنيته
تلك بأن يفسد عليه قلوبهم فلا يؤمنوا بل يقولون حين يدعوهم للايمان كما
قال قوم نوح ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم وقوم شعيب
يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا
ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد ونحو هذا كثير فكل نبى تمنى أن يؤمن قومه
فيلقى الشيطان فى أمنيته تلك فينسخ الله ما يلقى الشيطان من قلوب من آمن
منهم ثم يحكم الله آياته فى قلوبهم والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان
فتنة للذين فى قلوبهم مرض وذلك ما خيل لهم من أن نوحا بشر مثلهم وما هو
عليهم بعزيز ومثل تصويره لهم أن تركهم لما يعبد آباؤهم لا يكون وأنه من
المحال والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم
أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى

صراط مستقيم فانظر الى عود الضمائر من قوله سبحانه وتعالى وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به أى يعلمون أن ماجاءهم به رسولهم هو الحق فيؤمنوا به فالذى يلقى الشيطان يكون فتنة للذين فى قلوبهم مرض والذين أوتوا العلم لايؤثر فيهم مايلقى الشيطان بل يعلمون أن ماجاءهم به رسولهم هو الحق فيؤمنوا به (وقال رضى الله عنه) اذا سبقت العناية لشخص أوصله أدنى سبب الى أعلى مقام أوحى الله الى موسى عليه السلام هل علمت ماسبب أنى جعلتك نبيا كليما قال يارب أنت أعلم قال لما نفرت عليك الشاة وأنت ترعى الغنم لشعيب لحقتها بعدما أتعبتك ثم لما أمسكتها لم يعترك عليها غضب وقيل إن رجلا أمسك قلمه وهو ينسخ لما نظر الى الذباب يمص من القلم فأوقف يده رحمة له ففتح الله عليه فى الحال بان رأى المداد يجرى فى عروق ذلك الذباب ورجل دخل الجنة من أجل كلب جاءه وهو ينبح على شفير بئر من العطش ولم يتمكن من الشرب فأرسل الرجل ثوبه وجعل يعصره فى حلق ذلك الكلب حتى ارتوى وعاتب الله سبحانه وتعالى نوحا عليه السلام حين نظر الى كلب نظرة مستقبحا له فقال يانوح انى ماخلقت شيأ عبثا فان كنت لاتعلم بالمصلحة التى لاجلها خلقته فقلد خالقه وعذبت امرأة من أجل هرة حبستها لاهى أطعمتها ولاهى أطلقتها تأكل من خشاش الارض فانظر الى مقادير الاعمال أدنى سبب مقرب وأدنى سبب مبعد (وقال رضى الله عنه) كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب من اللحم الساعد والكتف فمحبته للكتف لان الله سبحانه وتعالى وضع يده بين كتفيه الحديث وأما محبته للذراع فموافقة لحديث من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وقد غلط بعض العلماء حيث قال

انهم كانوا لاينضجون اللحم فكان الذراع والكتف أسرع نضجا (وقال رضى الله عنه) المؤمن فى الدنيا ذليل لله سبحانه وتعالى حتى انه قال الشبلى عطل ذلى ذل اليهود وذلك أن المؤمنين خاضعون لله خاشعون ثم انك اذا نظرتهم فى السجود وهو أعظم التذلل رأيتهم يضعون وجوههم على التراب وعلى الارض الذلول هو الذى جعل لكم الارض ذلولا وفى الآخرة ينتقل اليهم العز الدائم الذى هو باعزاز الله لهم وينتقل الذل الدائم الذى هو باذلال الله الى الكفار وفى الدنيا اذا اعزوا فانما هو باعزاز أنفسهم وليس بعز من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ثم يوم القيامة يتمنى الكافر أن يكون ترابا أى فى الدنيا حين يرى ما أعطى من النعيم من كان ذليلا فى الدنيا فيتمنى لو كان فى الدنيا ترابا الذى هو أذل شئ ثم ذكر للشبلى هذا دعوة دعا الله بها بان قال يارب املأها بالشبلى يعنى النار وذلك لشدة الرحمة بأهل النار فاذا املأها به لم يدخل النار أحد لانها قد امتلأت وهو لما يعرف من قربه من الله سبحانه وتعالى وحبه له وايمانه به لم يخف من النار فانها لاتؤثر فيه وهى أشبه بمقالة عمر بن الخطاب حيث قال وددت أن أكون كبشا فيطعمنى أربابى حتى أسمن ثم يضعون الشفرة على أوداجى فيذبحونى ثم يطعمون منى أضيافهم ويتصدقون ويأكلون وذلك لانه يعلم من نفسه بمصاحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما يعلم من عناية الله سبحانه وتعالى أنه اذا أكل أحد منه شيأ لم يدخل النار لانه لابد أن تجرى تلك الاكلة فى جميع عروق البدن فيتربى منه لحم فلا تسلط النار على اللحم الذى قرب من لحم عمر ومن أجوبة عمر رضى الله عنه لما قال له النبى صلى

الله عليه وسلم كيف بك يا ابن الخطاب وقد أتاك فى قبرك ملكان يخطان الارض بانيابهما ولحظ أعينهما كالبرق الخاطف فقال يارسول الله وعقلى هذا معى يشير الى أنها عند المصادرة للامور تتغير العقول وتدهش وتنتقل الاحوال ألاترى أن الصحابة رضى الله عنهم عالمون أن الهزيمة فى الحرب لاتنفعهم لقوله سبحانه وتعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لاتمتعون الاقليلا فقوله واذا لاتمتعون الاقليلا تبكيت وتهديد بأنهم اذا فروا لم يمتعوا الاقليلا وذلك لان الله سبحانه وتعالى جعل لكل انسان أجلين هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده واذا وصل أرحامه وأطاع والديه أخره الى الاجل المسمى وان فر من الزحف أو فعل ما علم الله سبحانه من معاص مخصوصة قضى أجله فى الاجل الاول فهم على يقين أن الفرار لاينفع مع أنهم فروا فى يوم حنين وذلك أن العقول تطيش عند لقاء العدو فلا يكاد يعرف الصواب ولذا ينبغى للانسان أن يسأل الله العافية وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاتتمنوا لقاء العدو فاذا لاقيتموهم فاثبتوا وكذلك يسأل الله العافية من كل مايحتاج معه الى الصبر ففى الحديث سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم انى أسألك الصبر فقال له صلى الله عليه وسلم سألت الله البلاء فاسأله العافية يعنى أن الصبر لايكون الا عند مصيبة أو أمر فيه امتحان فيسأل الله العافية مما يكون معه الصبر (وسئل رضى الله عنه) عن قوله تعالى لايحب الله الجهر بالسوء من القول الامن ظلم وفى قراءة الامن ظلم (فأجاب) ان إلا تكون استثنائية وتكون استدراكية وفى هذا الموضع يستقيم المعنيان فان كانت استثنائية فالمعنى أن الجهر بالسوء لايحبه الله

الامن ظلم فلا بأس وذلك حيث ينازع الرجل خصمه لولا أنه يجهر بالسوء لما ظهر الحق وعلى قراءة الامن ظلم بالفتح يقدر الامن ظلمه وله شواهد من كلام العرب ولكن الاستدراك أولى بالمقام ويكون المعنى لايحب الله الجهر بالسوء لكن من ظلم فلا يحب الله الجهر بالسوء منه بل العفو أولى به وهو الذى يحبه الله منه وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا يكون العفو ممن ظلم الالمن نور الله بصيرته وهى درجة عظيمة فان من فعل شيأ بالعبيد لاجل مولاهم فحق عليه أن يعامله بما عاملهم (وقال رضى الله عنه) قال الله سبحانه وتعالى ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون أى أخرج سبحانه وتعالى النخلة من النواة فالنخلة وهى حية تنمو أخرجها من النواة الميتة التى لاتنمو ثم أخرج من النخلة الحية التى تنمو التمرة الميتة التى لاتنمو كذلك الحبة وكذلك الانسان فانه تعالى أخرج هذا الحى الذى ينمو ويتحرك وخلق فيه العقل الذى عليه المدار من الميت وهو المنى ثم أخرج من الحى الذى هو الانسان الميت الذى هو المنى ثم يعلم جل جلاله ماتغيض الارحام وماتزداد والعلم فى حقه سبحانه وتعالى هو بمعنى البصر فيعلم المعدوم كما يعلم الموجود ويبصر المعدوم كما يبصر الموجود فان هذه النواة والنطفة والحبة من ذلك يعلم ماتغيض الارحام من النطفة أى مالم يتخلق فيها وماتزداد أى مايتخلق فيها والتى تتخلق يعلم كم منها الى يوم القيامة ويعلم مستقرها أى مايستقر منها يفسره قوله فى قرار مكين ومستودعها وهو الذى يزلق عن الرحم اذا قضى أجله وهو إما نطفة أو مضغة وذلك من أول منى خرج وهو من آدم عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة والعلم هو فى حقه تعالى بصر قال تعالى

بكل شيء عليم بكل شيء بصير بما تعملون بصير بما تعملون عليم فتعلقهما
واحد ثم انه تعالى يعلم الشجرة التى فى بطن النواة ثم مايخرج من الشجرة
من ثمر فيعلم مايكون فى كل سنة وسق أو وسقان مدة عشرين أو ثلاثين
سنة يعلم عدد هذه الثمرات وهى فى بطن تلك النواة الى منتهاها ثم مايغرس
منها فتنمو منها نخلة ثانية ثم ثالثة ثم رابعة الى يوم القيامة ومالم يغرس
بل يلقى كل ذلك يعلمه فى بطن هذه النواة الواحدة وعلمه تعالى بمعنى
البصر فهو يرى جميع ذلك حبة حبة وانسانا انسانا وهم فى العدم
فسبحان العالم جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا اله غيره قال تعالى فالق
الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز
العليم أتبع فلق الحب والنوى بفلق الاصباح وهو تنفس الصباح لما
كور الليل على النهار وأولجه فيه أراد أن يكور النهار على الليل ويولجه فيه
ففلق الاصباح كما يفلق إهاب الشاة اذا أريد سلخها وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار وقد يشم بعض الناس لتنفس الاصباح رائحة كما يتنفس
الانسان فتخرج رائحة فمه وجاعل الليل سكنا أى يسكنون فيه من
حركات النصب والتعب والشمس والقمر حسبانا أى يعرفون بهما الحساب
ولا يخفى مافيهما من منافع لا تحصيها الاقلام ذلك تقدير العزيز العليم
وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر أى فلا
ينبغى أن يستنبط منها غير ماخلقت له كما يستنبط المنجمون من القرانات
وغيرها لان الشئ لا ينبغى أن يستعمل الا فيما خلق له ألا ترى أن الله سبحانه
وتعالى خلق الثوم وجعله دواء لعلل كثيرة فهو خلق له ثم بسبب
أكله تتأذى الملائكة حتى انها اذا كانت رائحة الفم منتنة تختطف

ما

ما نطق به اللسان من خير من الهواء واذا كانت الرائحة طيبة ابتدرت
لأخذه من داخل الفم لكن لما كان خلقه لمنفعتنا لم يضر تأذى الملائكة
به ولم يحرم علينا بل هو جار فيما خلق له كذلك النجوم خلقت لنهتدى بها فى
ظلمات البر والبحر فلا نتعدى ذلك قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذى
أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع أى منها مايستقر فى الارحام
ومنها ما يزلق منها ولا يتخلق بل يتدره أجله وذلك معنى قوله تعالى مخلقة
وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام مانشاء الى أجل مسمى وذلك لان
العرب تسمى الخيل المحفوظة المربوطة التى يأتون اليها بعلفها ومائها
مستقرة ويسمون ما أرسلوها ترعى وتسقى بنفسها مستودعة قد فصلنا
الآيات لقوم يفقهون وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات
كل شئ فأخرجنا منه خضرا هذا فى مقابلة قوله تعالى يخرج الحى من
الميت نخرج منه حبا متراكبا هذا فى مقابلة قوله تعالى يخرج الميت من
الحى ومن النخل من طلعها قنوان دانية وهذا مثله انما ذكر تعالى الحب
أولا فى مقابلة قوله فالق الحب ثم أتبعه بقوله ومن النخل من طلعها قنوان
دانية فى مقابلة قوله والنوى والدانية هى ماسهلت على الانسان أسبابه
وان كانت النخلة عالية لكنها باعتبار ماخلق الله سبحانه وتعالى للانسان
من الايدى والارجل دانية لانه يلصق بها ثم يصعد فيها فيجنى ثمرها وجنات
من أعناب أخرجها من ميت كذلك والزيتون والرمان مشتبها وغير
متشابه أى وجميع ماذكر مشتبها وغير متشابه فقد تكون الحبة الواحدة
من العنب نصفها أسود ونصفها أبيض أو أحمر وكذلك التمر وكذلك الرمان
قد تكون الحبة الواحدة ذات لونين ثم لظهر كل حبة لون ولباطنها لون

سبحانه وتعالى (وقال رضى الله عنه) قد يكون الدعاء فى الساعة التى يتجلى فيها الحق سبحانه وتعالى بصفة الوهاب فلا يرد فيها الدعاء ولو كانت من كافر فان ابليس قال رب أنظرنى الى يوم يبعثون وهو مطرود ملعون نجس الباطن والظاهر فاستجيب له وقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ومن هنا نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لعن الدواب وغيرها حتى إن المرأة التى لعنت جملها وهى فى سفر قال قد استجيب لك ولا نقبل ملعونا اطردوا الجمل فطردوه وكان كلما أقبل اليهم الجمل طردوه بالخيل فحرمت المرأة الجمل وظلمته بسبب لعنها له والرجل الذى رأى قيام يوم القيامة وذلك انه سرق سرجه فسأل عنه فقيل له قد سرق فقال ذهب فى لعنة الله فلما رأى أن القيامة قد قامت وهو ممن قتل شهيدا فأتى بفرسه وبولها وزبلها يوضع فى الميزان فقال أين سرجها انه يثقل فى الميزان فقيل له ذهب فى اللعنة التى قلتها فى ساعة كذا فقد يؤتى الرجل من قبل نفسه وهو لا يشعر (ومن الحكايات العجيبة) أن ذئبا برد فى ليلة بردا شديدا فتمنى سلوقيا يلحقه ليدفأ فما تم الا وقد أقبل عليه السلوقى فهرب منه حتى جوز فقال لو رجعت فى فى لما تمنيت هذه الأمنية فما تم الا ولقيه رجل فرجمه بحجر حتى هرس أسنانه فطلع الى رأس الجبل ونادى بأعلى صوته ألا من يريد أن يدعو فان أبواب السماء قد فتحت والدعاء فى نفسه انما هو اظهار للعبودية والتذلل واجلال وتعظيم لباب الكريم وليس لانه غافل عنك سبحانه وتعالى أو عن حاجتك بل يعلم بما توسوس به نفسك قبل أن توسوس وهو يعلم السر وأخفى وهو سبحانه وتعالى كريم جواد لا يحتاج الى سؤال قال شاعر فى مدح بعض الملوك يسمى معنا

أيا جود معن ناد معنا بحاجتى ... فمالى الى معن سواك سبيل

فما ظنك بملك الملوك (وقال رضى الله عنه) لما سئل ماهى الكلمة فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون فأجاب انها قول الحق له أسلم لانه تعالى ربما كلم الابناء وأراد بذلك الآباء مثل قوله تعالى واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون وربما كلم الآباء وأراد الابناء مثل قوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون المكلم آدم والمراد أولاده وقد غلط بعض المفسرين بأن قالوا هو آدم لانه سمى عبد الحارث وهذا باطل من وجهين أحدهما انه لا يستقيم هذا على قراءة شركاء لانه سماه اذا فرضنا عبد الحارث وهو شريك واحد لا شركاء الثانى ان آدم يعتذر يوم القيامة اذا قصد للشفاعة بذنبه الذى أخرجه من الجنة ولو كان ذلك لكان أهم وأعظم أن يعتذر به يوم القيامة والقرينة التى دلت على أنهم أولاده عود الضمائر للفظ الجمعية فتعالى الله عما يشركون أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون الى آخر الايات وهذه الكلمة التى جعلها كلمة باقية فى عقبه هى التى وصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب وليست الاسلام الذى هو نقيض الكفر كيف وهو الخليل انما هو اسلام الامر الى الله سبحانه والاستسلام له كما انه عليه أفضل الصلاة والسلام لما ألقى فى النار قال الله سبحانه لجبريل انزل على ابراهيم وائتمر لأمره فنزل اليه وهو يهوى فى الهواء وقال له ألك حاجة فان الله سبحانه قد أمرنى أن أأتمر لأمرك فقال أما اليك فلا فقال سل ربك قال علمه بحالى يغنى عن سؤالى وذلك أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما

رأى المقام مقام اختبار ليعرف الله سبحانه وتعالى جبريل قدر هذا الرجل الذى خرج من صلب من قالت الملائكة فيه أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك أجاب بهذا الجواب ليوافق ذلك المقام فتولاه الله تعالى بأن كلم النار من غير واسطة فقال كونى بردا وسلاما على ابراهيم فتوقفت النار عن احراقه لاغير لان الله سبحانه وتعالى قال لها على ابراهيم فأكلت ما عليه من الحديد وهى القيود والاغلال التى كانت عليه تؤذيه وهذه معاملة الله تعالى لمن أسلم أمره اليه ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى فانك اذا توسطت بالعبد ليعطيك شيأ أو يدفع عنك شيأ فما ذلك الالأحد أمرين إما انك ترى أن هذا العبد أكرم من سيده أو أن خزائن العبد ملآنة وخزائن السيد معطلة أو تعتقد أن العبد أقدر على دفع هذا الأمر الذى تريد دفعه عنك من سيده أو أنه أشفق عليك من سيده أو أعلم بوجوه دفعه عنك من سيده وهذا غير جائز نسأل الله العافية من كل بلية * قال الشاذلى رحمه الله لما سئل عن الاسلام هو الاندماج فى طى الاحكام من غير شهوة ولا ارادة وقال عمر بن عبد العزيز وهو مريض لما قيل له هل تشتهى شيأ أشتهى ما يقضى الله (وقال رضى الله عنه) فى الدعاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك منك أى أعوذ باسمك العفو من اسمك المنتقم لاملجأ ولا منجا منك الا اليك (وسئل رضى الله عنه) عن قوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين قال ذلك مثل قوله تعالى فسبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين أى انما وصفوا الله سبحانه وتعالى بغير ما وصف به نفسه فهو

منزه

منزه عن ذلك وسلام على المرسلين لانهم لا يصفونه سبحانه وتعالى الا بما وصف به نفسه وكذلك عباد الله المخلصون وهم يعبدون الله باخلاص المحبة لا لاجل دنيا ولا لاجل أخرى فان الله سبحانه وتعالى قال منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وهو سبحانه وتعالى يريد الصحبة فكأنه قال فأين الذين يريدونى ثم أفرد الذين يريدونه ولم يذكرهم مع هذين الفريقين فقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وعيسى روح الله عليه الصلاة والسلام مر بقوم يعبدون الله تعالى فعبد الله معهم ثم قال لهم لماذا تعبدون الله سبحانه وتعالى قالوا خوفا من ناره فقال قادر أن ينجيكم منها ثم رحل عنهم فمر بقوم يعبدون الله تعالى فعبد معهم ثم قال لهم لماذا تعبدون الله قالوا طمعا فى جنته وشوقا اليها فقال قادر أن يدخلكم الجنة ثم مر بقوم فوجدهم يعبدون الله سبحانه وتعالى فعبد معهم ثم قال لهم لماذا تعبدون الله سبحانه وتعالى قالوا ابتغاء وجهه قال هذه درجة المقربين وأنا أمرت أن ألازمكم ثم جلس يعبد الله معهم فهؤلاء لايمكنهم مفارقة الحق سبحانه وتعالى فى الدنيا ولا فى الآخرة فهم فى الجنة على هذه الحالة لا يفارقهم تجليه وسائر أهل الجنة انما يزورونه فى كل ثمان أى قدرها فينظرون نظرة ينسون بها جميع نعيم الجنة ثم يتلذذون لذة تتنور بها وجوههم ويجدون من الراحة ما لايخطر على قلب بشر ثم يعودون الى أهليهم فيسرى ذلك التجلى الى صور أهليهم فيتنورون ويكتسون نورا لم يعهد فيهم من قبل ثم لا يزالون متلذذين بنعيمها ماشاء الله ثم يجدون لها فى أنفسهم شهوة كشهوة الجائع فيؤمرون بالزيارة وهلم جرا ثم جعل رضى الله عنه يخوض فى وصف الجنة فقال أشجار الجنة

جذوعها من ذهب ليس كذهب الدنيا انما اذا نظرت فى الشمس حين تطلع أو حين تدنو للغروب فهو كذلك ثم طول الغصن مسيرة ثمانية أشهر وعشرة أيام ظلا لا من شمس انما هى أنوار انما يجدون لذلك الظل راحة ثم فى كل حركة من حركاتهم وسكنة من سكناتهم يجدون راحة ولذة لا تخطر على قلب بشر ففى المشى يجدون لذة وكذا وفى القيام والاضطجاع لا كما فى الدنيا لانك اذا اضطجعت فى الدنيا تحصل معك راحة بسبب التعب والنصب وفى الجنة انما أنت تنتقل من لذة الى لذة فى جميع حركاتك وسكناتك وانما يطلق عليه فعل أو عدم فعل أو قول أو عدم قول فكله راحة ولذة لا تشبه واحدة واحدة (ثم قال رضى الله عنه) وسأضرب لكم مثلا اذا اجتمعت لذات الدنيا جميعها من منكوح من كل الدواب أى لذة كل فرد منها ولذة جميع مشموماتها فردا فردا ونوعا نوعا وطعم كل مطعوم كذلك ولذة كل ملك مال كذلك فى ذات واحدة فكيف تكون لذة النكاح وقد صارت لذة كل فرد مجتمعة فيه كأنه قد جمعت عنده كل منكوحة حسناء وكيف طعم جميع المطعومات وقد صارت لذة كل فرد من آدمى وغيره مجتمعة عنده وقس عليها سائرها ثم اذا انتقلت منها الى أدنى نعيم الجنة فهو كما تنتقل من طعم حنظل الى طعم سكر ثم لو اجتمعت لذات الجنة أى كل فرد فرد منها فى ذات واحدة من منكوح ومطعوم ومشروب وملبوس وغير ذلك لتجتمع لك لذات جميع ما فى الجنة ثم انتقلت من ذلك الى نظر الحق سبحانه وتعالى فهو كما تنتقل من طعم الحنظل الى طعم السكر وأهل الله لا يفارقونه فى الجنة طرفة عين كما لا يفارقونه فى الدنيا طرفة عين (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى

ونبلوكم

ونبلوكم بالشر والخير فتنة قدم الشر هنا للاهتمام لانه ربما قد يكون الشر قائدا لجميع الخيرات أى أن السيئة وأى شر أعظم منها قد تكون سبب القرب من الله تعالى وذلك لانه ربما أورث الذنب ذلا وانكسارا فيكون أعلى من الحسنة وأغلى فان لكل داء دواء وربما يعترى الانسان عجب وزهو بالطاعة وذلك داء وأى داء فتلك سيئة وارتكاب الذنب دواؤها فان بعض الاولياء ارتكب ذنبا فلما تاب منه قال رب أنت كنت غنيا عن ارتكابى لذلك الذنب فقال له قد كان اعتراك زهو فسلطت عليك ذلك الذنب ليزيله عنك فأنت الآن عندى أحب الى من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ما خلى الله بين عبده المؤمن وبين الذنب أبدا قال الشاعر فى هذا المعنى

تداويت من ليلى بليلى من الهوى ... كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقال اخر

أنظر الى بعين قد فتنت بها ... وداونى بالتى كانت هى الداء

وقال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون وقال سبحانه وتعالى ان الانسان لظلوم كفار أى يكفر الظلم بالتوبة والظلم له معنيان الاولى النقص قال تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ والثانى وضع الشئ فى غير محله وكلما ظلم كفره بالتوبة ولهذا أتى بصيغة المبالغة وفى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم (وسئل رضى الله عنه) عن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل ما معنى الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا

فأجاب ان الجنب لا يقرب الصلاة حتى يغتسل الا اذا كان عابر سبيل فله
أن يقرب الصلاة بلا غسل ويتيمم وعابر السبيل هو أن يكون فى طريق
مخوفة اذا اغتسل خشى أن يتأخر عن القافلة (ثم سئل رضى الله عنه)
عن اذا الشرطية فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق الآية فقال يؤخذ منها مفهومان
أحدهما للوجوب والآخر لا للوجوب أما الذى للوجوب فهو اذا كان محدثا
وأما الذى لا للوجوب فحيث يكون متوضئا فهو أمر ليس يقتضى الوجوب
انما هو نور على نور والنبى صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة الا فى
جمع حصل له صلى الله عليه وسلم فكان يصلى الصلاتين بوضوء واحد
كمزدلفة ومنى (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا أى محجوبا وذلك
أن النبى صلى الله عليه وسلم كان الله سبحانه وتعالى سمعه الذى يسمع به
وبصره الذى يبصر به الى اخره وذلك أن العبد متميز عن المعبود فلا امتزاج
وهم يرون العبد ولا يرون المعبود لانه تعالى عنهم محجوب وحقيقة
النبى صلى الله عليه وسلم يرونه فى حين العبودية لكنهم لا يرونه بل بينه وبينهم
حجاب مستور فهم يرونه ولا يرونه وهذان ضدان لا يفترقان وذلك مثل
المراة فانك ترى صورتك فيها بلا شك وأنت تعلم أنها ليست فيها كذلك
البحران فان الله سبحانه وتعالى مزجهما وأحدهما مالح والآخر حلو
وبينهما برزخ وهذا البرزخ لا يدرك بل لا يعرف الا بالذوق فاذا شربت
من هذه الجهة وجدته حلوا واذا شربت من هذه الجهة وجدته مالحا
(وقال رضى الله عنه) هذه الحياة هى نوم فرائيها تعبر وتوضع فى قالب

التعبير

التعبير فيعطى كل شئ ما يناسبه كما أن مرائى المنامات تعبر ويعبر كل
منها بما يليق به ويناسبه بدليل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فكل أحد
نائم الا أبا بكر رضى الله عنه فانه شهد له النبى صلى الله عليه وسلم انه ميت
واذا كان ميتا فهو منتبه فان من مات انتبه قال فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من شاء أن ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر
الى أبى بكر وهى الصفة التى تسميها الصوفية الفناء وهو أن يكون
الحق سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى آخره فتفنى صفة
البشرية وتبقى صفة الالوهية فيكون التصرف فيه لله سبحانه وتعالى
لا يختار هو شيأ بل يبقى فانيا عن ارادته وشهوته فيحيا بحياة الله سبحانه
وتعالى وهذا لا يدرك بالتعبير بل لا يدرك الا بالذوق ألا ترى أنك اذا أردت
أن تصف لانسان السكر وهو لا يعرفه فتقول له حلو فيقول لك حلاوة
عنب أم حلاوة عسل فتقول له حلاوة غير هذه الحلاوات كلها لا تعرف
الا بالذوق كذلك صفة الفناء فانك تنظر فى هذا النظر المبصر لا ينظر
الا بنورين نور فى الخارج ونور فى العين اذا فقد أحدهما لا يمكن النظر
فانك اذا نظرت فى ظلام لا ترى شيأ واذا نظرت فى ضياء ولا نور فى عينك
لم تر شيأ ثم ان النظر قد ينظر شيأ معدوما ولا ينظر شيأ موجودا أما المعدوم
الذى ينظره فكالشمس تنظرها بين الماء ولو حفرت هناك حتى تصل الارض
السفلى لم تجد هناك شمسا وأما الموجود الذى لا ينظره فهو الهواء الجامد
هذا مع أنه بحر جامد يضطرب اذا حرك بمروحة أو غير ذلك كما يضطرب
البحر اذا حرك والبحر كثيف علينا لطيف على دواب البحر اذ لو كان
كثيفا عليها لاندفع الماء الى أجوافها مع جلوسها فيه أبدا بخلاف

الانسان فانه لايدفع دخوله الى بطنه فى الساعة اليسيرة بل يضطرب فيه حتى يغرق وذلك الهواء بالعكس لطيف علينا كثيف عليها يضطرب الحوت اذا خرج الى الهواء كما يضطرب الانسان فى البحر فيغرق فيموت والشم أوجده الله سبحانه فى الانف يجذب الروائح كما يجذب المغناطيس الحديد ثم الذوق يدرك مايؤكل ومالايؤكل من المطعومات والبهائم جميعها تدرك مايدركه الانسان بالذوق بالشم فتدع مالايؤكل وأما الانسان فى الشئ الذى لايعرف فلايدع مالايمكن أكله الابعد المضغ (وقال رضى الله عنه) انظر الى خلق الانسان يوضع فى الرحم وهو فى طور المنى ثم طور العلقة ثم طور المضغة ثم خلق المضغة عظاما ثم كسا العظام لحما فخرج انسان فى أحسن صورة وقد شق سمعه وبصره وجميع حواسه وهى الامانة التى عرضها الله سبحانه على الجبال والسموات والارض فأبين أن يحملنها فتبارك الله أحسن الخالقين وهو كان قادرا أن يخلقه كذلك من أول وهلة ولكن لحكمة منه قدّر ذلك ليخلو بكل واحد من خلقه فيصنعه كذلك وانظر الى حب الذرة الشامى تخرج مكسية من عند ربها كما يخرج العظم مكسيا لحما وكل شئ له بربه خلوة وفى تلك الخلوة يبلغ بها كل شئ غاية مايكون عليه من حلية وخلق وكسوة فما أحسن الخلوة وما أجل من خلا مع ربه عند الاختيار كما خلا به عند الاضطرار فانه لما خلا به أوّلا وليس له اختيار أوجده أوّلا من العدم الذى ليس هو شيأ الى الوجود الذى هو خير من العدم ثم ما أبرزه الى الوجود الا بعد أن كمل صورته فى غاية الكمال وكساه وشق سمعه وبصره وأودع فيه جميع مايزينه كالعقل والاعضاء والجوارح وحلاه بما خلق له وهى الفطرة على الاسلام

والانسان

والانسان فى حال كونه منيا يراه الحق سبحانه وتعالى فى أكمل صورته التى يكون عليها وذلك أن الله سبحانه وتعالى يجمع المنى الى صلب الرجل كل عضو فى ذلك المنى باعتبار مايصير اليه من عضوه فالعين من العين والانف من الانف والاذن من الاذن وهكذا الباقى وبعد أن يجتمع فى الصلب تنبعث دواعى النكاح فيلقيها الرجل الى الرحم وهى منى والحق سبحانه وتعالى يرى فيها الجوارح والاعضاء جميعها فى حال كونها منيا وهى السلالة التى قال تعالى من سلالة من ماء مهين وهى التى يقال لها عرفا الخميرة التى توضع من عجين اليوم الاول فوق عجين اليوم الثانى فسبحان الصانع الحكيم ولا إله إلا هو (وسئل رضى الله عنه) عن قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين فأجاب ان الارض هى أرض الجنة وكذلك الارض التى فى قوله تعالى أن الارض يرثها عبادى الصالحون ولها معنى آخر أى ان الارض هذه يرثها عبادى الصالحون فهى بشارة بالنصر للصالحين فيرثون الكفار فتكون كقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا (وسئل رضى الله عنه) عن الدعاء فى الصلاة فأجاب بأنه يدعو فيها بما شاء فان بعض الصالحين كان يدعو حتى بملح العجين والدعاء انما هو تكريم وتعظيم لباب المناجاة والا فالله هو الغنى عن دعائك وهو يعلم بما تدعو وفى أى يوم وفى أىّ ساعة من قبل خلقك وهو كريم جواد يعطى قبل السؤال وفضلا ابتداء لكنه يرى لك الخير كأنه وكيل والوكيل ينظر مصلحة الموكل ابتداء وانتهاء فربما تدعو فلا يؤثر الدعاء فى ظاهر الامر وقد وعد سبحانه وتعالى بأن يستجيب ادعونى أستجب

لكم وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون ووعده الحق ولكنك حين تعلم بمصلحة تأخير الاجابة تحمد العاقبة فما أسعد من وكله ورضى به وكيلا وكفى به وكيلا وقد تصاب ببلاء فتدعو وتتضرع وذلك المقصود منك قال الله سبحانه وتعالى وما أرسلنا فى قرية من نبى الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فتدعو أن الله يزيله عنك ثم لا يزول لكن لو عرفت حقيقة الامر لاخترت بقاءه لانه الدواء ولا بد للدواء من مرارة أوكى (وقال رضى الله عنه) قال الله سبحانه وتعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر أى أن الصلاة المقبولة وهى الكاملة الجامعة لشروطها بتأدية أركانها تامة وتأمل معانى القران فيها والخشوع الذى هو روحها ولا تقوم الذات الا بالروح وفى الصحيح ان قارئ الفاتحة فى الصلاة اذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى الى اخره وقد تقدم فى أثناء هذه الكراريس فهذا ذكر الله للعبد أكبر فى النهى عن الفحشاء والمنكر ثم أخذ رضى الله عنه فى تفسير الفاتحة (قوله تعالى الحمد لله رب العالمين) أتى هنا برب العالمين أى رب جميع عوالم هذا العبد ولما علم تقصير العبد وعجزه عن الحمد حمد نفسه بنفسه ولم يقل ربى لانه سبحانه وتعالى يحمد نفسه بلسان عبده وكل من أراد به خيرا حمد نفسه بلسانه فما أعظم هذه المزية لهذا العبد الذى يحمد الله نفسه بلسانه وبسبب مروره على لسانه يأجره عليه ويجازيه بقربه فى الدارين وبالنعيم الدائم فلله الحمد على الحمد لان الانسان حال قراءة القرآن نائب

عن الله تعالى قال الله سبحانه وتعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله فأضاف الكلام الى الله تعالى مع أن الناطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقوله تعالى الرحمن الرحيم) لما ذكر اسمه جل وعلا ترقب السامع بأى صفة يصف الله نفسه ثم استشعر صفة تخويف كالجبار والقهار فقال سبحانه لا خوف عليك لانه الرحمن الرحيم وهما اسمان فى أعظم مراتب الرجاء قال تعالى (مالك يوم الدين) لما ادعى العباد أن لهم ملكا فى الدنيا عاملهم بقدرهم ومقتضى جهلهم والا فهو المالك فى الابتداء والانتهاء ولم يذكر ملك الدنيا لانها لا تعدل عنده جناح بعوضة فذلك استهانة بها واظهار لحقارتها وفيه تخويف للكافرين وتأمين للمؤمنين أى أن الله سبحانه ملك يوم الدين وهو الذى تنزل فيه الشمس بقدر ميل حتى يلجم العرق الناس ومع هذا يحاسب على مثاقيل الذر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا فالمؤمن يستبشر بذلك ويعلم أن الله سبحانه وتعالى يعلم بخفيات أعماله الحسنة وظواهرها وصلاته تلك وهو فيها يعلم أنها ستعرض فى ذلك اليوم عند أن يقول مالك يوم الدين يزيدها تحسينا والكافر يزداد تهديدا وتوعيدا ثم قال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) أى لا نعبد الا إياك ولا نستعين إلا بك فى عبادتنا إياك (اهدنا الصراط المستقيم) الصراط المستقيم هو صراط الله أى الموصل الى الله بسرعة لانه لا اعوجاج فيه وأن هذا صراطى مستقيما فاذا أحب الله شخصا كان سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الى اخره وسلك به صراطه المستقيم ثم صراطه المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم قال تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) وهم الذين

أحبهم الله وهداهم الى الاسلام فقد أنعم عليهم بأعظم نعمة اذلو أوجدك في دار كفر ماعرفت الاماهم عليه وكان عندك ماهم عليه هو الصراط المستقيم وقال تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) المغضوب عليهم فسرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم اليهود فهم مغضوب عليهم لانهم ماعبدوا الله قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم الالما يطابق أهواءهم ليس لله خالصة اذلو كانوا مخلصين في عبادة الله من قبل لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لانهم يجدونه مكتوبا عندهم وابليس كان يعبد الله قبل خلق آدم لكن لحلاوة يجدها عند العبادة والتذاذ فلما أمره الله بالسجود لادم لم يجد تلك الحلاوة واللذة فأبى واستكبر وكان ابعاده ولعنه وانقلبت أنواره ظلمة وحلاوته مرارة وقربه بعدا وامهاله انما هو في مقابلة ماعبد الله من قبل فهو كالجزى لان الله تعالى لا يضيع عمل عامل ولو كان له العقل الوافي لما سأل الانظار بل لو سأل الموت في تلك الحالة كان عذابه عذاب كافر ولا يعذب عذاب جميع من أطغى (ولا الضالين) فسرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالنصارى لانهم قصدوا الله سبحانه وتعالى لامن الصراط المستقيم بل جعلوه عيسى وجعلوه متحيزا فهذا هو الضلال كذلك المسلم ربما كان يصلي ولا يبتغي بها وجه الله بل يرائي بها أولاجل شيء غير الله فهو في غير صراط الله بل هو في صراط المغضوب عليهم واذا عبد الله بغير ماجاء به كتاب الله وسنة رسول الله فقد سلك صراط الضالين اللهم ألهمنا رشدنا ثم اذا قلت امين فمعناها اللهم كما هديتنا وأنعمت علينا بالوقوف بين يديك على هذا الوجه الذي شرعه لنا رسولك صلى الله عليه وسلم فأنت مبتدئ بهذا الاحسان العظيم والكريم لا يرجع فيما وهب

فأمتنا على هذه النعمة حاشاه يختم بالاساءة وهو بالاحسان بادئ وهذه النعمة التي أنعم الله بها علينا اذا شكرناه عليها زادنا منها قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم فانه أقدرنا على الصلاة بأن خلق لنا أعضاء يمكننا بها اتمام أركانها فشكرها أن نستعملها فيما خلقت له ثم هدانا الى الاسلام الذي هو النعمة العظمى فشكره أن نؤدي ماوضع له ثم شرع لنا الصلاة التي هي عماد الاسلام فشكرها أن نؤديها على الوجه المشروع في كل يوم والجميع في زيادة الى مالانهاية له يزيدك في كل نعمة من جنسها والحمد لله رب العالمين (وقال رضي الله عنه) قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد والعبد مفتقر الى سيده بقدر مطالبه فلا شيء في الدنيا الا والانسان محتاج اليه لا تستقيم حياته الا به أول شيء العافية أنت مفتقر اليه سبحانه وتعالى في اعطائه إياك العافية ثم اذا صرت في عافية فأنت محتاج الى كل ماتستدعيه العافية من منكوح ومطعوم ومشروب وملبوس ومحتاج الى ذوق تأكل به المأكول وتشرب به المشروب والى شم تشم به المشموم وسمع تسمع به المسموع وغير ذلك من جميع الجوارح والاعضاء ومحتاج الى شمس وقمر ونجوم وسماء ومطر ونبات ودواب وأنعام وبر وبحر بل الى جميع مافي السموات ومافي الارض التي هي مسخرات له فهو في جميع ذلك مفتقر الى ربه تعالى ثم افتقاره في الآخرة اليه أعظم من افتقاره اليه في الدنيا لان حاجته في الآخرة أكثر وبقدر الحاجات يكون الافتقار (وسئل رضي الله عنه) هل يؤخذ من قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام أن الحق يكون متعددا فقال لا لانه لما كشف الحقيقة لموسى عليه السلام عما فعله

صار الحق واحدا عندهما وانما كان انكار موسى عليه السلام وهما منه
أن ما فعله الخضر غير الحق والوهم لا يكون حقا وانما كان انكار موسى
عليه السلام لما غاب عنه ما وقع له من جنس تلك الحكمة الالهية مرات
فانه وقع له فى المرة الاولى الالقاء فى التابوت فى اليم وأمسك الله بقدرته الماء
من دخوله اليه وأيضا أمره الله تعالى أن يضرب البحر بعصاه فصار كل
فرق كالطود العظيم حتى مر بنو اسرائيل وأيضا فان الله تعالى أمسك على
الحوت جرية الماء فصار عليه كالطاق فالقادر على ذلك قادر على امساك الماء
عن اغراق السفينة والخضر فعل ذلك بالسفينة مكافأة لاصحابها لانهم
حملوهم بغير نول فلما صارت فى صورة المعيبة تركها الملك وأخذ غيرها من
السفن فكل من يريد ركوب البحر أو تحميل شئ فيه لم يجد غير تلك
السفينة فكثر نولها وانتفع أهلها هذا معنى ما قاله وفى الثانية وقع
لموسى عليه السلام قتل القبطى وكان قتله له بالحق فى نفس الامر الا أنه
لم يؤمر بقتله ولما كان على غير أمر قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى
فغفر له فهو مصيب بقتله اذ هو مستحق للقتل فى علم الله فالله سبحانه وتعالى
قتله بيد موسى وهذا أيضا بالمعنى وفى الثالثة سقى موسى لابنتى شعيب
عليهما الصلاة والسلام وهو لا يعرفهما وهو فى حاجة الى الطعام ولم يطلب
منهما أجرا ولا عول عليهما فى سد فاقته بشئ من الطعام أو شربة من لبن
غنمهما بل وجه طلبه الى الله تعالى فقال رب إنى لما أنزلت الى من خير
فقير وجاء فى الحديث أنه ما طلب الا الطعام فكأن لسان الخضر عليه
السلام يقول له أنت أنفت من طلب الاجرة على عملك من غير الله فكيف
تخاطبنى أن أطلب أجرا على عملى من غيره وما فعلته عن أمرى (وسئل

رضى الله عنه) عن احتجاج ادم على موسى عليهما الصلاة والسلام وذلك
لما اجتمع موسى مع ادم فقال له موسى أنت الذى أخرجتنا ونفسك من
الجنة فقال له آدم أنت الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه
وفى آخر هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فقال
ما معناه تعرف من سؤال موسى وجواب ادم مقدار شفقة الوالد
على ولده ورحمته له وان الولد ليس فيه ذلك القدر لوالده فانه قال له
أخرجتنا من الجنة بخطيئتك وفى هذه العبارة نوع سوء أدب فى خطاب
الولد لوالده وكان فى جواب الوالد ذكر فضيلة الولد والاعراض عن ذكر
خطيئته بل أعلمه بما معناه انه لا وجه لانكارك على مع علمك أنه كتب على
قبل أن أخلق بكذا وكذا (١) من السنين ولم يقل له لو كنت أنت لاخرجتنا
بخطيئتك اخراجا أعظم من اخراجى فانك قتلت القبطى ولم تؤمر بقتله
فخطيئتك تعدت الى الغير وأما أنا فأكلت من شجرة ليس لاحد فيها حق
غير الله تعالى لكن لما كان ادم عليه السلام متؤدبا بآداب الله مع ما عنده
من شفقة الوالد وهو عالم أن الله سبحانه وتعالى قد غفر لموسى وهو اذا غفر
لعبده لم يثرب به فلم يحسن تثريب موسى بذكر خطيئة قد غفرت والاحتجاج
بالقدر على الله هو الذى فيه خطر عظيم (ثم ذكر) الحديث الذى معناه
ان الله تعالى يوقف عبدا يوم القيامة فيقرره بذنوبه فاذا قال العبد أنت
قدرت أمر به الى النار نعوذ بالله منها وآخر يقرره الله تعالى على أفعاله
فيعترف بها ويقول يارب فعلت وفعلت فيقول الله تبارك وتعالى أنت
فعلت وأنا قدرت ويأمر به الى الجنة قال هذا حفظ الله وأتى عمر رضى الله

(١) فى نسخة بالفى عام

عنه بسارق فقال له لم سرقت فقال القدر فقال عمر كذبت وأمر به فقطع فهذا من باب الاحتجاج على الله تعالى والاحتجاج بالقدر لا يسقط الحد (ومن املائه رضى الله عنه) من الاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم (الحديث الاول) قال صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتا من بيوتى الا بقلوب سليمة وألسنة صادقة وأيد نقية وفروج طاهرة ولا يدخلوا بيتا من بيوتى ولاحد من عبيدى على أحد منهم ظلامة فانى ألعنه ما دام قائما بين يدى يصلى حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فاذا فعل ذلك كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويكون من أوليائى وأصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء فى الجنة اه (الحديث الثانى) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما جئتك حتى أمر الله بمفاتيح جهنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لى النار وانعت لى جهنم فقال جبريل ان الله أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر سبحانه وتعالى فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر سبحانه وتعالى فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يضىء شررها ولا يطفأ لهبها والذى بعثك بالحق لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من فى الارض كلهم جميعا من حره والذى بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والارض لمات من فى الارض كلهم جميعا من حره والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهى الى الارض السفلى والذى بعثك بالحق

لو

لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا فنظروا اليه لماتوا جميعا من قبح صورته ونتن ريحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبى يا جبريل لا ينصدع قلبى فأموت فبكى جبريل عليه السلام فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به فقال جبريل ومالى لا ابكى أنا أحق بالبكاء وما أدرى لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به ابليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى ناداهما الحق يا جبريل ويا محمد ان الله قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الانصار يضحكون ويلعبون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتضحكون ووراءكم جهنم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله فناداه الحق يا محمد لا تقنط عبادى رواه الطبرانى فى الاوسط (وفى الحديث القدسى) يا عبادى أعطيتكم فضلا وسألتكم قرضا فمن أعطانى شيأ مما أعطيته طوعا عجلت له الخلف فى العاجل وادخرت له الثواب فى الآجل ومن أخذت منه شيأ مما أعطيته كرها فصبر واحتسب أوجبت له صلاتى ورحمتى وكتبته من المهتدين وأبحت له النظر الى وجهى (وفيه أيضا) من أكرم منى جودا أكلؤهم فى مضاجعهم كأنهم لم يعصونى ومن أكرم منى أقبل التائب كأنه لم يزل تائبا وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم جئت تسألنى عن سعة رحمة ربى وأخبره بقول الله عز وجل لو كنت معجلا لاحد العقوبة أو كانت العجلة من

شأنى لعجلت للقانطين من رحمتى يذنب أحدهم ذنبا فيستعظمه فى جنب عفوى فلولم أذكر لعبادى الاخوفهم من الوقوف بين يدى لشكرت ذلك لهم فجعلت ثوابهم من ذلك الأمن مما خافوا وقال صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل عليه السلام فعلمنى الصلاة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فجهر بها من الجامع الكبير للسيوطى وقال عليه أفضل الصلاة والسلام لابن عمر رضى الله عنه يا ابن عمر لا يغرنك ما سبق لابويك من قبلى دينك دينك انما هو لحمك ودمك فانظر عمن تأخذ خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين قالوا وقال صلى الله عليه وسلم من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه منه يوم القيامة فلم يدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا فأكل عنده فذلك حظه من عيادته وقال صلى الله عليه وسلم أن السائل لا يسأل وما هو بانس ولا جان وانه من ملائكة ربنا يختبر العباد فيما خولهم الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم أصدق الحديث ما عطس عنده (ما يقال عند الوضوء) بسم الله العظيم والحمد لله على الاسلام (وعند الاستنجاء) اللهم حصن فرجى واجعلنى من الذين اذا ابتليتهم صبروا واذا أعطيتهم شكروا (وعند المضمضة) اللهم أعنى على تلاوة ذكرك ولقنى حجتى (وعند الاستنشاق) اللهم لا تحرمنى رائحة الجنة (وعند غسل الوجه) اللهم بيض وجهى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (وعند غسل اليد اليمنى) اللهم أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا (وعند غسل اليد اليسرى) اللهم لا تعطنى كتابى بشمالى ولا من وراء ظهرى (وعند مسح الرأس) اللهم غشنى برحمتك (وعند مسح الاذنين) اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وعند غسل الرجلين) اللهم ثبت قدمى

على

على الصراط يوم تزل الاقدام (وعند الفراغ) سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم يقرأ آية الكرسى لانه ورد من قرأ آية الكرسى عقب الوضوء زوجه الله أربعين حوراء وأعطاه ثواب أربعين عالما ثم يقرأ انا أنزلناه ثلاث مرات (ما يقال عند الخروج الى المسجد) اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تعيذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت فمن قالها أقبل الله عليه بوجهه ومن أقبل عليه بوجهه لم يعذبه أبدا ووكل به سبعين ألف ملك يستغفرون له انتهى (ومن الادعية الواردة بعد صلاة الجمعة) سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة أعوذ بوجه الله الكريم الذى ليس شئ أكرم منه وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ فى الارض وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمن (ومما أرشد اليه رضى الله عنه) يا لطيف ألف مرة ثم تقول بعد كل مائة الطف بى فى أمورى كلها كما تحب وترضى وأرضنى فى دينى وبدنى ودنياى واخرتى يا ذا الجلال والاكرام اللهم يا لطيف لطفت بخلق السموات والارض ولطفت بالجنين فى بطن أمه الطف بى فى قضائك وقدرك لطفا يليق بجلالك وكرمك يا أرحم الراحمين

ويارب العالمين وياأكرم الاكرمين (وقال رضى الله عنه) ينبغى للانسان أن لايترك صلاة الخيرة فى كل يوم بعد صلاة الاشراق ثم يقول الدعاء المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أركان الصلاة كصلاة التسبيح ويكون لفظ المستخار فيه بعد لفظ الاستخارة اللهم ماعلمت من جميع كلامى وحركاتى وسكناتى وخطراتى وأنفاسى كلها دائما سرمدا أبدا فى يومى هذا ومابعده الى انقضاء أجلى خيرالى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه اللهم وماعلمت من جميع ذلك شرالى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به انتهى ۞ وطلب بعض أصحاب سيدى أحمد بن ادريس رضى الله عنه أن يكتب له كلاما ينفعه الله به فكتب له بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ماوسعه علم الله (أما بعد) فالأمر الجامع والقول النافع والسيف القاطع فى طريق الله تعالى أن على العاقل الذى يريد نجاة نفسه من جميع المهالك ويحب أن يدخله الله تعالى فى سلك المقربين فى جميع المسالك اذا أراد أن يدخل فى أمر من أموره قولا أو فعلا فليعلم أن الله تعالى لابد أن يوقفه بين يديه تعالى ويسأله عن ذلك الامر فليعد الجواب لسؤال الحق تعالى قبل أن يدخل فى ذلك الامر فان رأى الجواب صوابا وسدادا يرتضيه الحق تعالى ويقبله منه فليدخل فى ذلك الامر فعاقبته محمودة دنيا وأخرى وان رأى أن ذلك الجواب لايقبله منه تعالى ولا يرتضيه فليشرد من ذلك الامر أى أمر كان فانه وبال عليه ان دخل فيه وهذه القاعدة هى أساس الاعمال والاقوال كلها فمن تحقق بها ورسخ فيها كانت

أحواله كلها مبنية على السداد ظاهرا وباطنا لايدخلها اخلال بوجه من الوجوه وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا (القاعدة الثانية) أن لا يفعل فعلا ولا يقول قولا حتى يقصد به وجه الله تعالى فان صح القصد فيه لوجه الله تعالى وغسل قلبه من كل شائبة لغير الله تعالى صار لايتكلم ولا يفعل فعلا الا عن تثبت وتأن وصارت أعماله كلها دقيقا خالصا لانخالة فيه بوجه من الوجوه وهذا معنى قول خالقنا جل وعلا لرسوله الاعظم وحبيبه الاكرم صلى الله عليه وسلم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه أى لاغيره فى جميع أمورهم وقال عز وجل وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى (القاعدة الثالثة) أن يوطن قلبه على الرحمة لجميع المسلمين كبيرهم وصغيرهم ويعطيهم حق الاسلام من التعظيم والتوقير فان رسخ فى هذه القاعدة قلبه واستقام فيها أفاض الله على سائر جسده أنوار الرحمة الالهية وأذاقه حلاوتها فنال من الارث النبوى حظا وافرا عظيما من قول الله عز وجل وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله عليه أمر دينه ودنياه ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله عليه شيأ حرمة الاسلام وحرمتى وحرمة رحمى وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر الصديق رضى الله عنه لاتحقرن أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير (القاعدة الرابعة) مكارم الاخلاق التى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتمامها لقوله صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وهذه القاعدة هى زبدة الدين وحقيقتها أن يكون

العبد هينا لينا مع أهل بيته وعبيده وجميع المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة كل هين لين سهل قريب وأهل النار كل شديد قبعثرى قالوا يارسول الله وما قبعثرى قال الشديد على الاهل الشديد على الصاحب الشديد على العشير وقال مولانا العظيم وقولوا للناس حسنا أى لاقبحا وقال عز وجل وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن والاحسن هو الذى جمع الحسن وزيادة وبالجملة فالذى تحب أن يواجهك الناس به من الكلام الطيب والقول الحسن والفعل الجميل فافعله مع خلق الله تعالى وما تكره أن يعاملك العباد به من الكلام الخبيث والقول القبيح والفعل الكريه فاترك الناس والخلق منه فان الله عز وجل يعامل العبد بوصفه وخلقه الذى يعامل به الناس فان المجازاة على الوصف بالوصف جزاء وفاقا فمن كان للخلق جنة ورحمة وظلا ظليلا يستريحون فيه كان الله له كذلك فمن أكرم عبد المراعاة سيده فانما أكرم السيد نفسه ولذلك جاء فى الحديث عن الله تعالى أنه يقول للعبد يوم القيامة جعت فلم تطعمنى واستسقيتك فلم تسقنى ومرضت فلم تعدنى فيقول العبد كيف تجوع وأنت رب العالمين وكيف تمرض وأنت رب العالمين وكيف تستسقى وأنت رب العالمين فيقول له سبحانه مفسرا لذلك أما انه مرض عبدى فلان فلو عدته لوجدتنى عنده وجاع عبدى فلان أما انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى واستسقاك عبدى فلان أما انك لو أسقيته لوجدت ذلك عندى ففسر سبحانه نفسه قوله جعت ومرضت واستسقيتك بقوله جاع عبدى فلان ومرض عبدى فلان واستسقاك عبدى فلان فمعاملة العبد لملاحظة سيده هى معاملة السيد بلاشك فمن رسخ قدمه فى هذا المقام وصارت معاملته مع

الحق تعالى جل جلاله فى كل شىء فلا يراقب غير الله تعالى ويجمع مكارم الاخلاق مع الله تعالى ومع عباده قول النبى صلى الله عليه وسلم أكرموا الله تعالى أن يرى منكم مانهاكم عنه وهو أن لا يراك سبحانه حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك والامر الذى يبعث العبد على الحياء من الله تعالى هو أن يعلم علم حضور أن الله على كل شىء رقيب وعلى كل شىء شهيد وهو قوله تعالى واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه فاذا شغل العبد قلبه بهذه المراقبة واستعملها حتى اعتادها وألفها ألزمه الحياء من الله تعالى أن لا يقول قولا ولا يفعل فعلا لا يرضاه الله تعالى ولا يليق بجلاله وهو حاضر القلب وهو معكم أينما كنتم بان الله تعالى معه وناظر اليه فان العبد اذا أراد أن يزنى مثلا أو يسرق والناس ناظرون اليه لا يقدر أن يقدم على ذلك مع علمه بنظر الناس اليه ويستقبح ذلك من نفسه ويستخبثه فاذا كان الحال هكذا مع المخلوق الذى لا يملك ضرا ولا نفعا والحامل له على ذلك كله مخافة أن يسقط من أعين الناس وينحط قدره عندهم فلا شك أنه اذا كان حاضر القلب عند الشروع فى الفعل الذى لا يرضاه الله تعالى ترك ذلك الفعل قطعا وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فمن كان بهذه الحالة لزمه أن يحسن تلك العبادة ويتقنها على قدر قوة علمه أن الله ناظر اليه فيها انتهى (وسئل رضى الله عنه) هل يلزم الانسان الاختبار اذا أحس بشىء خرج من ذكره وهو فى الصلاة فقال لا يلزمه ذلك ولا ينبغى له أن ينقض وضوءه بمجرد الشك بل يبقى فى صلاته ولا ينصرف منها لعدم اليقين لان اليقين لا يحصل الا بالاختبار والاختبار متعذر وهو فى الصلاة ثم بعد فراغه من الصلاة

يختبر فان وجد ذلك حقا أعاد الوضوء والصلاة وان لم يجد فلا اعتبار بالشك
الواقع فى الصلاة لانه انكشف خلاف ماخيل انتهى (وسئل رضى الله عنه)
عن الدعاء فى الصلاة هل يأتى به بصيغة الجمع اذا كان اماما ولو كان واردا
عن النبى صلى الله عليه وسلم بصيغة الافراد مثل اللهم أعط نفسى تقواها
وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ونحو ذلك فيقول اللهم
أعط أنفسنا فقال ائت بصيغة الجمع وان كان واردا بصيغة الافراد لان
فى الحديث من أم قوما فأفرد دونهم نفسه فقد خانهم (وعن ثوبان) رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يحل لاحد أن
يفعلهن لا يؤم رجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فان فعل فقد خانهم ولا
ينظر فى قعر بيت قبل أن يستأذن فان فعل فقد دخل خائنا ولا يصلى وهو
حاقن حتى يتخفف رواه أبو داود واللفظ له والترمذى وابن ماجه وحديثه
مختصر وقال الترمذى حديث حسن ورواه أبو داود أيضا من حديث
أبى هريرة ومنها أن يسأل الله تعالى بعزم ورغبة وحضور قلب ورجاء
قال الله تعالى انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين والنبى صلى الله عليه وسلم وان أتى بصيغة الافراد
فهو روح كل مؤمن ففى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
ما دخلت شوكة فى رجل أحدكم الا وجدت ألمها وأيضا اذا كان الانسان
منفردا يأتى بصيغة الجمع وينوى المسلمين وهو أولى هذا معنى ما ذكره
أعاد الله علينا من بركاته آمين (وسئل رضى الله عنه) ما الفرق بين الظن
الذى هو أكذب الحديث والذى لا يغنى من الحق شيأ وبين الظن الذى
فى قوله تعالى فى الحديث القدسى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى عبدى

ما شاء (فأجاب) ان الله سبحانه وتعالى لا يعلم أحد ما عنده ولا يدرى ما يفعل
به فاذا ظن به عبده خيرا حققه الله فكيف اذا تحقق العبد فى الله خيرا فهو
سبحانه وتعالى يحقق لعبده ظنه ولا تسأل عمن علم فى الله وعلم بالله حق علمه
سبحانه ما أكرمه (وسئل رضى الله عنه) عن القراءة خلف الامام هل لا بد
منها أم قراءة الامام له قراءة (فأجاب) بأنه لا يقرأ خلف الامام الا الفاتحة لما
فى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال لعلكم تقرؤن ورائى قالوا انا نفعل
قال لا تفعلوا الا بأم القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها ولم يفرق النبى صلى الله
عليه وسلم بين أن يكون اماما أو مؤتما أو منفردا وفى الاصل ان الصلاة
مناجاة بين العبد وربه ولا تكون مناجاة الامام مناجاة عن المؤتم قال تعالى
وأن ليس للانسان الا ما سعى انما الامام يكون شفيعا لقوله صلى الله
عليه وسلم أئمتكم شفعاؤكم فانظروا لانفسكم شفعاء وأيضا فان فى الحديث
القدسى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى فاذا قال بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله ذكرنى عبدى واذا قال الحمد لله رب العالمين قال حمدنى عبدى واذا
قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال مجدنى
عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هؤلاء بينى وبين عبدى
ولعبدى ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل فجعل
سبحانه وتعالى الصلاة هى الفاتحة لانه قال قسمت الصلاة بينى وبين عبدى
ولم يذكر الا الفاتحة مع أن الصلاة أذكار وأركان فهو كقول النبى صلى الله
عليه وسلم الحج عرفة مع أن أعمال الحج كثيرة لكن الوقوف لا يتم الحج
الا به واذا لم يقف بعرفة لا يسمى حجا ولو فعل أعمال الحج جميعها كذلك

الفاتحة فى الصلاة (وقال رضى الله عنه) لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يحرض عبيده على انفاق المال فى الصدقة ويرغبهم فى ذلك قال تعالى وآتوهم من مال الله الذى آتاكم فأضاف المال الى اليه سبحانه لان السيد اذا قال لعبده أنفق من مالى والخير عائد عليك فى إنفاقه كان ذلك ترغيباله فى إنفاقه لان الانفاق من مال غيره والخير عائد عليه ولما أراد سبحانه وتعالى أن يحرضهم على حفظه عن الاتلاف قال سبحانه ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما فأضاف المال الى العباد اضافة ملك ليكونوا أشد حرصا عليه سبحانه وتعالى ما أبلغ كلامه رزقنا الله التدبر لمعانيه (وقال رضى الله عنه) فى قول الله سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى الصوم لى وأنا أجزى به أى ان الصوم صفة من صفاتى كما قال تعالى وهو يطعم ولا يطعم وفى الحديث تخلقوا باخلاق الله تعالى فأمر سبحانه وتعالى عبيده أن يتخلقوا بهذه الصفة وهو عدم الطعم للطعام فى وقت مخصوص فقوله الصوم لى أى هو فى الحقيقة لى لانى أطعم ولا أطعم وأنا أجزى به أى أنا جزاؤه لانه تخلق بخلقى فجعلت جزاءه النظر الى فأنا جزاؤه فان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال له عليك بالصوم فانه لا مثل له فلو لم يكن تفسير هذا الحديث كذلك لتعطل المعنى تعالى الله علوا كبيرا اذ لو كان معناه على ظاهره لكان مثل سائر الاعمال لان الاعمال كلها لله وهو سبحانه وتعالى يجزى بها (وقال رضى الله عنه) أنزل الله القرآن محكما ومتشابها فالمحكم أوضح من الشمس قال تعالى هذا بيان للناس وهدى وقال تعالى قد بينا الآيات لقوم يعقلون وقال تعالى فألهمها فجورها وتقواها أى بين لها طريق السعادة وضدها وقال تعالى وهديناه النجدين أى بينا له النجدين واذا أشكل

منه



منه شىء لقلة فهم فقد أمر سبحانه رسوله أن يبينه للناس قال تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون فبين صلى الله عليه وسلم فى السنة ما بينه ومالم يبينه فليس لنا أن نبحث عنه وأما المتشابه فأنزله تعالى ليختبر به عبيده وهو أعلم بهم فنهم من يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله ومنهم من يؤمن به على الجملة فيقولون امنا به كل من عند ربنا وهم الراسخون فى العلم والذين ينظرون فى متشابهه ويحرمون حلاله انما هم يتكلفون ما لا يعنيهم ويقولون على الله ما لا يعلمون ويفترون على الله الكذب ولو قيل لاحدهم أتحلف بالله العظيم وطلاق امرأتك ثلاثا ان ما فسرت به هذه الآية التى هى من المتشابهات هو مراد الله لرجع عن ذلك خوف أن تطلق امرأته فيصير زانيا ولم يعلم أنه قد كفر قال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقال تعالى ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم فهذا الذى خاض فيما لا يعنيه ما علم تفسير تلك الآية التى هى من المتشابهات انما هو من عند نفسه وليس معه دليل من السنة ولا هو مبين من عند الله فليته كان من أهل الدرجة الثالثة وهى لا أدرى لان فى الحديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ومن سمع منى شيأ فرده فانا خصمه يوم القيامة وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة آية محكمة وسنة ماضية ولا أدرى (وقال رضى الله عنه) سبب اندراس الاسلام خوض الناس فيما لا يعنيهم فاكثروا الرسوم فى العلوم والكتب المؤلفات فى بيان أشياء ما أمرنا أن نتكلف بها ولا نبحث عنها كالعلم باليد فى قوله تعالى يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان

وهذا لا ينبغي ولا يجوز الخوض فيه ويجب أن لا نتكلم فيه بشيء أبدا فان الله سبحانه وتعالى جعل للرحمة يدين فقال سبحانه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وجعل للنجوى يدين فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة فيدا الرحمة ويدا النجوى لا يعلم كيفيتهما الا الله سبحانه وتعالى فما ظنك فى العلم بكيفية يد الحق سبحانه وتعالى آمنا بالله فهى كما يليق بجلاله وجماله وكماله فالخوض فى مثل هذا أعظم الخطر قال الله تعالى حاكيا عن أهل النار لما قيل لهم ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين فتأمل ما أخطر الخوض مع الخائضين وهذا من جملة الخوض الذى هو الى الهلاك أقرب بل هو عين الهلاك (وقال رضى الله عنه) فى معنى سبحان الله وبحمده سبحان الله منصوب بفعل محذوف أى أسبحه تسبيحه الذى يعلمه لنفسه ويليق بجلاله وكما يسبح به نفسه وبحمده متعلق بفعل محذوف يعنى وأحمده بحمده كما يليق بجلاله كما قال صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (وقال رضى الله عنه) رأى بعض الصالحين من أولياء الله تعالى فى المنام الحق جل وعلا فقال له يا الهى وسيدى أكرمت الرسل صلوات الله عليهم أجمعين بالوحى والمناجاة فاجعل لى شيأ يكون بينى وبينك من غير واسطة فقال سبحانه من أحسن الى من أساء اليه فقد أخلص لله شكرا ومن أساء الى من أحسن اليه فقد أبدل نعمة الله كفرا وهذا من أعظم الفوائد من عمل به أرشده الله الى الخيرات والمحسنون اليك قد يكونون من جنسك ومن غير جنسك وذلك الاحسان كله هو بتسخير من المحسن الكريم الاعظم

فما سخر لك سبحانه وتعالى دابتك وعبدك وجاريتك فدابتك محسنة اليك بحملها اثقالك وحملك على ظهرها وتطيعك أينما وجهتها فاحسانك اليها أن تشبعها من رزق الله وتسقيها ولا تحملها زائدا على جهدها ولا تضربها لتسير سيرا فوق ما تطيق فان فعلت فقد أسأت اليها وان أسأت اليها فأنت داخل فيمن أساء الى من أحسن اليه وبدلت نعمة الله كفرا نسأل الله العافية والسلامة وكذلك العبد وهو أيضا مختص بشيء آخر وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم خادم القوم سيدهم فكيف اذا أسأت الى سيدك المحسن اليك وبدلت نعمة الله كفرا (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولم يقل نعم الله أى لا تحصوا نعمة واحدة أنعمها عليكم فانظر الى نعمة الحب فان الله سبحانه وتعالى رزقك اياه وأنعم عليك به وأنت تنظره موجودا بعد أن كان فى العدم ولا تدرى كيف وجوده ولو تفكرت لعرفت مقدار نعمته فان الله سبحانه وتعالى أولا أمر الارض فخدمته بأن حفظته فى بطنها ثم أمر السحاب فخدمته بأمطارها ثم أمر المطر فخدمه بسقيه اياه ثم أمر الشمس فخدمته بانضاجها اياه ثم أمر الريح فخدمته بتلقيحها اياه ثم خدمه الحديد لان منه آلات الزراعة ثم خدمته البقر وغير ذلك حتى حصل فسبحان المنعم المتفضل وقال فى أثناء ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم أكرموا الخبز فان الله سبحانه وتعالى سخر له بركة السماء والارض وما أهانه قوم الا سلط عليهم الجوع ومن نعمه سبحانه وتعالى أن جعل رزقك يتبعك أينما كنت اذ لو كان فى محل واحد وأنت تقصده لكان ذلك هو العذاب الشديد فانك اذا رحلت من بلدك مثلا الى مكة فرزقك فهو مقسوم مكتوب وما كتب لك سوف يأتيك

ألاترى انك تشرب مثلا شربة من زمزم وهو سبحانه قد قسمها لك وعلمها منحازة عما خالطها من المياه فى جوف البئر فيعلم أن هذه الجرعة فى هذا الدلو هى رزق لفلان وهذه تراق على الارض وهذه تعود الى البئر يعلم ذلك سبحانه مقسما قبل أن يوجده من العدم فيسوق اليك منه رزقك وأيضا يأتيك رزقك اليها من الهند ومن الروم ومن الطائف فهذه رمانة قسمت لك رزقا قبل وجودها وقبل وجودك فساقها اليك وهذا صاع من رزساقه اليك من الهند وغير ذلك اذ لو كلفت أن تحمل جميع رزقك من ماء وحطب وعلف وحب وجميع ما تحتاجه من بلدك وهو بالغرب مثلا الى مكة لاستغرق أكثر جمال الارض رجل واحد اذا أراد مثلا أن يسكن فى مكة عشر سنين أو سنتين أو سنة وهذا هو العذاب الشديد فسبحان المتفضل ما أكرمه ومن النعم الجوارح التى أودعها فيك والحواس فانك لا تعرف نعمة النظر الا اذا فقدته ولو كان معك ملك الدنيا بأجمعها وقيل لك اختر رجوع نظرك ويؤخذ الملك منك أو يبقى الملك فى يدك مع فقد نظرك لاخترت النظر ولكنك لم تعلم بقدره عند وجدانه وكل شىء ما يعرف الا بضده ✻ وبضدها تتميز الاشياء ✻ ولكن لا ينفع الاعتراف بالنعم عند فقدانها ثم قال اللهم اجعلنا ممن اعترف بنعمك عند وجودها وأوزعنا شكرها (وقال رضى الله عنه) الدنيا سجن المؤمن هذا الحديث معناه أن المسجون لا يكون همه الا الخروج من السجن كذلك المؤمن ليس همه الا الخروج من الدنيا شوقا للقاء ربه فان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه انك ميت وانهم ميتون سر بذلك سرورا عظيما شوقا الى لقاء الله تعالى لانه مشاهد للحق تعالى فى كل حالة لكن سبحانه وتعالى متصف بصفات القهر والرحمة

والعذاب

والعذاب فى الدنيا وفى الاخرى بالرحمة فقط فلذلك كل من أحب الله تعالى أحب لقاءه قال الله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولان المؤمن مخاطب بمحاسبة النفس فى الدنيا فلذلك كانت فى حقه سجنا فاذا لم يكن كذلك فهو من نقص ايمانه لانه مطمئن الى الدنيا قال تعالى يا أيها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ولم يقل منا اذ لو قال ذلك لانشقت قلوب الصحابة لقوة معرفتهم بالله تعالى فأدبهم تأديبا لطيفا بدمعة لا تفضى الى الهلاك ومعنى الآية ما لكم اذا قيل لكم أى نقول لكم تعالوا الينا قاتلوا فى سبيل الله فاما أن ننصركم واما أن تقتلوا فتلقوا ربكم الذى هو منتهى بغية المؤمنين وبقدر حبكم للقائه يكون حبه للقائكم ففى الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه اثاقلتم الى الارض أى اطمأننتم اليها أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ورغبتم عن لقاء ربكم فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل فقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله كلنا نكره الموت فأجاب ان تلك الكراهة من جهة الروح لانها قد أنست بالجسد وألفته ومفارقة المألوف صعب مع أنها فى أول الامر ما قنصت الى قفص الجسد الا وهى تصياح ولولا الامتثال لامر الله تعالى ما قدر على اصطيادها الملائكة الموكلون بأن يدخلوها الى الجسد لانها كانت مطلقة فى رياض الروحانيين فحبست فى قفص الجسد ثم أنست به واطمأنت به وألفته حتى انها تعانقه عند الموت من شدة شغفها به كما يعانق المحبوب محبوبه عند فراقه ورعايتى ولذلك شرع غسل الميت (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من

الظالمين فقوله فظن أن لن نقدر عليه أى نضيق عليه كقوله تعالى وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه أى ضيق عليه رزقه وقوله تعالى ويبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لانه لايظن أحد أن الله لا يقدر عليه فما ظنك بالنبى ثم لما ظن هذا الظن ضيقنا عليه فى ظلمات ثلاث لانه أوقف الرحمة عليه ولم يطلقها عليه وعلى قومه فضيقنا عليه ووسعنا على قومه قال تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين فهم ممتعون باقون فى الحياة ولكن هذا التضييق من الحق تعالى لنبيه يونس عليه الصلاة والسلام هو عين التوسيع لانه تأديب وأى توسيع أعظم من تأديب المولى لعبده به الفوز والفلاح والنجاة (ومن فوائده رضى الله عنه) فى الطب أن الحنظل دواء للدغ العقرب إما ورقه أو ثمره واذا خلط بزبل الحمام كان أعظم فى النفع وكذلك من أدويته أيضا عود القرح وللدغ الحية النوشادر واذا كان الانسان أو غيره حاملا للنوشادر لا تلسعه الحية أبدا بل لا تقرب به باذن الله * ومما ينفع للدغة العقرب أيضا الريال اذا حك على ماء ثم لطخ به موضع اللدغة ثم يربط عليه فانه نافع (وقال رضى الله عنه) لما أرسل الله موسى عليه الصلاة والسلام الى فرعون كان السامرى يتشبه بموسى بين يدى فرعون ليضحكه استهزاء منه واستهانة فبسبب هذا التشبه على هذا الوجه نجاه الله من الغرق فلم يغرق مع فرعون وأصحابه بمجرد التشبه والحال أنه على وجه الاستهانة والاستهزاء فكيف اذا كان على غير هذا الوجه وكيف اذا كان بحسن نية ولو لم يقم بالعمل قال الشاعر

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم * ان التشبه بالكرام فلاح

(وقال

(وقال رضى الله عنه) النكتة فى ايراد قصة الهدهد فى سورة النمل قول سليمن عليه الصلاة والسلام يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين فقوله وأوتينا من كل شئ فيه نوع زهو ونزر يسير من رائحة فخر خفى فأجرى الله سبحانه وتعالى على لسان الهدهد أحطت بما لم تحط به تأديبا له عليه الصلاة والسلام بهذا التبكيت ثم أنطق الله سبحانه وتعالى هذا الهدهد بقوله ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون فأخرج الله سبحانه وتعالى الخبء الذى فى طى كلام سليمان عليه الصلاة والسلام بقصة الهدهد وأتى من صفات الحق تبارك وتعالى بقوله الذى يخرج الخبء ولما تأدب عليه الصلاة والسلام بآداب الحق جل وعلا قال لما رأى عرش بلقيس عنده قبل أن يرتد اليه طرفه وهذا الحد لا تعذر دونه أبدا هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر وأراد أيضا أن يؤدب بقوله هذا أى قوله ليبلونى أأشكر أم أكفر آصف لئلا يستفزه شئ من الشيطان لانه قال آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فهو عليه الصلاة والسلام أضاف الضمير الى نفسه وأراد به آصف ليؤدبه وهذا من ألطف العبارات فسبحان الله العظيم ما أبلغ هذا الكلام الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى ففروا الى الله فأطلق المفرور منه وقيد المفرور اليه أى ففروا فرارا مطلقا من كل شئ الى الله حتى انه بلغ الحال بأبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له نأتى لك بطبيب قال الطبيب أمرضنى ففر من أمله الى الله سبحانه وتعالى فاذا أهمك أمر ففر منه اليه سبحانه فاذا سلط عليك مثلا عدوا فان قابلته بالحول والحيل والعدد

وجعلتها مجردة للمدافعة فقد فررت من الله لانه هو الذى سلط عليك ذلك العدو الى ما معك من الجند والمال نسألك اللهم عافيتك وان جعلتها اغاهى أسباب وليطمئن بها القلب قال الله سبحانه اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم مع كونك معتقدا اعتقادا تاما أن النصر من عند الله وخرجت لقتال عدوك وأنت واثق بالله لا أنك معتمد على جندك أبدا فقد فررت من العدو الى الله كذلك الفقر اذا ابتلاك به فان فررت منه الى قصد مخلوق أو الى حرفة فقد فررت من الله الى من قصدت منافعه وان فررت منه الى الله وسلكت معنى دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك كنت فارا من الفقر الى الله سبحانه وتعالى فان بعض أهل الحرف من الصالحين حدثته نفسه فى بعض الايام وهو شات شديد البرد ان لم تداوم على حرفتك فمن أين تأكل فخلف أن لا يعطيها مما كسب من تلك الحرفة شيأ انما أبقى فيها القضاء حوائج الناس منها فهذا معنى قوله تعالى ففروا الى الله (وقال رضى الله عنه) قال النبى صلى الله عليه وسلم من جملة دعائه اللهم انى أعوذ بك من القتل عند الفرار من الزحف وقال النبى صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا وهو معنى قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار الآية فالقتل عند الفرار من الزحف تعوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه هذا الوعيد فى القرآن وكذلك الموت على غير توبة نسأل الله العافية فانه أكبر من الفرار من الزحف لان مجاهدة النفس والشيطان هو الجهاد الاكبر كما فى الحديث فالقتل عند

الفرار

الفرار منه أكبر لانك اذا فررت من مجاهدة النفس والشيطان فقد فررت من الزحف والفرار منه هو هتك ما حرم الله سبحانه أو ترك ما أمر به فنعوذ بالله أن نموت ونحن مصرون على شئ منه اللهم أمتنا ونحن تائبون مجاهدون فى سبيلك والجهاد فى سبيل الله هو القيام فى نحر العدو وأى عدو أعظم من الشيطان والنفس وسبيل الله هو الطريق الموصلة الى الله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا (وقال رضى الله عنه) قال الله سبحانه وتعالى لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة الى قوله انه بهم رؤف رحيم فابتدأهم الله سبحانه وتعالى بالتوبة وحباهم بها وكل واحد منهم ذنبه على قدره وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس له ذنب كيف وهو معصوم ولكن لما عرف قدر الله سبحانه حق قدره نزل نفسه منزلة المقصر فى حقه وكان ذلك ذنبا عنده فتاب عليه الحق سبحانه وتعالى باعتبار ما عنده من تسمية ذلك ذنبا اذ كل واحد له ذنب باعتبار ما عنده وان كان ليس ذنبا حقيقة فتاب عليهم جميعا ولم يكلهم فيها الى أنفسهم شيأ بخلاف الثلاثة الذين خلفوا فانه لما ظهر ذنبهم على رؤس الاشهاد قال فى حقهم تبارك وتعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الى قوله ان الله هو التواب الرحيم فقال ليتوبوا فوكلهم الى أنفسهم فى التوبة لكن لولا أنها سبقت توبة الله عليهم ما قدروا على التوبة وما تشاؤن الا أن يشاء الله فافهم هذه النكتة (وقال رضى الله عنه) لما قالت الملائكة عليهم الصلاة والسلام حين قال الله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك جعل سبحانه مصلحتهم على يده فى أول

وهلة فهم أول من استفاد منه حين علمهم الاسماء وهم مع طول مدة أعمارهم في عبادة الله تعالى لم يعرفوا الاسماء ومعرفة الاسماء والعلم بها هو أعظم العلوم فان كل اسم من أسماء الله اذا عرف ازدادت معرفة الله تعالى ثم ذكروا الفساد بقولهم من يفسد فيها وجعلوا الفساد بسبب واحد منهم وهو ابليس ثم لما قالوا ويسفك الدماء ولم يعينوا بكونه حلالا أو حراما أمرهم أن ينزلوا فيسفكوا الدماء في يوم بدر وبقولهم هذا ظهرت مزية الانسان وشرفه فجزاهم الله عنا خيرا الان الله سبحانه وتعالى خاصمهم عنا قبل وجودنا لما نسبوا ذلك الينا وقولهم أتجعل فيها الخ هو كسكرة أدهشتهم لما نزل الحق نفسه منزلة المستشير لهم فسكروا وسكرة بسط فلا لوم وأى سكرة أعظم من سكرة البسط وأى بسط أعظم من أن يستشير الملك الذى يعلم ما في السموات وما في الارض ويعلم ما تخفى الصدور من عبيده

(وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا فقال اذكروا الله وأتى باسمه الصريح ليكون أشد تشويقا لذكره تعالى قال الشاعر

فبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر

ثم أطلقه في كل وقت ولم يقيده بوقت من الاوقات ثم قال وسبحوه بكرة وأصيلا فقيده بالبكرة والاصيل وذلك لان الذكر في كل حالة هو المراقبة فاذا ذكرت الله تعالى على كل حال بقلبك ولسانك وتجنبت ما نهيت عنه وامتثلت ما أمرت به كان ذكرا مطلقا وأيضا لانك مفتقر اليه في جميع الحركات والسكنات والانفاس والخطرات فما طرفة عين الا وأنت مفتقر اليه فيها والتسبيح هو تنزيه الحق جل وعلا فنزهه عن أن تكون البكرة

فى حقه بكرة أو يكون الاصيل فى حقه أصيلا وكذلك شرع فى السجود والركوع وعند القيام من المجالس ففى كلها تسبيحه أى تنزهه عن أن يكون متصفا بهذه الافعال

(وقال رضى الله عنه) حقيقة الزهد أن الانسان اذا أعطاه الله جاد واذا منعه عف فالغنى يعطيه الله سبحانه مالا فلا بد أن يسئل عنه فان أنفقه فى سبيل الله على تنوعه سئل سؤال تكريم ثم يجزى الجزاء الاوفى وان أضاعه فى غير ما رضى الله سئل سؤال تبكيت وعاد عليه بالخزى والوبال وهذا معنى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وهو اذا أكل أكلة من رزق الله فان أدى شكرها وهو أداء ما افترض الله عليه واجتناب ما نهاه عنه سئل عنها سؤال تكريم واذا تقوى بها على معصية الله خاصمته تلك الاكلة بين يدى الله فينصفها منه لانه عدل وكذا ركوب الخيل ولبس الثياب وجميع ما أنعم الله عليك به كلها ناطقة عليك أولا فى الدنيا فانه لو كشف لك الحجاب لسمعت الارض التى تعصى الله فيها تقول لك بلسان فصيح اتق الله وكل شئ يطلع عليك كذلك وثانيا يوم القيامة يقوم لك كل شئ عصيته فى معصية مخاصما بين يدى الله أفتراه يظلم ولا ينصف كلا والله انه هو العدل الحكيم ثم تشهد عليك جوارحك قال تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فهيهات أن يخفى ما سترته ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى أنعم عليك باللحم ولا يكون الا بعد موت البهائم والموت إما بالذبح أو بالصيد فهى فى نفسها ذلك الذبح بغيتها ومرامها أن يذبحها مسلم أو يصطادها ليتقوى بها على طاعة الله تعالى وهو معنى التسخير فاذا تقويت بها على معصية الله صرت غاصبا لها وخاصمتك بين

يدى الله وخلاصته أن كل ما أعطاك الله ان أنفقته بالمعروف فقد تصرفت فى مال الله بالحق وان لم فقد صرت غاصبا المال الله لانه أعطاك اياه وعلمك كيف تنفقه فان امتثلت سعدت وان خالفت شقيت (وقال رضى الله عنه) قوله تعالى أقم الصلاة لذكرى أى لاجل ذكرى لك كما ورد فى الحديث اذا قال المصلى الحمد لله قال الله أثنى على عبدى الى آخره (وسئل رضى الله عنه) اذا لحق المؤتم الامام فى الركوع هل يعتد بتلك الركعة أم لا مع انه ورد فى الحديث لا صلاة الا بأم القرآن وهو هنا لم يقرأها (فأجاب) انه يعتد بها ولو لم يقرأ أم القرآن وهو خاص فى هذا الموضع لان النبى صلى الله عليه وسلم طوّل فى الركوع فى بعض الصلوات تطويلا خارجا عن العادة فسئل عن ذلك فقال أمسك جبريل يدى فى ركبتى حتى أتى على ابن أبى طالب فأدرك تلك الركعة ثم قال فانظروا الى هذا التكريم الذى لعلى كرّم الله وجهه ورضى عنه ينزل جبريل من تحت العرش بل من سدرة المنتهى بأمر الله تعالى فيمسك يدى النبى صلى الله عليه وسلم حتى يأتى فيدرك الركعة هذا تشريف وأى تشريف (وقال رضى الله عنه) علت هِمم قوم من أمة النبى صلى الله عليه وسلم ومن غيرها من الامم حتى لا يريدوا سوى الله واذا أرادوا الله سبحانه صارت الدنيا والآخرة تحتهم (قيل) ان بعض الملوك قال لجواريه كل واحدة منكن تختار ما أرادت وهو لها فكل واحدة اختارت شيأ مما فى ذلك المنزل وواحدة لم تختر شيأ فقال لها لم لم تختارى معهن شيأ قالت أختار سيدى ثم وضعت يدها على رأسه فقال الدار كلها لك بما فيها فانظر الى من علت همته وسلم دوقه وكذلك سحرة فرعون جاؤا فى أول اليوم يبتغون شرا ويريدون ادحاض الحق

بالباطل

بالباطل وهو آية موسى بسحرهم ثم ما مر عليهم ذلك اليوم الا وقد سعدوا السعادة الكبرى وبلغوا درجة الولاية وأرادوا الله لا سواه حتى إنه لما قال لهم فرعون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل الى قوله والله خير وأبقى فقالوا والله خير وأبقى ولم يقولوا والآخرة خير وأبقى ففعل ما توعدهم به ولم يرتد منهم أحد ثم بعد ذلك بلغوا هذه الرتبة ساعة لم يعبدوا الله قبلها أبدا ولم يوحدوه فنحن أحق بذلك ومالنا أن لا نرجى فى الله ذلك وتظن فيه وهو عند ظننا أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء (وقال رضى الله عنه) علم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ثلاثة علوم علم الشريعة وعلم الخواص وعلم خواص الخواص فعلم الشريعة فى جميع الامة يعلمها الخاص والعام وعلم لم يعلمه الا الخواص وعلم لم يعلمه الا خواص الخواص وهو معنى قول على كرم الله وجهه ورضى الله عنه ههنا علم وأشار الى صدره لو وجدت له حملة وقول أبى هريرة رضى الله عنه أخذت وعاءين من علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم اللهم اجعلنا من خواص الخواص برحمتك يا أرحم الراحمين وبحرمة الفاتحة آمين آمين آمين (وقال رضى الله عنه) لما حدث النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بقصة موسى حين قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى قال تجلى تعالى للجبل بنوره بمقدار رأس الانملة ثم أشار بالخنصر من أصابعه ووضع ابهامه على الخط الاعلى منها فقال الشيخ رضى الله عنه ذلك النور الذى تجلى منه للجبل بقدر الانملة هو نور النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا أيها النبى

انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فالسراج هو النور والنور النبى صلى الله عليه وسلم هو النور الهادى (ثم قال الشيخ) رضى الله عنه أمره الله بعد أن أفاق أن يضرب بعصاه الجبل فضرب بها فظهر سبعون ألف بحر فى كل بحر سبعون ألف جبل على كل جبل سبعون ألف موسى عليهم الكساء وبأيديهم العصى وكل واحد يقول رب أرنى أنظر اليك فخر موسى صعقا فقال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين وحين كلمه الله من الشجرة قال يارب أهكذا كلامك لانه سمعه من جوانبه ومن ظاهره وباطنه فقال له الحق تعالى ياموسى انما أكلمك بقوة عشرة آلاف لسان ولى قوة الالسن كلها وأقوى من ذلك ولو كلمتك بكنه كلامى لم تك شيأ سبحان القادر الذى لا محال عليه وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم ولو حدثتكم بصفة كل عالم لما حملتكم قلوبكم سبحان الواسع الحكيم (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه أى لا تكن ككليمنا موسى حين عجل عن قومه شوقا الى ربه ففتنوا من بعده وذلك لان النبى يطير الى ربه بأجنحة النبوة فيخلف قومه وراءه فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصبر مع قومه فيمشوا أمامه ويسوقهم الى الله كالراعى يسوق غنمه (وقال رضى الله عنه) لا يخلوا الانسان من التدبير وذلك لان الله سبحانه وتعالى جعل الانسان خليفة فى الارض والتدبير من شأن الحق سبحانه وتعالى فسرى سره الى الخليفة وكذلك الارادة فانه ذكر عند أبى يزيد البسطامى الزهد فقال الزهد ليس عندى بشىء انما

كنت

كنت فيه ثلاثة أيام اليوم الاول زهدت فى الدنيا واليوم الثانى زهدت فى الاخرى واليوم الثالث زهدت فيما سوى الله تعالى فقيل لى ماتريد فقلت أريد أن لا أريد (فقال) بعض المشايخ انه أراد اذا (وقال رضى الله عنه) فى وصف الجنة ان أهل الجنة فيها كل واحد منهم يدرك لذة النعيم فيها بقدر ايمانه فى الدنيا فالاثنان يشربان مثلا من نهر واحد وكل واحد منهما يدرك ذوقا غير الآخر وكذلك الرؤية للحق تعالى كل واحد على قدر ايمانه يحصل له التلذذ والادراك وعلى هذا غيره من النعيم وفى الدنيا القرآن وزمزم كل واحد يدرك ذوقهما على قدر ايمانه اللهم اجعلنا مؤمنين يا أرحم الراحمين ثم لا يزال يزداد معه الذوق كلما تقوى بنعيم الجنة الى مالا غاية له كلما تقوى من الرؤية مثلا زاد ذوقه واتسعت دواعيه فان لاهل الجنة سوقا يتسوق اليه أهل الجنة فى كل جمعة أى فى محل يوم الجمعة من أيام الدنيا فيتجلى لهم جل وعلا فيأخذ كل عضو قصده وكل جارحة ثم يعود الى محله وقد ازدادت خلقته وتنور لونه فيكتسب أهله من ذلك الجمال ثم لا تزال الاعضاء تشرب ذلك وتتلذذ فلا تدور مدة أسبوع فى الدنيا الا وقد أدرك داعيا الرؤية كما يدرك العطشان داعيا الماء فيذهبون الى ذلك السوق والقوى والتلذذ فى ازدياد الى مالا نهاية له وذلك لانها حياة لا موت فيها اللهم انا نسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل ونعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق الى قوله لقوم يعلمون أى ان الله سبحانه وتعالى خلق جميع المخلوقات للانسان وسخر له جميع ما فى السموات وما فى الارض لكن للذين



آمنوا منهم وأما الذين لا يؤمنون فليس لهم من ذلك شيء وانما هم غاصبون
لما فى أيديهم على المؤمنين ولذلك كان فيأ لمن سبق اليه أمر الله المؤمنين
أن يجاهدوا الكفار ويأخذوا أموالهم الذين هم غاصبون وأما المسخرات
كالارض والشمس والسماء فباقيات تحت قهر الله سبحانه وتعالى كرها
على تسخيرها للكافرين مع أنها لو خلى الله بينها وبينهم لابتلعتهم الارض كما
خلى بينها وبين قارون وتتفطر السموات وتخر الجبال هدا ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة أى هم وغيرهم لان غيرهم من الدواب
أوجدها من أجلهم فبعدمهم تعدم كل دابة ولكن يؤخرهم الى أجل
مسمى وقوله تعالى خالصة يوم القيامة أى لهم لا يشاركهم فيها أحد وأما
فى الدنيا فانه شاركهم فيها الكافرون غصبا (وقال رضى الله عنه) قال الله
تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم
ان فى ذلك لآيات للعالمين فكل واحد من بنى آدم وغيرهم منفرد فى صفة
لا يشاركه أحد فيها من قبل ولا من بعد بل ابتدعه البديع جل وعلا فى
صورة لم تخلق من بعد ولا من قبل كل فرد له لون لا يشبهه لون أحد وله
صوت لا يشبهه صوت أحد وله منطق لا يشبهه منطق أحد فان راعى الابل
يعرف صوت كل واحدة من ابله بعينها كذلك الشعرات ليست كل واحدة
هى عين الاخرى بل كل واحدة منفردة فى وصفها لا يعلم ذلك الوصف الا
الله سبحانه وتعالى ثم هو جل جلاله ناظر الى كل فرد من جميع المخلوقات
نظرا مختصا به الموجود منها والمعدوم والسابق والآتى فى حالة واحدة
سبحانه وتعالى (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الكافرون هم الظالمون هم الفاسقون هذا الحكم ليس هو
مختصا

مختصا بالحاكم بل به وبكل فرد من الناس فكل راع وكل مسؤل عن رعيته
فان الانسان حاكم على أعضائه وجوارحه فان لم يحكم فيها بما أنزل الله
وهو أن يهتك بها محارمه أو يفرط بها عن واجباتها فهو ظالم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أكرموا الله أن لا يراكم فيما نهاكم عنه ثم الحاكم بين
المسلمين مخاطب بالاحكام بين الناس وفى جوارحه وأعضائه فهو أشد
وأين من يحكم بما أنزل الله دعى أبو حنيفة ليكون قاضيا فقال لست
أهلا لها فقيل له لا بد من ذلك فقال قد قلت لست أهلا لها فان كنت فى
ذلك صادقا فاعذرتنى وان كنت كاذبا فبكذبى هذا قد تحقق أنى لست أهلا
لها (وقال رضى الله عنه) لو عمل ابن آدم بعلمه أن رحمة الله وسعت كل شئ
لما كان للحسد فيه مجال فان كل فرد من الناس لو كان وليا مقربا لم يضيق
أحد على أحد شيأ فى سعة رحمة الله ولو كان كل فرد منهم معه ملك الدنيا
جميعها لم يضيق أحد على أحد شيأ فى سعة فضل الله قال النبى صلى الله
عليه وسلم لابى ذر رضى الله عنه انى أراك ضعيفا وانى أحب لك ما أحب
لنفسى وذلك ليس خاصا بأبى ذر بل كل واحد من أمته كذلك فهو يحب
لكل فرد من أمته أن يكون رسولا مقربا فى درجته صلى الله عليه وآله وسلم
لعلمه بسعة رحمة الله ولو كانوا كذلك لما ضيق أحد على أحد شيأ ففيم الحسد
اذا حسبنا الله ونعم الوكيل (وسئل رضى الله عنه) عن صدقة الفطر اذا لم
يجد الفقير شيأ فقال تبقى فى ذمته حتى يوسر فاذا يسر الله عليه أخرج عما
تقدم وذلك لان الصوم يبقى معلقا بين السماء والارض حتى يخرج صدقة
الفطر وليست مخصوصة بالاغنياء بل وبالفقراء الا أنها فى الذمة لا فى
المال (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام اذا

رأيت الفقر قد أقبل فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الدنيا قد أقبلت فقل هذا ذنب عجلت عقوبته والفقر الحقيق عند أهل الله هو فقد ماسوى الله من القلب وذلك أنه ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه فاذا اشتغل القلب بالمال فلا يتسع إلاله عن الله سبحانه وتعالى واذا تخلى عن كل شئ سوى الله تعالى اشتغل بالله عمن سواه اللهم انى أعوذبك من كل عمل يخزينى وأعوذبك من كل صاحب يردينى وأعوذبك من كل أمل يلهينى وأعوذبك من كل فقر ينسينى وأعوذبك من كل غنى يطغينى وأعوذبك من كل قاطع يقطعنى عنك (وسئل رضى الله عنه) عن قول الله تعالى انا عرضنا الإمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا (فأجاب) أن الامانة هى الشريعة لانه هو الذى أهل لها وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان خلقة لم يخلق عليها شيأ غيره فبهذه الخلقة تأهل لحمل الشريعة ثم ضرب لنا مثلا فقال ان المدر اذا عمل ماعونا لحفظ شئ خمر الطين ثم يصنع ويعاد على النار فاذا كان كذلك صار أمينا لا يخون كذلك الانسان خلقه فى أحسن تقويم فتأهل لحمل الشريعة انه كان ظلوما أى ناقصا بدليل ولم تظلم منه شيأ جهولا أى جاهلا عن الشرع ناقصا عن الكمال قبل حمل الامانة فلما حملها صار تاما عالما وأى علم أعظم من العلم الذى جهلته الملائكة فعلمه هو وعلمه الملائكة فمن خان فى هذه الامانة وهى الشريعة بعد حملها فقد ردّ الى أسفل سافلين ومن آمن بها وعمل الصالحات فله أجر غير ممنون ثم اذا حفظ الامانة حق حفظها صار الحق سمعه وبصره الى آخر الحديث فهذا الجوهر الانسانى أمره عظيم لكنه لم يعرف قدره فان الله سبحانه وتعالى لما جعله خليفة فى

أرضه أودعه وسط الممالك التى خلقت من أجله لينظر الى جميع أطرافها فهو ما بين السموات والارضين السبع وجميع ما فيهن مسخرات له كما يضن الملك بأنفس الجواهر فيضعها فى جوف سبعة صناديق ثم من الامانات أيضا النفس والمال لان الله سبحانه وتعالى قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ثم أودعها اياهم أمانة وأمرهم أن يحكموا فيها بالعدل فقال تعالى ان الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات الى أهلها فاداء الأمانة الى أهلها هو أن يبذل الانسان نفسه فى سبيل الله إما فى الجهاد الاكبر أو الأصغر وينفق ماله فمن فعل كذلك فقد أدّى الأمانة الى أهلها والله سبحانه هو أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل فكل انسان يحكم فى أعضائه ونفسه بالعدل والعدل هو الله وكل انسان فى نفسه هو الناس والحكم بالعدل فى النفس والمال اللذين هما أمانة أن تطعم هذه النفس من هذا المال ما تتقوّى به على طاعة الله بالمعروف من غير اسراف ولا تبذير ثم ما فضل منه أمرهم أن ينفقوه فى سبيل الله وهو على سبيل القرض يدخر لهم الى الآخرة مضاعفا فاذا صار الانسان حافظا للامانة هذا الحفظ متصرفا فيها كما أمره صاحب الأمانة فهو داخل فيمن قتلوا فى سبيل الله اذا ماتوا فانهم أحياء ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم بل شهادته أعظم من شهادة من قتل فى الله بالسيف لانه قتل بسيف الحب والشوق فى الجهاد الاكبر والشهادة فى الجهاد الاكبر أعظم منها فى الجهاد الاصغر وكذلك انفاق المال قال تعالى آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم أن لا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض يعنى ان المال كله لله ثم ادّعيتم فيه الملكية

فأقركم على ذلك ثم اشتراه منكم وأودعكم اياه أمانة ثم بعد ان قبضكم اليه قسم مالكم لمن يريد فأنزل آيات الميراث وذلك أن الانبياء لا يورثون شيأ لانهم لم يدعوا الملكية أبدا بل ما أمنهم الله تعالى عليه من المال صرفوه فيما أمرهم فلم يملكوا شيأ (وقال رضى الله عنه) قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب ينسبون العلم كله لله وهم يعلمون بما صار اليهم من قومهم فمنهم من قتل ومنهم من اتخذ من دون الله الها ومنهم من طرد لكنهم وافقوا المقام هنالك لان الله سبحانه يشتد غضبه حينئذ فلو أن كل واحد منهم ذكر ما صار اليه من قومه لم يوافقوا مقام الغضب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع الا ما يوحى الى مع أنه قد علم ما يفعل به وهو أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعلم أيضا بما يفعل بأمته صلى الله عليه وآله وسلم وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب خطبة من أول اليوم الى آخره لم يفرق بينها الا بالصلاة ذكر فيها خلق السموات والارض الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فنسيها من نسى وحفظها من حفظ لكنه وافق مقام التخويف فانه اذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يدرى ما يفعل به فكيف بغيره وهو صلى الله عليه وآله وسلم لا يدرى ما يفعل به فى الجنة فان الله سبحانه وتعالى يحبوه بأشياء فى الجنة لا تخطر على قلب بشر وكذلك من دخل الجنة لهم فيها ما يشاؤن وتفاصيلها لا يعلمها الا الله سبحانه لانه حى بحياة الله فما ظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو واسطة عقد الكون وكذلك لا يدرى ما يفعل بأمته على التفصيل أى كم أنفاس كل حى الى انتهاء أجله وما يحدث فى لمحة

وخطرة

وخطرة فان هذه ونحوها لا يعلمها الا الله فمقام التجوز فى محله باعتبار الظاهر ومقام الحقيقة فى محله باعتبار الباطن (وقال رضى الله عنه) فى التوكل قالت رسل الله وما لنا أن لا نتوكل على الله الآية أى فى أمورنا جميعها وهو سبحانه قد هدانا سبلنا ابتداء منه وليس لنا اختيار فأوجدنا من العدم وعرفنا التوحيد ولم نتطلب معرفته قبل وجودنا فكيف لا نتوكل عليه الآن فنحن فى التوكل عليه ووجودنا كعدمنا وتوكلهم عليه سبحانه توكل مطلق لا لينصروا فالتوكل على الله سبحانه وتعالى هو التوكل المطلق لا لأجل علة فاما اذا كان معلولا فلا يسمى توكلا فان الله سبحانه كان وكيلا لنا قبل وجودنا خاصم عنا الملائكة حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ثم جعل اسمه الرحيم وجميع أسماء الرحمة غالبة لأسماء الغضب فسبقت رحمته غضبه ثم جعل باب التوبة مفتوحا الى أن يغرغر ثم هو كل يوم ينادى فى الثلث الأخير من الليل هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له الخ فهو سبحانه يدعونا اليه حتى الاعضاء منا تدعونا اليه فان الاعضاء تناشد الانسان تقول له استقم فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا ثم كل يوم يقول للانسان أنا يوم جديد وأنا على ما تعمل فى شهيد فاغتنمنى فانى اذا غربت شمسى لم تدركنى وكل ليلة تقول يا ابن آدم أنا ليلة جديدة وأنا على ما تعمل فى شهيدة فاغتنمنى فانى اذا طلع فجرى لم تدركنى وكذا جميع ما فى الكون يدعو اليه وأعظمها الرسل والقرآن ثم لما كان لنا وكيلا قبل وجودنا هدانا سبلنا المعرفة هذه كلها بالعقل والنقل قبل أن نتوكل عليه فكيف بعده ولذا قالوا وما لنا أن لا نتوكل على الله الآن وهو سبحانه يريد بذلك كله نجاتنا لانه وكيل والوكيل لا يريد الا جلب المنافع

لموكله ودفع المضار بقدر علمه فكيف الوكيل الذى يعلم غيب السموات والارض وربما يحصل للمتوكل حقيقة ما يكرهه فى الظاهر لكن الخير له فيه فان الطبيب ربما يكوى بالنار من طبه ويجرعه شرب المر لكن لشفائه فى ذلك فان الله سبحانه كتب علينا القتال فهو فى الظاهر كره لكنه الدواء الاعظم الذى به السعادة التى ليس مثلها سعادة كذلك الملائكة عليهم الصلاة والسلام كرهوا أن يكون آدم خليفة فى الارض فكان الخير فى ذلك فأول من نال الخير منه هم بتعليمه لهم الاسماء وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم فالانبياء والرسل لما توكلوا على الله وصبروا على أذى قومهم أوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ﴿وحكى﴾ أن أبا يزيد استدان دينا صيره فى مرضاة الله سبحانه متوكلا على الله فى قضائه ثم لما مرض مرض الموت أقبل غرماؤه يطالبونه فأتاه أحد أصحابه وأخبره بأن فلانا يسأل عنك أى من أصحاب الديون فرفع يده وقال اللهم انك جعلتنى رهنا فى أيدى هؤلاء فكيف تقبضنى قبل أن توفيهم فما استتم كلامه حتى سمع منادٍ ينادى فى الاسواق ألا من كان له على أبى يزيد دين فليأت نائم قضى عنه ثم فاضت روح أبى يزيد فرآه بعض أصحابه فى المنام فقال ما صنع الله بك فقال أكرمنى الا أنه عاتبنى على ذلك الدين فقال أخذت من الدنيا شيأ قليلا وضمنتنا اياه فلو أخذت الدنيا بحذافيرها وأنفقتها فى مرضاتنا ترى هل نؤديها عنك أم لا وقدر ذلك الدين عشرة آلاف دينار ثم هو سبحانه وتعالى ينذرنا بالمرض قبل الموت لنتيقظ للتوبة يقول هذا نذير الموت فهل من توبة فانى أقبلها ما لم تغرغر ولذا استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم من موت الفجأة فمن كان هذا فعله بعبده

كيف

كيف لا يوكله فى جميع أموره فلا يكون لنفسه اختيار فى شئ ولا تدبير حسبنا الله ونعم الوكيل (وقال رضى الله عنه) لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يعاتب رسوله صلى الله عليه وسلم أتى بضمير الغائب فقال عبس وتولى اذ لو أتى بضمير الخطاب لانفطر قلبه صلى الله عليه وسلم وحين كلمه بما يسره أتى بضمير الخطاب فقال ألم نشرح لك صدرك ما ودعك ربك وما قلى ثم لما أراد أن يعاتبه بصيغة الخطاب قدم ما تطمئن به نفسه فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم (وقال رضى الله عنه) قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فقوله ان جاءكم فاسق ليس المراد الاحتراز عن المؤمن بل كل من جاء بالنبإ فليس بمؤمن بل هو فاسق لانه نمام والنمام فاسق فكأنه يقول إن من فعل ذلك يقول بلسان الحال أنا فاسق لا تصدقونى فتصبحوا على ما فعلتم نادمين أى يصبح من أصاب قوما بجهالة نادما على تلك الاصابة عقب أن نصيبهم يندم وذلك أنه لابد أن يتيقن أنه مخطئ بتلك الاصابة إما بظلمة فى القلب ان كان متيقظا أو بعقوبة تحدث له والمخاطبون بهذا الخطاب هم المؤمنون الذين يعلمون من أين أتوا لا من كثرت ذنوبهم حتى لا يعلموا من أين أتوا فانه قال بعض الصالحين انى لأفعل الذنب فأراه فى خلق دابتى وأهلى وأما من كثرت ذنوبه فلا يعلم من أين يؤتى بل لا يرى ظلمات بعضها فوق بعض (وقال رضى الله عنه) فى تفسير قول الله تعالى والتين والزيتون ابتدأ سبحانه بالتين لانه من أحسن ما يستمد منه الجسد وهو الذى بسبب أكله أخرج آدم من الجنة ثم أتبعه بالزيتون لانه ضرب الله به المثل فى قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها

مصباح الى قوله ولو لم تمسسه نار فهو يستمد منه الروح هنا فأتبع ما يستمد منه البدن بما يستمد منه الروح ثم أتبع ذلك بقوله وطور سينين وهو الذى ناجى عليه الحق سبحانه وتعالى موسى عليه الصلاة والسلام ثم أتبعه بما يناجى الله فيه عبيده وهو البلد الامين فان الله سبحانه يناجى الحجاج اذا قالوا لبيك اللهم لبيك يقول لبيك عبدى وسعديك اذا كان مال الحاج من حل ثم يقول أبشر بما يسرك واذا كان ماله حراما يقول لا لبيك ولا سعديك ثم يقول أبشر بما يسوءك ثم جعل فيه سبحانه وتعالى الحجر الاسود يمين الله يصافح بها عبيده كما فى الحديث ثم فى الحديث أيضا من قبل الحجر الاسود فقد بايع الله أن لا يعصيه ومن فاوض الحجر الاسود والركن اليمانى فانما يفاوض الرحمن عز وجل هكذا لفظ الحديث وفى الحديث أيضا من طاف وسعى وشرب من ماء زمزم خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفيه أيضا الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والفضة ثم تأخير البلد الامين فى القسم وهو أشرف مما تقدم ليتصل بأشرف المخلوقات وهو الانسان (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا فالحنيف هو الذى مال بكليته الى الله تعالى ولم تبق له وجهة الى سواه والخلة هى كصبغ الثوب فالعرض الجوهر والجوهر العرض فمن أسلم وجهه لله أى أسلم نفسه فلم يبق له فى نفسه تصرف ولا تدبير وصار حنيفا مائلا بكليته الى الله لا يرى سواه صار بصره الذى يبصر به (وقال رضى الله عنه) عن سؤال ابليس حيث قال يارب جعلت لعبيدك رسلا فما رسلى قال الكهنة قال وجعلت لهم كتابا فما كتابى فقال الوشم قال

وجعلت لهم حبائل فما حبائلى قال النساء قال يارب جعلت لعبيدك مساجد فما مساجدى قال الاسواق قال جعلت لهم قرآنا فما قرآنى قال الشعر قال جعلت لهم أذانا فما أذانى قال المزمار وأما أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينه عنه حين سمعه فهو فى حقه صلى الله عليه وسلم لم يكن ملهيا وكذلك أصحابه وأولياء الله تعالى فانهم لم يشهدوا فى كل شئ سوى الله تعالى ولم يسمعوا كل شئ الا منه قال الشاعر

اذا مرت ورق على غصن بانة * وجاوب قمرى على الايك ساجع
فأذنى لم تسمع سوى نغمة الهوا * ومنكم فانى لا من الطير سامع



فباختلاف القوابل تختلف الاشياء ألا ترى أن شجرة الحنظل اذا كان بجنبها شجرة الحبحب شربتا من ماء واحد فقابلية كل واحدة منهما أحالته الى حقيقتها فصار فى الحنظل مرا وفى الحبحب حلوا كذلك اذا هبت الريح أذكت نارا وأطفأت أخرى وأن القرآن كل انسان له ذوق منه غير ذوق غيره بقدر القابلية قال الله سبحانه وتعالى واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون كذلك بنو آدم منهم من قابليته تقبل الايمان ومنهم من لم تقبله قال الله تعالى انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وقال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وآدم عليه الصلاة والسلام حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها لم يأكلها الا وهو فى وجل وخوف وذلك لعلمه أنها التى نهاه الله عنها

ولكن لما وسوس لهما الشيطان تحركت فى طيهما النسم التى تعمل الاعمال التى يستحقون بها النار ولا يحنون الا الى المعاصى فلم علكا أنفسهما حتى أكلا وذلك كما تؤلم الانسان الدماميل فلا تسكن الا اذا انفجرت وقد سبق قضاء الله بذلك فانه قال سبحانه وتعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ولم يقل فى الجنة وانما كانت تلك الخطيئة سببا لخروجهما لحكمة منه تعالى وهى أنه لو قال لهما اهبطا الى الارض من دون خطيئة لشق عليهما فراق الجنة واصعب عليهما السكون فى الارض لكن لما وقعت الخطيئة لم يباليا بفراق الجنة ولا بتعب الدنيا بل صارت بغيتهما ومرامها الغفران فلما غفرلهما هان عليهما كل شئ ثم اخراجه تعالى لآدم من الجنة من النعم عليه وعلى المؤمنين من ذريته فانهم بعد التعب فى الدنيا والنغص واحتمال المشاق والخوف يعرفون قدر النعيم فى الجنة ولذة الامن بعد الخوف قال الشاعر * أحلى من الامن عند الخائف الوجل * فما يعرف قدر كل شئ الا بضده فقلوب المؤمنين بشوقها للقاء حبيبها تهون عليها المشاق وترتكب الاخطار وتقتحم العقبة الحائلة بينها وبين محبوبها فيصير العسير يسيرا والصعب ذلولا يذللون بشجاعتهم كل صائل ويجوزون بشوقهم كل شامخ حائل ولم يلههم عن محبوبهم عاجل ولا آجل مشمرون للسباق عن ساق

اذا كان المآل لقاء ليلى * فما لاقيت من تعب نعيم

فان الاجير فى الطين مثلا فى شدة أيام الحر لولا أن الاجرة تبعثه وتعينه على احتماله لما أمكن فان المستغنى عن الاجرة كالمستحيل فى حقه ذلك الاحتمال وكلما كثرت الاتعاب زادت الاجور وتراكم الثواب (وقال رضى الله عنه)

قال

قال موسى عليه الصلاة والسلام لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون هذا من الايثار وهو أنه نسب الاصطلاء الى أهله ولم يقل لعلنا نصطلى ثم قوله لهم امكثوا يعنى انه يمشى الى النار وحده حتى اذا كان فيها شئ من المكاره وقع فيها هو وحده فبهذا القصد صدق الله رجاءه وحققه بأن عاد بالخير الذى ما مثله خير وبه خير الدنيا والآخرة فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها أى موسى والملائكة وسبحان الله رب العالمين أى تنزه سبحانه وتقدس أن يتحيز فى مكان ثم اتصف برب العالمين أى كيف يتحيز وهو رب العالمين وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم قال له تبارك وتعالى وما تلك بيمينك ياموسى فلما عرف أن الحق تبارك وتعالى يريد أن يباسطه باستفهامه ذلك مع أنه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور انبسط وأطنب فقال هى عصاى هذا جواب السؤال ثم قال أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ثم لما انفتح له باب الاطناب ذكر أن بكلامى هذا يفوتنى كلام الحق تبارك وتعالى فطوى جميع المنافع التى فيها بقوله ولى فيها مآرب أخرى ولما نسب العصا الى نفسه وقال أتوكأ عليها والتوكؤ هو الاعتماد قال ألقها أى هذه التى تنسبها الى نفسك وتعتمد عليها ألقها لتريك حقيقتها فألقاها فاذا هى حية تسعى فولى مدبرا لما رأى حقيقتها ولم تبق له علاقة الا بالله وخاف هنالك لانه ذكر قتله للقبطى فقال سبحانه وتعالى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون لان الرسول اذا كان فى مقام مرسله الذى هو الملك العظيم كيف يخاف الا من ظلم أى فانه يخاف اشارة الى قتل القبطى بغير أمر من الله ثم أراد

أن يؤمن روعته فقال ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم (وقال رضى الله عنه) قال تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان من اتخذ من دون الله أولياء ليس هو مقتصرا على من عبد الصنم والشمس وغير ذلك بل اذا ركن الانسان على نفسه فى رزقه بحرفة أو سعى أو بمال أو على مخلوق مثله فقد اتخذ من دون الله أولياء ولو تحقق الامر لعلم أنه معتمد على بيت عنكبوت يظن أنه ثابت وهو طائح كذلك اذا اتكل الانسان على عمله ولو عمل عملا لم يعمله أحد وعبد عبادة الانبياء والاولياء فقد اتخذ من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وما أسفه وأغفل من اتخذ بيتا وظن أنه يقيه من الحر والبرد مثل بيت العنكبوت ففى الحديث ما معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله فقالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل أيقدر هذا العبد الضعيف الذى عمله أضعف منه أن يجر فضل الله العظيم بما هو أهون من كل شئ هيهات ولكن المؤمن حقيقة اذا أعطاه الله تعالى عملا صالحا فهو منة ونعمة ومن حق النعم الشكر عليها واذا شكر زاده الله منها الى ما لا نهاية له ويظن فى الله سبحانه ما يشاء ويوسع فان الله سبحانه لا يتعاظم شيأ ولا نهاية لعطائه وكرمه فاقطع عنك جميع الوسائل من جميع الوجوه وتوسل اليه سبحانه وتعالى به

أيا جود معن ناد معنا بحاجتى * فليس الى معن سواك سبيل

قال بعض الصالحين لبعضهم بم تلقى ربك قال بفقرى وفاقتى قال تلقاه اذا بالصنم الاعظم قال فبم ألقاه قال القه به فهو سبحانه وتعالى الجواد

الكريم الاعظم يعطى عبده كل ما ظن به بالغا ما بلغ فكل عظيم عنده حقير ثم يعطى سبحانه فوق ما تظن قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فهى وان كانت فى سياق تعذيب الكفار فهى كذلك فى جزاء المؤمنين سبحانه وتعالى ما أكرمه (وسئل رضى الله عنه) بم يتميز الخاطر الرحمانى من الخاطر الشيطانى (فأجاب) بما معناه أن من قوى ايمانه فلا بدّ أن يتميز بمجرد وروده لانه ليس للشيطان عليه سلطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا فبضعفه وعدم سلطانه يتميز قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاذا استوى الخاطران فالتنازع ثبت هنا وقال الله سبحانه فان تنازعتم فى شئ فردّوه الى الله والرسول فيعرض كل واحد منهما على كتاب الله وسنة رسوله فما قبلاه منهما فهو الخاطر الرحمانى مثل أن يخطر أمر يفضى بصاحبه الى انه يدبر رزقه ولولا أنه يسعى لرزقه لما رزق ولا أكل ويفضى به الى انه يدخر المال ويشح به أو الى انه يقصد مخلوقا وما يشابه ذلك فانه اذا عرضه على كتاب الله تعالى وجده لا يقبله فان الله يقول الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ثم اذا خطر خاطر يخوف صاحبه من أى شئ سوى الله سبحانه وتعالى كائنا ما كان فليعلم انه من الشيطان قال الله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وربما جاء خاطر ابليس من طريق انسان فى صورة ناصح صديق لك اذا عرف انه لا يقدر عليك فيأتيك صديقك يشير عليك وينصحك فاعرضه أيضا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان قبلاه فهو رحمانى وان لم فهو

شيطانى لانه اذا لم يقبله القرآن ولا السنة فهو النجوى الذى قال تعالى فيه انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيأ الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (وقال رضى الله عنه) قصة ادم مع ابليس أدب الله تعالى بها الاكابر فان ابليس عبد الله سبحانه عدة عمر الدنيا أضعافا مضاعفة ثم أخرج من النور الى الظلمات ومن القرب الى البعد بسبب عدم سجدة واحدة وسبب عدم السجود هو اشتغاله بغير الله تعالى لانه قد كان ثبت عند الملائكة أن واحدا منهم لا يسجد فكل واحد منهم عند أمر الله تعالى لهم بالسجود بادر اليه خشية أن يكون هو الذى لم يسجد وابليس لم يبادر الى السجود بل بقى يفتش من هو الذى لم يسجد منهم فلما اشتغل بغير الله كان هو ومن حينئذ صارت الملائكة جميعهم فى خوف وكذلك الانبياء فان شعيبا لما قال له قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا فعلق ذلك بمشيئة الله لانه يعلم ان الاعمال بخواتمها ثم الخليل قال كما حكاه الله عنه وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيأ وسع ربى كل شئ علما ثم نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء أفضل الصلاة والسلام قال فى التسليم على أهل القبور السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ونحن ان شاء الله بكم لاحقون أى فى الايمان فعلق الايمان هنا بمشيئة الله لا الموت لان الموت قد شاء الله كونه على كل حى فهؤلاء الانبياء والملائكة خائفون من سوء الخاتمة فكيف بغيرهم فان ابليس لم تفده الاعمال التى كأمثال

الجبال

الجبال بسبب سوء الخاتمة اللهم انا نسألك يا أرحم الراحمين حسن الخاتمة وأن تحسن عاقبتنا فى الامور كلها بحرمة الفاتحة وبكتابك العزيز وأسمائك الحسنى (وقال رضى الله عنه) القول بلا علم من خطوات الشيطان قال الله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ثم فى اية الافك يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم بعد قوله اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ثم قال تعالى فى الوعيد لهم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم فقدم الالسن على غيرها وفى غيرها من المواضع يقدم السمع أو غيره على حسب ما يقتضيه المقام والمقام هنا يقتضى تقديم الالسن لان الافك وقع بها فانظر أيها المسترشد فى تسمية الله سبحانه وتعالى للقول بغير علم خطوات الشيطان فلا ينبغى أن يقول الانسان الا ما يعلم والعلم ليس الا من عند الله ورسوله وهو آية محكمة أو سنة ماضية أو لا أدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى هريرة يا أبا هريرة علم الناس القرآن وتعلمه فانك ان مت وأنت على ذلك زارتك الملائكة كما يزار البيت العتيق وعلم الناس سنتى وان كرهوا ذلك وان أردت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث فى دين الله حدثا برأيك وعدم الاعتماد على هذا هو الذى أنشأ الخلاف فى الامة والشقاق ولو وقفوا عند الكتاب والسنة لكان الامة فى طريق واحدة التى سلكها الصحابة رضى الله عنهم الذين هم

واسطة عقد نظام الامة فنشأ الخلاف من حين ابتداء التأليف والقول بغير قال الله قال رسوله واحداث فى الدين ماليس فيه انا لله وانا اليه راجعون (وقال رضى الله عنه) فى الحديث القدسى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أردها عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه معناه باعتبار ما يكون عند نزول المصائب من السخط والجزع لا فى نفس الامر فان من وكل الله سبحانه وتعالى وحسن فيه ظنه فلا يرى كل مصيبة تصيبه الا خيرا وان كانت فى الصورة شرا فانه يعدها خيرا لان الصبر عليها من عزم الامور فلولا هى ما وجد الصبر الذى ينال بسببه خيرا فاذا لا يرى الا خيرا وهو يحمد الله تعالى عند السراء وعند الضراء عازما ومعتقدا أن ما فعل به مولاه فهو خير ولو كشف له الغطاء ما اختار غيره ومن رأى غير ذلك فلا يلومن الا نفسه أى هو الذى صيره شرا بسخطه عند نزول المصيبة وعدم رضاه بها والا فلو رضى وحمد الله تعالى لكانت خيرا فانه بسببها اذا قال انا لله وانا اليه راجعون يصلى عليه الله وملائكته وأى خير أعظم من هذا قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وهذا معنى قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك لان كل ما أصابك من عند الله واذا كان من عند الله فهو خير وان كان فى ظاهر الامر شرا مع الرضا والتسليم والصبر فاذا لم ترض به فأنت الذى صيرت الخير شرا ثم تقع السيئة من العبد وقد فتح الله له باب التوبة فاذا تاب انقلبت تلك السيئة حسنة فى نفسها فهى حسنة باعتبار المآل وهى من الله سبحانه وتعالى واذا لم يتب بل أصر عليها فهى سيئة وهى

من

من نفسه بسبب اصراره عليها (وقال رضى الله عنه) فى قول الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين سماه الله ذكرى وكذلك ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وذلك لان الانسان عالم بالحق من نفس الفطرة انما ينساه بعبوره فى ظلمات الضلال فان كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه فاذا سمع الحق عرفه لا يقدر على رده أبدا فان رده فهو عناد وانكار والا فقد عرف أنه الحق ولذلك كملت عليهم الحجة ولكنهم عاندوا فقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فالحق ما سكنت اليه القلوب واطمأنت به ألا بذكر الله تطمئن القلوب فانك اذا سمعت الحق علمت علما يقينا أنه الحق وهو الذى أنت عالم به ويجول فى ذهنك لكنك لم تقدر أن تعبر عنه فاذا سمعته فكأنك ظفرت بضالتك المنشودة وغايتك المقصودة فالحق أبلج والحق أحق أن يتبع وفى الحديث ما معناه اذا سمعتم الحديث عنى فاطمأنت به قلوبكم فهو منى وما لم فليس منى لانى لم أقل قولا لم تطمئن به القلوب ثم فى الحديث أيضا دع ما يريبك الى ما لا يريبك والحق ما عليه غبار اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وسئل رضى الله عنه) عن قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان (فأجاب) أنه بتقدير نزع الخافض أى فى مقام ربه وكذلك قوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ومعناه أن من صار الحق سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها الى آخر الحديث فقد صار فى مقام ربه ومن صار فى مقام ربه فقد بلغ محل الامن ودخل الحمى الذى لا خوف فيه ولا حزن فمن خاف فيه فقد أدى حق الادب بوقوفه فى مقام العبودية على ما هو فيه من المقام العالى وهو مقام ربه وذلك معنى قول

النبي صلى الله عليه وسلم حين قال له الصحابة لما نزل عليه قول الله سبحانه وتعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله وما تأخر فقام حتى تفطرت قدماه فقال الصحابة أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا فاتصف بالعبودية ووصف نفسه بالشكور الذى هو من صفات الحق تعالى وهذا أعظم المقامات الذى لا يدركه الا الخواص وهو الخوف فى مقام الامن وفى هذا المقام جميع الانبياء ومن أراد الله من أوليائه قال الله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم بسيف الحب وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم موتوا قبل أن تموتوا وهو الفناء عن الخلق والحياة مع الحق أو اخرجوا من دياركم أى من صفات البشرية الى صفات الربوبية وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم تخلقوا بأخلاق الله ما فعلوه الا قليل منهم قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور وكذلك قوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا لانهم اذا فنوا عن الخلق وكانت حياتهم مع الحق وخرجوا من صفات البشرية وتخلقوا بأخلاق الله كان سمعهم وبصرهم الى آخر الحديث فأى خير وأى تثبيت أشد من هذا ثم قال تعالى واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما والاجر الموصوف بالعظمة هو المشاهدة لانه أعظم الاجور وما بغيتهم سواه لا طمع لهم فى جنة ولا لهم خوف من النار قال قائلهم

اذا تذكرت أياما لنا سلفت ... أقول بالله يا أيامنا عودى

كأننى يوم يأتينى كتابكم ... ملكت ملك سليمان بن داود

وقال آخر

حبيتك لا لى بل لانك أهله ... ومالى فى شئ سواك مطامع

قال تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وهو صراط الله ثم قال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فهذا المقام الذى وعد الله الخائفين فيه بجنتين فقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والجنتان هما الجنة الحقيقية والمشاهدة وجنة من فضة وجنة من ذهب داخلتان تحت الجنة الحقيقية ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا فان كل انسان من المؤمنين مأمور بهذا الامر وهو أن يأخذ حذره من عدوه وأى عدو أعظم من نفسه التى بين جنبيه فينفر منها بجميع أعضائه وجوارحه بعد أن ينفر منها هو وأعضاؤه وجوارحه ثبات معناه أن ينفر بجارحة من جوارحه أو عضو من أعضائه وذلك عند الحادثة التى تأتى من كونه مثبتا الا يؤتى من جهة أخرى أو ينفر جميعا أى يكون نافرا بجميع أعضائه وجوارحه من جميع الوجوه ومن جميع الجهات فهذا هو الجهاد الاكبر الذى قيل فيه بعد الفتح رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فاذا كان كذلك أمن واذا أمن فقد ائتمر بأمر الله تعالى حيث قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة فلا خوف عليه ولا هو يحزن ولا يبقى للشيطان ولا للنفس عليه سبيل بل حياته بالله لله ثم قال الله تعالى فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم أى اذا زل من قد صار فى هذا المقام فذلك هو الخطر العظيم لانه زلة من مقرب وفى صفة العزيز الحكيم غاية التوعد أى عزيز أن يدركه من زل بعد ما كان سمعه وبصره فان كثيرا ممن كان من المقربين

صار بسبب زلة من الابعدين كابليس وبلعم بن باعوراء فهو تعالى غيور واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه وقوله حكيم أى انه أظهر صفة الحكيم فى ذلك فان إبعاد ابليس بعد تقريبه لحكمة وذلك أنه بسبب ابعاده أخرج آدم من الجنة لنكد الدنيا وتعبها ليعرف قدر الجنة بعد العود اليها وتبتلى ذريته فيميز الخبيث من الطيب وهذا مقتضى الحكمة (وقال رضى الله عنه) أصل التقوى هو الجهاد فى سبيل الله والجهاد الاكبر هو جهاد النفس والشيطان والنفس هى أعظم الاعداء فهى كارة عليك فى كل لحظة فى مظهر صديق لك وهذا أعظم ممن كان متظاهرا بالعداوة قال الشاعر

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصديق * فصار أعرف بالمضره

ثم قد علمنا الحق تعالى فى القرآن كيفية الجهاد من كل وجه فقال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة والنفس هى أقرب ما يليك وغير ذلك فان حاربت نفسك واتقيتها ودافعتها عن جميع جوارحك وأعضائك ضعفت واذا ضعفت جنحت للسلم فان جنحت للسلم فاجنح لها وبعد لا تضرك أبدا فاذا كنت مطيعا لها صرت عبدا لها تأمرك وتنهاك منهزما منها فى ذل وأى ذل وصرت غير متق لله تعالى لانك أمنت من بطشه ومكره ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

لانه

لانه سبحانه وتعالى توعدك اذا اتبعت هوى النفس والشيطان فأمنت من توعده باتباع ما نهاك عنه ولو اتقيته لانتهيت عما نهاك عنه فاذا اتقيت نفسك فقد اتقيت الله واذا لم تتق نفسك ولم تحاربها ولم تدافعها فلم تتق الله لان تقوى الله مترتبة على محاربة النفس والشيطان (وقال رضى الله عنه) عاتب الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم حين حرم ما أحل الله له فقال يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك وذلك انه أتى صلى الله عليه وسلم جارية فعاتبه بعض نسائه على ذلك فحرم تلك الجارية فنزلت الآية فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتبه الله لما حرم ما أحل الله له وذلك مقتصر على نفسه فما ظنك بمن حرم من سائر الناس شيأ على نفسه أحله الله له أو وضع شيأ فى الشرع عمل به الغير لاعتقادهم انه عالم وهو من عند نفسه لا من كتاب ولا من سنة فيحرم شيأ أحله الله أو يحل شيأ حرمه الله فيكون عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ثم قال الله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم أى ان الله سبحانه وتعالى لا يعارض ولا ينازع حكمه بحكم عبيده بل ما حكم به المولى عمل به العبد وما سكت عنه المولى فليس له أن يحكم بشئ من عند نفسه لان ما سكت عنه المولى فلا خطاب فيه على العبد والحكمة عند المولى فى تركه خير لانه لو كان الخير فى فعله لأمر به ولذا قال تعالى وهو العليم الحكيم بعد قوله والله مولاكم (وقال رضى الله عنه) ينبغى للانسان أن يتحول عن الموضع الذى غفل عن الله تعالى فيه وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بالتحول عن المحل الذى طلعت فيه عليهم الشمس ولم يصلوا الفجر وأما المحل الذى عصى الله تعالى فيه فذلك أشد وأعظم (وقال رضى الله عنه)

الركعة صلاة لأنه لا يسمى صلاة الا مجموع ركعات الفريضة وانه لا يطلق لفظ الصلاة الا على الفريضة فقط وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكمل الصلوات الخمس بنوافل الى خمسين ركعة وهى التى افترضها الله عليه وعلى أمته من أول الامر من قبل أن يتشفع بشورى موسى عليه وعلى نبينا محمد وآله أفضل الصلاة والسلام فهو افترض عليه فى أول الامر خمسين صلاة فما زال يحط عنه حتى صارت خمسا ثم قال تعالى ما يبدل القول لدى هى خمس وهى خمسون وذلك أنه تعالى كلم رسوله صلى الله عليه وسلم على لسان موسى عليه الصلاة والسلام أن ارجع الى ربك فاسأله أن يخفف حتى بقيت خمس ليظهر للانبياء عليهم الصلاة والسلام مقداره صلى الله عليه وسلم وينوه بشفاعته عليه الصلاة والسلام مرة بعد مرة حتى حطت من خمسين الى خمس وأما النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان يؤدى الخمسين كل صلاة ركعة كذلك صلاة الوتر فانها ركعة فلا صلاة الا بأم القرآن أى فى كل ركعة تقرأ أم القرآن والا فلا صلاة وبالله التوفيق

(وقال رضى الله عنه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالفوا اليهود وصلوا فى نعالكم وذلك أن اليهود لا يصلون فى النعال اتباعا لنبيهم موسى عليه السلام فان الله سبحانه وتعالى أمره بخلع نعليه عند مناجاته ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى له ولامته يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد فكأنه قال تعالى قبلناك وأمتك لمناجاتنا فى النعال فانظر الى هذا التشريف (وقال رضى الله عنه) اذا حسنت نية العبد رأى الحق أمامه فى كل شئ ففى الحديث ما معناه ان فى بضع أحدكم صدقة فقالوا يا رسول الله يأتى أحدنا شهوته وله أجر قال أرأيتم ان وضعها فى حرام أما كان عليه وزر

هذا

هذا أو معناه والحق هو الله سبحانه وتعالى قال الله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين فاذا كان أمامه الحق فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم (وقال رضى الله عنه) فى حقيقة التقوى التقوى هى أن تجعل الله تعالى وقاية فيما بينك وبين من سواه من كل شئ لا كما قيل أن تجعل وقاية فيما بينك وبينه تعالى لان ذلك يكون حجابا حائلا بينك وبينه فدرجة التقوى درجة عالية قال الله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون أراد سبحانه وتعالى أن يجذبنا الى عبادته فذكرنا نعمه علينا ليقودنا اليه وتارة يقودنا اليه بذكره ما أعد لنا فى الجنة وتارة يسوقنا اليه بالوعيد وذكر العذاب فمن كان من أهل المروءة شكر الله تعالى بالعبادة على النعم ومن كان ذا طمع قاده اليه بذكر الجنة وما أعد فيها ومن كان من أهل الخوف ساقه اليه بذكر الوعيد والعذاب فكانت العبادة إما فى مقابلة النعم وإما خوفا من النار وإما طمعا فى الجنة وهنا ذكر تعالى النعم وهو قوله الذى خلقكم والذين من قبلكم وكل من قبلنا مما فى السموات والارض فهو لنا خلقه فأمرنا بعبادته شكر الله على خلقنا وشكر الله على ما خلق لنا من قبلنا فانه أوجدكم من العدم حيث لم يكن لكم اختيار وخلق الذين من قبلكم لتكونوا من نسلهم ثم قال سبحانه لعلكم تتقون أى اذا عبدتم الله لا لاجل هذه الثلاثة الامور أو احداها فلله فى أيام دهركم نفحات فيفتح عليكم باب التقوى وهو أن تعبدوا الله تعالى لا لاجل شئ بل لله بالله ابتغاء مرضاته فلا يشاهد الا الله ولا يخاف الا منه ولا يرجو الا اياه وههنا تجىء الاحدية وتزول أوصاف البشرية قال الله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك أى كاحسان الله اليك

واحسانه اليك ابتداء لا لاجل شيء ولا في مقابلة شيء وقال تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى فقد صار ما يريدون وجه الله تعالى فلا يكون جزاؤهم منه الا ما يريدون لان في الجنة ما تشتهي الانفس وهم لا يشتهون سواه هذه درجة المتقين (وقال رضى الله عنه) من أعظم مفاسد الدين والدنيا مداهنة العلماء للملوك والسكوت عن نهي منكراتهم وهم يظنون بذلك انها تختل عليهم الدنيا أو يعاقبونهم وهذا ظن فاسد فانهم لو أمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر لعظموا في قلوبهم ولمنعهم الله تعالى عنهم اذا أرادوهم بشر (قيل) ان بعض الملوك أرسل الى بعض أمرائه بأمر يظلمون به الرعية فتواطأ الحسن البصري والشعبي بعد أن أحضرهما بين يديه فقرأ عليهما كتاب الخليفة فاذا فيه ضرر على الرعية وقال لهما ما تقولان فأشار عليه الشعبي أن يمتثل الامر ولا ينفذه كله يعني بصفة صلح فقال للحسن البصري لو قلت قال قد قال لك عامر ما سمعت قال لابد أن تقول أنت فقال الحسن رضى الله عنه هذا الامر الذي أمرت به ظلم فان تركته أطعت الله تعالى وعصيت مرسلك وان أرادك بسوء فالله قادر أن يمنعه عنك وان لم تتمه عصيت الله وأطعت مرسلك وان أرادك بسوء لم يقدر أحد أن يرده عنك فاختر لنفسك ما أردت فلما سمع الرجل انتهى عن ذلك ثم أمر للحسن بجائزة عظيمة ولم يعط الشعبي شيأ فلما خرجا من عنده نادى الشعبي في الاسواق يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله على خلقه فليفعل فاني أردت وجه فلان فأقصاني الله منه والحسن البصري أراد وجه الله فأعطاه الله منه (وقال رضى الله عنه) من أحسن أخلاق الانسان العفو عمن ظلمه

فان الله سبحانه يعامله بالعفو فيما بينه وبينه وأيضا فانه تعالى يلهم المظلوم منه أن يعفو عنه ففي الحديث القدسي يا عبدي لا تدع على من ظلمك فان شئت أخذته بظلامتك وأخذتك بمن ظلمت وان شئت أخرتكما حتى تسعكما رحمتي (وسئل رضى الله عنه) عما أتى في الصلاة التي في آخر الحزب الاعظم وارحم محمدا حتى لا يبقى من الرحمة شيء ما معناه (فأجاب) ان الرحمة لا تنتهي أبدا وان معنى لا تبقى رحمة أي لا انتهاء لها والنبي صلى الله عليه وسلم هو الرحمة التي وسعت كل شيء (وقال رضى الله عنه) قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام جملة فيها التخويف العظيم لامة محمد صلى الله عليه وسلم والرجاء الذي هو أعظم من الخوف فأما وجه التخويف فهو أن الله سبحانه وتعالى أخرج آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة من أجل ذوقه من الشجرة وهي من حق الله ليست من حق أحد سواه مع أنه خلقه بيده واصطفاه وعلمه الاسماء كلها وأسجد له الملائكة فما حال رجل ليس بنبي ولا مصطفى ولا له من تلك العنايات شيء ثم ينتهك المحارم العظيمة إما بأكل أموال الناس أو زنا أو قتل أو شرب خمر فكيف السلامة وكيف النجاة وهذا تخويف وأي تخويف ووجه الرجاء أن الله سبحانه وتعالى غفر له هذا الذنب بسبب توبته والحال أنه عالم بالله وبجلاله وبطشه لانه من المقربين والمقرب هو أعلم من البعيد بصفات الملك واذا كان كذلك فالذنب منه عظيم قال تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم وهو هنا عليه الصلاة والسلام ليس بجاهل ثم غفر له فالجاهل أولى بالغفران وقس على هذه قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام كداود وموسى واخوة يوسف وغيرهم ثم

أنزل الله سبحانه كتابه العزيز على رسوله الامين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين تذكيرا الامته وقصص الانبياء فيه لتكون عبرة لهم وتأسيا وذكر ما جرى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى القرآن على رؤس الاشهاد هو الجزاء لان الله سبحانه عدل لا يترك شيأ اجازاهم عليها فى الدنيا بذكر ما حصل منهم كيلا يجازوا عليها فى الآخرة والتائب من أمة محمد عليه الصلاة والسلام عقابه وجزاؤه على ما فعل ذكره ذنبه فيما بينه وبين الله تعالى وتألمه منه وتوجعه وبكاؤه وأنينه وزفراته فكان ذلك جزاءه معجلا فى الدنيا لا يجازى على ذنبه فى الاخرة فلا يلقى الله سبحانه الا وهو طاهر من جميع ما فعل من السيآت وقد بدلت حسنات فأى مزية أعظم من هذه المزية التى اختصت بها هذه الامة وأيضا فانه تعالى أخرهم عن جميع الامم ليقص عليهم قصص من سلف فيتعظوا ويعتبروا تحريضا لهم على التوبة وهديا لسلوك طريق السالكين وتحذيرا من الوقوع فى ظلمة ضلال المجرمين فلم تبق طريق من طرق النجاة الا أوضحها فى ضمن قصص الانبياء ولم تبق مهلكة الا أوضحها أيضا فى قصصهم مع قومهم فكان من قبلنا موعظة لنا لنعرف طريق النجاة فنسلكها وطريق الهلاك فنجتنبها والحمد لله رب العالمين ثم سجد رضى الله عنه ههنا وسجد نامعه (وقال رضى الله عنه) قال الله سبحانه وتعالى حين أخذ النبى صلى الله عليه وسلم الفداء ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة أتى سبحانه وتعالى بصيغة الخطاب لجميع أهل بدر ليستر الذين يريدون عرض الدنيا والا فهم القليل جدا كذلك قوله تعالى فى أصحاب موسى حين أمرهم بدخول الارض المقدسة التى كتب الله لهم قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين

وفيهم

بالنغو فهم لا يرونه لانهم مستغرقون فى ذات الله وصفاته ولا يرون غيره قال تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض وقال فى آية أخرى وهو الله فى السموات وفى الارض وهؤلاء هم الاولياء الذين يدفع الله بهم عن أهل الارض إما بان يطلعهم الله تعالى على غضبه على العاصين فيتشفعون فيقبل شفاعتهم وإما أن ينظر اليهم فيسكن غضبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا شيوخ ركع وبهائم رتع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صبا وفى الحديث القدسى قال الله تعالى اذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت نعيمه ولذته فى ذكرى واذا جعلت نعيمه ولذته فى ذكرى عشقنى وعشقته فاذا عشقنى وعشقته رفعت الحجاب فيما بينى وبينه وصرت (١) معالما بين عينيه لا يسهو اذا سها الناس أولئك الابطال حقا أولئك الذين اذا أردت بأهل الارض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فرفعت ذلك عنهم قال الشاعر

وإياك جزعا لا يهولك أمرها * فما نالها الا الشجاع المقارع

(وقال رضى الله عنه) أنعم الله تعالى على عبيده بجميع النعم التى لا تحصيها الأقلام ولا تتسع لها الدفاتر التى تذهب دون حصرها الاعمار ويترك الاول للآخر ليتقربوا اليه بشكرها فيظهر لهم بقربه بجواهر سرها ويسلط سبحانه عليهم المصائب والدواهى ليفروا اليه منها قال تعالى فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فمن الناس من ينقاد الى الله بنعمه ومنهم من يساق اليه تعالى بسياط عذابه

(١) قوله معالما هكذا فى الاصل ولعله معلما وليحرر لفظ الحديث اه مصححه

ونقمه ومنهم من لا تؤثر فيه المروءة فلا ينقاد بالنعم الى ربه ولا يخاف من نقمه فيفر اليه ليؤمنه بقربه فما أقسى من هذا حاله وما أجفى وأسوأ من كالحمر المستنفرة مثاله يريد الحق جل جلاله أن يقربه منه لينيله ما أعدّ له من خصائص قربه ويتحفه بموارد صفاته وحبه فيأبى الا الفرار منه الى النار اللهم انا نسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا اليك يا أرحم الراحمين (وقال رضى الله عنه) خلق الله سبحانه وتعالى جميع ما فى السموات وما فى الارض لبنى آدم فملكه تعالى هو لهم لانه غنى عن ملكه وهم المنتفعون به فهو لهم باعتبار منافعه وهو له تعالى باعتبار أنه خلقه وكونه وتولى ما فيه مما لم يقدر الانسان على توليه من امساك السماء أن تقع على الارض وحفظ السماء بالنجوم لئلا تلبس الشياطين عليه دينه وايجاد جميع ملكه من العدم فعلى الجملة هو فى منفعة بنى آدم فالانسان ملك الله له حتى الملائكة الموكلين برزقه والملائكة الذين حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به الى آخر الآية فليته لو علم بقدر هذا الرب العظيم الكريم الذى خلق كل شئ له وجعله خليفة ملكا وما قدروا الله حق قدره سبحانه وتعالى يحب أن يقرب عبده منه فحباه بجميع النعم حتى أنه ملكه ملكه وهو غنى عنه وعن قربه منه والخير كل الخير ورأس السعادة وملك الدارين للعبد اذا قرب من الله تعالى ثم ليس فى قربه من ربه تعالى مشقة ولا كلفة لا يكلف الله نفسا الا وسعها فاتقوا الله ما استطعتم وما جعل عليكم فى الدين من حرج فما أيسر هذه الاسباب الموصلة الى ملك الدارين وما أوضح هذه الطريق المستغنى سالكها عن الكيف والأين ولكنها عميت القلوب فخاضت من المهالك فى بحور فانها لا تعمى

الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فان كنت أيها العبد لا تعلم أن ملك الله لك وان من أجلك بسط الارض ورفع السماء وأدار الفلك فانظر الى القرآن وتدبر آياته ينبئك بأسراره فى موضح بيناته قال تعالى والله جعل لكم الارض بساطا وقال تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر وقال تعالى أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وقال تعالى وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه والايات فى هذا المعنى بها القرآن طافح وفى الحديث القدسى يا ابن آدم خلقت كل شئ من أجلك وخلقتك من أجلى فسبحانه ما أكرمه أعطى عبده جميع ملكه ابتداء ويعطيه ملكه الدائم اذا أتى شكر النعم بالامتثال لما أمر به والانتهاء عما نهى عنه ابتداء وانتهاء فأى كرم مثل هذا الكرم وأى جود مثل هذا الجود سبحان الكريم الجواد لا اله الا هو عليه توكلت واليه أنيب (وقال رضى الله عنه) اذا اتقى الانسان صار ابليس الذى هو عدوه من نعم الله تعالى عليه ألا ترى أن الجهاد فى سبيل الله لولا وجود العدو لما وجد ولما كانت الشهادة فهذا العدو الاعظم مجاهدته هى أعظم المجاهدات ومجاهدته معاكسته ومن جاهده حتى مات فقد مات شهيدا فى سبيل الله أكبر من الشهادة فى الجهاد الظاهر لانه فى الجهاد الاكبر الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فلولا وجود ابليس ما نيلت هذه الدرجة العظمى قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فبسبب ذلك المس كان التذكر لله تعالى وهذه نعمة عظيمة أن يكون مس طائف سبب التذكر لله تعالى فاذا

بلغ الانسان رتبة التقوى صارت أعداؤه من نعم الله عليه و يشكر الله
عليها الان بسببها اتسعت له أبواب الخير اللهم اجعلنا من المتقين يا أرحم
الراحمين (وقال رضى الله عنه) خلق الله سبحانه وتعالى الانسان كهيئة
الميزان كل عضو منه فى يمينه يعدل عضوا فى يساره وكذلك الجوارح فاليد
اليمنى فى مقابلة اليد اليسرى وكذلك الرجل ومن الجوارح الاذن فى
مقابلة الاذن وكذلك العينان ولسانه شوكته متوسطة بين كفاف الاعضاء
والجوارح والحكمة فى ذلك أن لا يتكلم الانسان بكلمة الابعد أن يزنها
بميزان الشرع فانه لا تعرف معادلة الكفاف الا فى الشوكة فيزن الكلمة
ان كانت ترضى الله سبحانه وتعالى لانه لابد أن يسأله عنها ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد تكلم بها وذلك كان يكون ناهيا عن منكر أو آمرا
بمعروف أو هاديا بالضال أو غير ذلك فاذا سأله الله تعالى عنها أجاب بما يخلصه
من التوبيخ والتبكيت وان كانت الكلمة اذا سئل عنها بين يدى الله تعالى
لا يقدر أن يتخلص من التوبيخ عليها فلا يتكلم بها فى الحديث لما سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحاسب الناس على أقوالهم قال ثكلتك
أمك وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوصى رجلا لا تكثر الكلام بغير
ذكر الله تعالى فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى تورث قسوة القلب
وان أبعد القلوب من الله القلب القاسى (وقال رضى الله عنه) قال الله
تعالى انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار وقال تعالى
وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور أى انما يغتر بها الذى لا عقل له كالمسحور

حين

حين يغتر بالسحر و يظنه شيأ وهو لا شئ فجميع ما فى الدنيا انما هو وهم
كالسراب اسم ولا مسمى له يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده
شيأ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار ممر وليست دار مقر
فاعبروها ولا تعمروها فترى طالب الدنيا ظمآن لها فكلما رأى منها شيأ توهم
أن ذلك هو الغرض المقصود فيقصده فلا يشفى غليله فيبدو له شئ غيره
فيقصده وهلم جرا الى ما لا نهاية له اللهم انا نسألك العافية والسلامة ألا ترى
أن الملك يكنز الكنوز و يخزن الاموال ظانا أن هنالك فائدة ومنفعة وليس
هنالك شئ فانه يكفيه من ذلك جميعه ما يكفى الفقير وهى أكلة وشربة من
ماء وربما لا ينهضم ما فى بطنه الا وقد أتاه الموت وانما يحمله على ذلك الامل
الكاذب الذى قال تعالى فيه ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل وقال
تعالى ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست
قلوبهم وكثير منهم فاسقون ولو عرف مقدار الدنيا وأنها سريعة الزوال
لما بنى البنيان ولا جمع الاموال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما الدنيا كابن سبيل استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من
أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى فسماه أحمق وفى بعض الروايات
عاجز فان نال ما تمنى أتبع نفسه هواها و بنى البنيان واستكبر ومنع مال الله
عز وجل عن أهله وان لم ينل ما تمنى فهو مصر على القبيح ولكن هو أهون
من الاول من العصمة أن لا تجد وأما من نالت نفسه ما تمنت واتبع
هواها فذلك مكر من الله واستدراج نسأل الله العافية والسلامة وقال
سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه استحيوا من الله

حق الحياء قالوا يارسول الله انا نستحي من الله والحمد لله قال ليس ذا كم انما الحياء من الله حق الحياء أن تحفظوا الرأس وما وعى والبطن وما حوى ولا تنسوا المقابر والبلى ولا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تأملوا مالا تدركون فهذا الحديث جامع مانع من تمسك به نال كنز الدارين (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى اى انما أنتم فى سفر فتزودوا فيه فان من لم يتزود لسفره نال المشاق وندم على عدم التزود ثم قال واتقون يا أولى الالباب أى أولوا الالباب لا يرغبون ولا يسعون الا فى لباب الامور ولب جميع الكون وسره هو الله تعالى فأولوا الالباب لا يركنون الى عملهم ولا يتقون النار ولا يرغبون الى الجنة بل ما مطلوبهم سوى محبوبهم وقع لبعض العارفين حال مع الله فقال له الحق تعالى سلنى من فضلى ماشئت أعطك قال يارب أنت أحسن من فضلك لا تغرنى بفضلك عنك فأطلب سواك وهؤلاء من رفع الله هممهم فلا يأخذون من كل شئ الا سناه (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم فقوله ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله يعنى لا تشغلوا نفوسكم بغيرى وهو عام فى هذا الحكم وغيره فهو حاسم لمادة الامل من كل شئ اذا بلغ الكتاب أجله فهو يأتى اليك فلا تشغل قلبك الذى لا ينبغى أن يشتغل الا بالله بشئ من أمور الدنيا لان ماقسم لك لابد يأتيك ولذا قال واعلموا أن الله يعلم مافى

انفسكم

أنفسكم فاحذروه أى بمجرد الوسوسة والخواطر التى تخطر من أجل شئ مستقبل قد يكون وقد لا يكون هو يعلمها سبحانه وتعالى فاحذروه ولا تشغلوا نفوسكم بغيره ثم قال واعلموا أن الله غفور حليم فالغفران لا يكون الا من الذنب والبشر ضعيف لا تخلو منه الخواطر ولكن اذا تنبه لنفسه وتاب من ذلك الخاطر فالله غفور حليم أى لا يعجل العقوبة بل يمهل عسى أن تحصل منكم توبة فيبدل الله سيآتكم حسنات (ثم قال رضى الله عنه) جميع سعى الانسان للدنيا فيه صعوبة وعسر فلا يحصل له ما يريد الا بمشقة وقد لا يحصل ما يريد كان يركب الانسان الاخطار ويركب البحار لكى يصيب شيأ من الدنيا فقد يحصل وقد لا يحصل ويبنى بنيانا فلا يحصل له ما يريد الا بتعب ونصب وخسارة وجميع سعى الانسان للآخرة سهل لا عسر فيه ولا مشقة ينال الانسان رياضا وأشجارا وأنهارا كل ورقة من ورق الشجر مسيرة عشرين عاما بقوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبنى له القصور التى لا تخرب ولا تبلى بكلمة خير يقولها أو بصلاة فى ظل استظل عيسى عليه الصلاة والسلام فى ظل خيمة عجوز فخرجت وطردته فبكى فأوحى الله اليه انى سأزوجك بكذا وكذا من الحور ولأولمن عليك ألف سنة أى ان هذا جميعه فى مقابلة طرد العجوز له فما أيسر العمل للآخرة وما أعسر أعمال الدنيا والحمد لله رب العالمين (وقال رضى الله عنه) الجملة المعترضة التى فى أثناء هذه الآيات وهى قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين أى مقبلين على الله تعالى بجميعكم وبقلوبكم لا أنكم تقومون أشباحا وقلوبكم مشغولة بغيره فان خفتم فرجالا أو ركبانا أى لا تغفلوا عن الله

تعالى ولا تشتغلوا بغيره ولو فى حال خوفكم فاذا أمنتم فاذكروا الله كما
علمكم مالم تكونوا تعلمون وهو ما علمكم بكتابه وبسنة رسوله لاغير ثم
رجع الى حكم الزوجة المتوفى عنها بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون
أزواجا الحكمة فى توسط جملة الصلاة أى لا تشتغلوا بغيرنا ولا تشغلوا
أوقاتكم فى الاحكام الدنيوية بل أدوا الها حقها الذى لابد منه ثم عودوا
الينا فتكون صفتكم كصفة ترتيب القرآن فاذا لم تستتم حكم المتوفى
عنها حتى دعوناكم الينا ثم عدنا لتمامه فانظر الى الحكمة فى الترتيب لا اله
الا الله ما أبلغ كلامه وما أحكمه سبحانه وتعالى (وقال رضى الله عنه) قال
الله تعالى وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم وكذلك ما تحرك
ولكن أتى بما سكن لانه الاولى بالذكر لانه يعنى الذى سكن لله وهو الذى
لا يتحرك الى سبب من الاسباب بل هو ساكن لا يميل ولا يتحرك الا الله فهو
مثل قوله تعالى ألا لله الدين الخالص فالساكن من بنى آدم هو الذى سماه
النبى صلى الله عليه وسلم المسكين فقال اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا
واحشرنى فى زمرة المساكين وهم القانتون الذين أمرهم بالقنوت الحق
تبارك وتعالى حيث قال وقوموا لله قانتين ساكنين لله وقال تعالى لمريم
عليها السلام يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين فقال اقنتى
أى اسكنى فانها كانت تقع عليها الطيور وهى قائمة لسكونها فيه حتى
لا تتحرك فتظن الطيور أنها جماد فمن لم يدبر له أمرا بل أسقط التدبير فقد
سكن الى الله وصار لله وهذا المقام هو الذى أوصى به لقمان ولده حيث قال
يا بنى إنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو
فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير أى مثقال حبة من رزقك لان

التدبير

التدبير والاهتمام انما يكونان فى الغالب من الرزق فحرضه على ترك
التدبير فى الرزق بقوله ان تك مثقال حبة من خردل أى من رزقك فتكن
فى صخرة والصخرة لا يتوصل الى اخراج ما فى جوفها بتدبير ولا بحيلة أو فى
السموات كذلك فلا يعرج اليها بسلم ولا بغيره من الحيل أو فى الارض أى
فى جملة الارض فكيف يمكن أن تلقى حبة خردل بعينها مخبوأة فى جملة
الارض فربما ينفد عمرك وما استقصيت فى التفتيش عليها مسيرة بريد
فى ظاهر الارض وأما باطنها فلا سبيل لك اليه وهى اذا كانت كذلك وقد
قسمت من رزقك أتى بها الله فهل بقى لتدبيرك فائدة أو ثمرة انما أنت تشغل
نفسك فى صلاتك بشئ لا فائدة فيه أبدا بل هو الخسران العظيم وهو أنك
تضيع صلاتك بشئ لا منفعة فيه ولا فائدة ولذا قال الله تعالى على لسان
الحكيم لقمان فى وصيته لولده بعد تحريضه على اسقاط التدبير يا بنى أقم
الصلاة وأمر بالمعروف والمعروف هو الله سبحانه وتعالى فأمر به وانه
عن المنكر والمنكر هو ما سوى الله تعالى * ألا كل شئ ما خلا الله باطل *
وطالب غير الله فى الكون كله * كطالب ماء من سراب بقيعة
ثم قال واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور وذلك لان من كانت
هذه صفته لابد أن يؤذى قال الله تعالى وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه
فهذه وصية لقمان لولده وهى مثل قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون هذا حصر ثم قال تعالى ما أريد منهم من رزق
أى لانفسهم وما أريد أن يطعمون بل الله يطعم ولا يطعم ثم قال تعالى ان الله
هذا تأكيد وأتى بالجلالة الحاوية لجميع الاسماء ثم أتى بالضمير المنفصل

الذى هو للفصل للتأكيد ثم قال الرزاق فأتى بصيغة المبالغة ذو القوة أى
ليست القوة الاله المتين فهذا تحريض على اسقاط التدبير وأتى بهذه الصفات
وهذه التأكيدات لتتوغل فى ذهن السامع فيفر من تدبيره كفراره من
الاسد و يعظم عليه فيتوب منه فهو مثل قوله تعالى خطابا للامر أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حفصة وعائشة رضى الله عنهما إن تتوبا الى الله فقد
صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
والملائكة بعد ذلك ظهير وذلك ليكون تحذيرا وتهديدا لهما فلا يعودان
الى مثل ما جرى منهما وفى هذا اشارة الى ما أقر الله سبحانه من قول العزيز
حيث قال حاكيا عنه ان كيدكن عظيم (ثم قال رضى الله عنه) فاستسلم
لمولاك واعلم أن ما قد قسمه لك لابد يأتيك حتى لو أردت أن تمنعه عنك لما
قدرت وأد ما أمرك سبحانه وتعالى به على الوجه الذى يرضيه ودع عنك
جميع ما سواه واشتغل بمولاك فانك اذا اشتغلت به كفاك وإياك أن
تركن الى سواه فكم وقع فى شباك الردى من ركن الى غير الله والحمد لله
رب العالمين (وقال رضى الله عنه) سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أخذ
من كل شئ سنامه فمن ذلك أنه قال صلى الله عليه وسلم لكل نبى حرفة وحرفتى
الفقر والجهاد فالجهاد أعظم الحرف وأغلاها ورأس المعالى وذروة الكمال
ثم انه خير صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن
يكون نبيا عبدا وذلك أنه اذا كان نبيا عبدا فى الظاهر فهو فى الباطن نبى
ملك لانه ليس لشئ عليه سلطان سوى الله سبحانه وتعالى ومن كان ملكا فى
الظاهر فهو فى الباطن عبد لان كل شئ يملكه يصير له عليه حق ولصاحب
الحق مقال كما قال صلى الله عليه وسلم ثم حين خيره جبريل بين شرب القدح

الخمر

الخمر والقدح اللبن فاختار اللبن فقال له جبريل عليه السلام أصبت الفطرة
فالرسول صلى الله عليه وسلم ما اختار من كل شئ الا أحسنه وذلك بقدر
ما أعطاه الله من العقل فسبحان المانح (وقال رضى الله عنه) يبشر الله
عباده المؤمنين تارة بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله صلى الله
عليه وسلم فى أهل بدر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فانى قد
غفرت لكم وهو لاهل بدر ومن شاء من أوليائه قال تعالى أفمن يلقى فى النار
خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير وذلك أن
العبد اذا قوى ايمانه حتى بلغ الى محبة الله واذا أحبه صار سمعه الذى يسمع
به الى آخر الحديث فقد صارت تصرفاته لله فيعمل ما شاء لان الله سبحانه
وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولذا يقول الله تعالى لاهل الجنة فى الجنة
أنا أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد وأنتم الآن افعلوا ما شئتم وأولياء الله
هم فى الدنيا مع الله كما يكونون فى الآخرة وتارة يبشرهم الله بواسطة
ملك كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن
لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم
فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها
ما تدعون نزلا من غفور رحيم وتارة يبشرهم الله تعالى بلا واسطة كقوله
تعالى يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فمن أحبه الله سبحانه
وتعالى صار سمعه الذى يسمع به فهو على هذه الحالات والبشارات من
الدنيا لانه قد انمحت ظلمة بشريته بنور الله تعالى وانمحقت ذاته تحت
ذات الله فلا يبصر الا بالله ولا يسمع الا بالله ولا يمشى الا بالله ولا يبطش الا
بالله وبين مقام الربوبية والعبودية برزخ كبرزخ البحرين قال الله مرج

البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وهذا كله فضل من الله تعالى فان الله قادر على كل شئ وعطاؤه لا يقاس بمقياس ولا يدخل تحت ضبط فان الملك لم يصر ملكا الا بفضل الله وكرمه أرأيته هل جعل نفسه ملكا ولو عبد الله من قبل كل شئ الى بعد كل شئ لما نال مقام الملائكة كذلك النبى لم ينل مقام النبوة الا فضلا من الله وكرما فان النبى والملك قبل وجودهما لم يختارا هذين المقامين وبعد وجودهما ولو لم يخلقهما كذلك ويؤهلهما لذلك لما خطر على قلبهما أن يصير أحدهما ملكا والآخر نبيا بل فضل الله سبحانه وتعالى واسع لا ينحصر ولا ينضبط كذلك أولياء الله يمنحهم مالا يخطر على قلوبهم ولا يسلك فى مجال عقولهم ولا يتصور الشئ الذى صاروا اليه الا بعد حصوله فان أحمد بن هرون المكنى بالسبتى رآه بعض الصالحين فى المطاف واذا هو يمشى بين الرجلين ولا يفرقهما فرصده حتى أمسكه فقال له من أنت قال أنا أحمد السبتى فقال له من كان قطب وقتك قال له أنا قال كذا أخبرت قال صدق من أخبرك وبعضهم ربما جاء بروحه ملك وهو فى صورته فيحضر فى موقف بينه وبينه سنة أو أكثر ولا يعرف انه ملك الا اذا مشى فى الشمس أو فى القمر فليس له ظل وعلى الجملة فان للقوم عجائب وخرق عادات لا تضبطها الاقلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يسع العبد الا الايمان لان من لم يصدق فقد جهل بسعة فضل الله وخيره وقدره وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلغه عن الله فضيلة فلم يصدق بها لم ينلها (وسئل رضى الله عنه) عن علم الكلام فقال هؤلاء قوم آمنوا بالله على ما فهموا وأهل الله قوم آمنوا بالله كما يعلمه لنفسه وفرقان بين الفريقين فان من آمن بالله كما يعلمه الله لنفسه يجعل عقله وراء

ايمانه فيؤمن سواء قبله عقله أو لم يقبله فمن آمن هذا الايمان عرفه الله مالم يعرفه بنقل ولا بعقل وأما من لم يؤمن الا بما فهمه فهذا وقوف عند الحروف وبسببه وضعوا علم الكلام الذى لم يرشد اليه كتاب ولا سنة ولم يسلكه صحابى فألفوا تأليفات وحصروا الصفات تعالى الله علوا كبيرا وهذا هو الذى نزه الله تعالى نفسه عنه بقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون لانهم وصفوا الله بما لم يصف به نفسه فهذه من أعظم المهالك وأخطر المعاطب لانهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ويظنون أنه علم وان العلماء به داخلون فى ان العلماء ورثة الأنبياء فهم أعظم خطرا من الذين يفعلون المعاصى عارفين ومقرين بأنها معاص رأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ابن سينا وعن الفخر الرازى فقال له أما ابن سينا فأراد أن يأتينا من غير بابنا فرددناه وأما الفخر الرازى فانه رجل معاتب مع أن الفخر الرازى رجع عن هذا المسلك وتاب منه بقوله

نهاية إقدام العقول عقال * وغاية سعى العالمين ضلال

ولم نستفد من علمنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالو

وفى بعض الأيام كان جالسا بين أصحابه فبكى طويلا فسألوه عن بكائه فقال دليل كنت أعتقده فى الله تبارك وتعالى منذ زمان فظهر لى بطلانه مثل الشمس وما يدرينى لعلى فى جميع اعتقاداتى كلها هكذا فاذا آمن الانسان بالله تعالى ايمانا صادقا عرفه واذا عرفه خافه وخشيه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ألا ترى الى الصحابة رضى الله عنهم لما آمنوا بالله تعالى ايمانا صادقا وآمنوا برسوله صلى الله عليه وسلم لم يتكلوا على عقولهم

فى شئ بل آمنوا بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلته عقولهم أو لم تقبله فان القبلة كانت فى صدر الاسلام الى بيت المقدس بقوله صلى الله عليه وسلم لهم وفعلوه ثم لما تحوّلت تحوّل صلى الله عليه وسلم وتحوّلوا معه ولم يستنكروا ولم يشكوا مع انه قد ثبت عندهم أن بيت المقدس قبلة الانبياء من قبل وان رضا الله تعالى فى استقباله وعدم رضاه فى استقبال الكعبة فانعكس الأمر وصار رضاه تعالى فى استقبال الكعبة وعدم رضاه فى استقبال بيت المقدس فآمنوا وصدقوا ولم يبق للعقول مجال ولا رأى فسعدوا السعادة الأبدية وتبينت لهم من بعد حين نتائج السعادة ومصلحة استقبالهم الكعبة فعلى الجملة ان من آمن بالله وصفاته وأفعاله وكلامه وقدرته كما يعلمها لنفسه جملة وتفصيلا انما علمه الله ولم يتوصل الى معرفته بعقله ولا بفهمه قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأىّ جهاد أعظم من درء الشكوك التى ليست الا من الشيطان وقال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وأى تقوى أعظم وأحسن من ايمان العبد بربه كما يريده ويرتضيه ويعلمه لنفسه اللهم اجعلنا من الذين جاهدوا فيك فهديتهم سبيلك يا أرحم الراحمين (وقال رضى الله عنه) الحازم اللبيب من اذا ظفره الله بشيخ يعرّفه بالله تعالى عض عليه بالنواجذ فان أهل الله قليلون ولا يظفر بأحدهم الا من وفقه الله واعتنى به ثم اقتدى به وصدّقه فى جميع أفعاله وأقواله ولو لم يقبله عقله فى ظاهر الامر فان للقوم ابتلاء ألا ترى الى قصة الخضر مع موسى عليهما السلام فان فيها عبرة لمن اعتبر فان موسى عليه الصلاة والسلام لو صبر على الخضر عليه السلام لرأى عجبا ولكنه رأى ذلك مخالفا فى الظاهر لشريعته فلم يصبر وفى ذلك حكمة من الله تعالى

وتكريم

وتكريم لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام ليذوق مرارة تعليم المخلوق له فيعرف قدر حلاوة تعليم الخالق له ثم الخضر عليه السلام صدّق الله قوله انك لن تستطيع معى صبرا وموسى عليه الصلاة والسلام صدق الله قوله ولا أعصى لك أمرا الا انه لم يأمره بأمر حتى يعصيه فيه وانما نهاه بقوله فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ ومن هنا تبين أنه ليس من ائتمر فقد انتهى ولا من انتهى فقد ائتمر بل مصادر النهى غير مصادر الامر فلما لم يصبر عليه الصلاة والسلام فانه العلم الذى جاء لتعلمه من الخضر مع أنه قد جرت له عليه الصلاة والسلام أمور كالامور التى أنكرها على الخضر فانه فى قوله فى السفينة أخرقتها لتغرق أهلها قد جرى له ما هو أعظم من ذلك وهو اتخاذ الحوت فى البحر سربا حتى وصل الى قعره فالذى قدر على امساك ذلك قادر على امساك الماء عن دخول السفينة ثم امساك البحر له لما ضربه بعصاه فعبره هو وبنو اسرائيل وكان كل فرق كالطود العظيم ثم قتل النفس قد سبق منه قتل القبطى ثم عدم اتخاذ الاجر على الجدار قد استقى لابنتى شعيب ولم يطلب منهما أجره مع انه كان فى شدّة الجوع فان قوله انى لما أنزلت الىّ من خير فقير لم يرد به الا سدّ رمقه من الجوع وهنا استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما لكن طلبهما للطعام ليس بسؤال وانما هو طلب حق فان الضيافة واجبة فما استطعماهم الا ليحطوا عنهم الواجب الذى عليهم فالمصلحة عائدة عليهم لا أنهما يسألانهم مسئلة افتقار اليهم أستغفر الله العظيم فاذا علمت بعائدة نفع الامتثال للشيخ فى أوامره ونواهيه فما أرى لك الا أن تكون بين يديه كما قال عبد الكريم الجيلى رحمه الله

وكن عنده كالميت عند مغسل * يقلبه ما شاء وهو مطاوع

ولا تعترض فيما جهلت من أمره * عليه فان الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه ولو يكن * على غير مشروع فثم مخادع
وفى قصة الخضر الكريم كفاية * بقتل غلام والكليم يدافع
فلما أبان الصبح عن ليل سره * وسل حسام للمحاج قاطع
أقام له العذر الكليم وانه * كذلك علم القوم فيه بدائع

(وسئل رضى الله عنه) عن الاستثناء فى قوله تعالى خالدين فيها الا ماشاء ربك فى حق أهل النار وأهل الجنة فقال معناه الاستثناء فى حق أهل الجنة للذين يدخلون النار بذنوبهم ثم يخرجون منها فيكون مستثنى من الذين سعدوا وتكون ما بمعنى من شاء ربك وأما السموات والارض فهى غير فقد بدلت يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ويدلك على أن هذا المراد بالاستثناء قوله آخر الآية عطاء غير مجذوذ ويكون الاستثناء فى حق أهل النار يعود أيضا الى هؤلاء الذين أدخلوها بذنوبهم ثم أخرجوا منها برحمة الله تعالى على تفاوت مراتبهم وعلى هذا فالاستثناء من الخالدين ومع ذلك فهو متناول للخلود فأطلق عليهم لفظ الشقاء باعتبار أول الأمر وأطلق عليهم لفظ السعادة باعتبار آخر الامر والاستثناء من مدة خلودهم فى الجنة عائد الى القبلية والاستثناء من مدة خلودهم فى النار عائد الى البعدية (وقال رضى الله عنه) فى الدعاء وقد تقدم الكلام عليه ان الدعاء انما هو تشريف وتكريم لباب المناجاة والكرم والا فهو سبحانه وتعالى أعطاك يا ابن آدم كل ما أنت مفتقر اليه بسؤالك حالا لا مقالا بان جعل لك جميع ما فى السموات والارض وخلق فيك ما تنتفع به من الاعضاء والجوارح ثم هو أيضا يعلم حاجتك التى تسأله قبل أن يخلقك وقبل أن يخلق

السموات والارض والنكتة فى أمره بالدعاء اظهار سر كرمه تعالى وأنه يجازى على كل شئ من جنسه جزاء وفاقا وذلك أنه أمرنا سبحانه وتعالى باجتناب ما نهانا عنه والائتمار بما أمرنا به وجازانا على ذلك بان ائتمر لا وامرنا وانتهى عن نواهينا فانك تقول فى الدعاء اللهم اغفر لى فيأتمر لك بأن يغفر لك وتقول اللهم لا تخزنى فينتهى عن نهيك بأن لا يخزيك ولذا قال تعالى شأنه واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون أى فليستجيبوا لى بالائتمار بما أمرتهم به والانتهاء عما نهيتهم عنه فاذا كانوا كذلك فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فأتمر لامره وأنتهى عن نهيه سبحانه وتعالى ما أكرمه ومع هذا فان المصلحة فى ائتمار العبد لما أمر به وانتهائه عما نهى عنه عائدة عليه واستجابة دعائه عائدة عليه والله سبحانه وتعالى غنى عنه فى الجميع فانظر الى هذا الكرم سبحان الكريم لا إله إلا هو (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى حاكيا عن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى يريد هنا معرفة الكيفية قال أولم تؤمن أى أولم تتخلق باسمى المؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى أى أنا معتقد اعتقادا صحيحا أى متخلق باسمك المؤمن لكنى أريد أن أنظره عيانا قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ أى على جميع جبال الدنيا من قاف الى قاف فكم كل جزء من أجزاء هذه الاربعة الطيور بعدد جبال الدنيا قد لا يكون كالخردلة فقال له قائل ومن وضع تلك الاجزاء على جميع جبال الدنيا قال هو فى لحظة فالذى أقدر آصف بن برخيا أن يأتى بعرش بلقيس الذى وصفه الله على لسان الهدهد بالعظم قيل كان يجلس عليه اثنا عشر

ألفا فى أقل من ارتداد الطرف هذا القدر الذى لا يتصور أقل منه فان
الطرف مفتوح فكم مقدار ارتداده ثم هو أقل منه فهذا القدر لا يتسع
للكاف من كن والحال أنه ولى من أولياء أمة سليمان عليه الصلاة والسلام
ثم هو كان بالشام و بلقيس باليمن فكيف الولى من خير أمة أخرجت للناس
فمن هذه قدرته قادر أن يجمع جميع جبال الدنيا بين يدى ابراهيم قبل
ارتداد الطرف فيضع فى كل جبل جزأ كما يضع الانسان التمر فى الطبق ثم
يفرقها عنه فى ذلك المقدار قال تعالى ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله
عزيز حكيم أى انه سبحانه وتعالى عزيز أن يتجلى بكنه جلاله وكبريائه فانه
تجلى باسم القادر لابراهيم فى القصة بقدر لا يعلمه إلا الله تعالى وأما تجليه
سبحانه وتعالى للجبل حين جعله دكا وخر موسى صعقا فقد قدره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمقدار ثلث الخنصر ثم قوله حكيم أى سبحانه وتعالى
لا ينظر لعبده الا الصلاح فانه سبحانه وتعالى قال لموسى حين كلمه من الطور
ياموسى إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولى قوة الالسن كلها وأقوى
من ذلك ولو كلمتك بكنه كلامى لم تكن شيأ هذا معنى قوله تعالى حكيم فى
قصة ابراهيم أى أنه ما تجلى له باسمه القادر الا بمقدار ما يمكنه الطاقة له سبحانه
وتعالى ما أعظم شأنه ثم قال رضى الله عنه وأعظم من هذا كله أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى به أولا من مكة الى بيت المقدس
مسيرة شهر ثم الى العرش مسيرة خمسين ألف سنة لان غلظ كل سماء
خمسمائة عام و بين كل سماء وسماء خمسمائة عام ثم من فوق السموات
السبع ما لا يعلمه الا الله من الهواء الذى جميع الجان فى طيه ومسافة
الكرسى ثم مسافة السموات سبعة آلاف سنة بطيران الملك الذى يعرج



اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم رجوعه عليه الصلاة والسلام
الى موسى فى السماء السادسة وصعوده خمس مرات وهذا كله فى ليلة
وما أصبح الا بمكة سبحان القادر المقتدر لا إله الا هو (وقال رضى الله عنه)
قال عزير عليه الصلاة والسلام حين مر بقرية خاوية على عروشها أنى يحيي
هذه الله بعد موتها وهنا ما طلب الا الكيفية كقول ابراهيم عليه
الصلاة والسلام رب أرنى كيف تحيي الموتى الا أنه نبى والمؤمن من سائر
الناس يعلم علما يقينا أن الله قادر على احيائها فرضا أما نبى الله فما طلب
الا الكيفية لكن فيها شم من استبعاد بلفظة أنى فأراه الله الاحياء فى نفسه
بأن أماته مائة عام ثم بعثه وفى هذه المدة جميعها فاته الترقى وابراهيم عليه
الصلاة والسلام أراه الاحياء فى غيره لانه ما طلب الا الكيفية من غير
شمة من الاستبعاد ثم قال سبحانه وتعالى كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض
يوم قال بل لبثت مائة عام ثم لبس سبحانه وتعالى عليه بأن جعل قرينة
طعامه كأن لم يلبث الا يوما أو بعض يوم وقرينة حماره أنه لبث مائة عام لانه
رأى عظامه تلوح مفرقة ثم أحياه الله وهو ينظر فقال تعالى فانظر الى
طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى
العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل
شئ قدير (وقال رضى الله عنه) قال تعالى فى قصة عيسى عليه الصلاة
والسلام اذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ
أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا الآية فقال باذنى لان
كل نبى وكل ولى لا يفعل شيأ الا باذن الله تعالى لانه لا يتصور أن نبيا أو وليا
كاملا يفعل شيأ من ذات نفسه وان أقدره الله عليه لانه ان فعل شيأ بغير

اذن بقى لهواه فيه مدخل وربما لا تقبل العبادة اذا كان فيها شائبة هوى فى الغالب ولا تكون العبادة الا عكس الهوى النفسانى لكن قد تتفق نادرا

(وقال رضى الله عنه) يستفيد التلميذ من شيخه بقدر تصديقه له ومحبته له وبره به قال الشاعر

أقدم أستاذى على بر والدى * وان كان لى من والدى البر واللطف
فهذا مربى الروح والروح جوهر * وهذا مربى الجسم وهو لها صدف

لان التصديق كالاناء فان كان الاناء متسعا أخذ بقدره وان كان ضيقا أخذ بقدره كذلك التصديق والمحبة يأخذ التلميذ بقدر كبرهما وصغرهما ففى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسوق بقرة اذ ركبها فضربها فقالت انا لم نخلق لهذا انما خلقنا للحرث فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وهما غائبان وانما أخبر عنهما صلى الله عليه وسلم لعلمه بمبلغ تصديقهما الى النهاية وهذا ثمرة قوة التصديق فاذا عرفت فاعلم أن لا محال على الله بشئ وللقوم حالات مختلفة وطريقة كل واحد منهم غير طريقة الآخر وطرقهم الى الله بعدد أنفاس الخلق فاياك أن تشك فيما صدر منهم بل اغتنم تغنم أوسلم تسلم أتراهم يتورعون ويزهدون عن الدنيا التى فتنت أهلها فمنهم من يتنحى عن الملك ويغترب عن أهله ووطنه ومنهم من يطلق دمعه ويطلق لذة وسنه ومنهم من يسيح فى الارض غربا وشرقا ويقنع من العيش بما به تقوم روحه عن التلاف توقا ثم يكذبون على الله كلا والله لا يقول ذلك من يؤمن بالله بل والله لقد شمروا للسباق فى حلبة المعالى فاحرزوا قصباته فكم جلى منهم مصلّ وقطع أعناق العلائق بصوارم

عزماته وكم ماجد رضع طفل فؤاده من ثدى الحقيقة ألبان الاسرار وكشفت له عن وجوه المعارف براقع الاستار هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ليس سوى الله تعالى فى جميع الحالات أنيسهم ثم ذكر رضى الله عنه قصصا تكشف عن اختلاف أحوالهم فمن جملتها أن واحدا منهم كان يلبس الملابس الفائقة من الثياب فقال له بعض الناس ياسيدى ما هذه الثياب التى تلبس أنت أحق بأن تزهد فيها فقال خذ هذا الثوب ثم بعه وائتنى بثمنه فأخرجه السوق فاشتراه منه رجل ثم لما اشتراه قال ما أحق هذا الثوب بسيدى فلان يعنى ذلك الولى صاحب الثوب فسعى به اليه وأهداه له فلبسه ثم لما وصل ذلك الرجل الذى باع الثوب رأى ذلك الثوب الذى باعه على ذلك الولى فبقى ينظر الى الثوب نظرة والى ثمنه الذى فى يده أخرى فقال له أبعت الثوب قال نعم ياسيدى انما أنا أنظره هذا الذى عليك قال نعم اذا تعرف أنى لم ألبس غير ما ألبسنى الله تعالى ثم آخر كان لا يمشى إلا راكبا على الخيل فجاءه يوما رجل وقال له ياسيدى أريد أن أمشى أنا وأنت لزيارة الامام الشافعى وهما حينئذ بمصر قال باسم الله نمشى فقال له لكن أريد أن نمشى مترجلين على هيئة التواضع لاى شئ لا تمشى فى كل حالة إلا على ظهور الخيل فقال كذلك ثم مشيا فلما شرعا فى السير رآه رجل راكب على فرس فترجل ثم قال له ياسيدى تمشى راجلا والله لا كان ذلك أبدا وتطلق زوجتى ثلاثا ان لم تركب على فرسى فالتفت الى ذلك الرجل ثم قال له عرفت أنى لم أكن أركب لهوى نفسانى وانما ذلك من الله سبحانه وتعالى ثم ركبا فمن كان منهم بهذه الصفة لم يكن ملتفتا الى النعم بل وجودها عنده وعدمها على

حسد سواء بل هو مشغول عنها بالمنعم وإذا أعطى شيأ نزراقبله وشكره وهو عنده كالكثير الوافر وعنده أن المعطى هو الله سبحانه وتعالى فيعظم العطية لأجل معطيها وعلى الجملة فأحوال القوم لاتحصى ولا تعد اللهم اجعلنا ياأرحم الراحمين من أوليائك الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون واجعلنا من حزبك فان حزبك هم الغالبون آمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (وسئل رضى الله عنه) عن الحديث وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتصف شعبان فلا تصوموا فأجاب أن ذلك النهى من النبى صلى الله عليه وسلم لئلا يصل الناس الواجب الذى هو شهر رمضان بالتطوع فيجب عليهم اذ فى حياته صلى الله عليه وسلم لم يزل الوحى ينزل فذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم لما لم يخرج فى الليلة الثالثة بعد أن خرج ليلتين فى رمضان فاقتدى الناس بصلاته خشيت أن تفترض عليكم ومن بعد موته صلى الله عليه وسلم سنّ عمر رضى الله عنه صلاة التراويح لانه قد زالت العلة بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذلك الصوم بعد النصف من شعبان ويدل على أن هذه هى علة النهى نهيه صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الشك الالمن يسرد صومه أى إما أن يكون صائم الدهر أو يصوم يوما ويفطر يوما فيصادف يوم الشك يوم الصوم أو بأن يكون ساردا صومه من أول شهر رجب وللنهى علة أخرى وهى أنه نهى صلى الله عليه وسلم عن صوم بعد النصف من شعبان خشية أن تسلك أمته ماسلك النصارى فانه افترض عليهم الصيام شهرا قال الله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فرض ملكهم فنذر اذا شفاه الله أن يزيد على الشهر

الذى

الذى افترض عليهم صومه عشرة أيام فكانت أربعين يوما ثم مرض ملك ثان فنذر زيادة ثمانية أيام فصارت ثمانية وأربعين ثم زادوها اثنين فصار صيامهم خمسين يوما وجعلوه فى أيام معتدلة لافى أيام الحر ولافى أيام البرد فأوجبوا على نفوسهم من عندهم لابأمر من الله ولامن رسوله فصار الامر الآن فى هذا السؤال أن لابأس بالصوم بعد النصف من شعبان اذ قد انتفت هاتان العلتان الايوم الشك الا أن يكون ساردا ومن العلماء من تحرى فمنع صوم اليوم السادس عشر منهم محيي الدين بن العربى وهو صواب لئلا يصير الحديث منسوخا محضا (وسئل رضى الله عنه) كيف يعمل من لحق الامام فى الركعتين الاخيرتين من الصلوات الجهرية وكان اللاحق اثنين هل يقتدى أحدهما بالآخر حين يقومان لتمام صلاتهما أولا وهل يقرأ اللاحق فى هاتين الركعتين جهرا لكونه لم يسمع جهر الامام أو يسر (فأجاب) أن لافائدة فى اقتداء أحدهما بالآخر لان اللاحق قد أدرك فضل الجماعة ولو لحق فى ركوع الركعة الاخيرة وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل مع الرجل خير من صلاته وحده لايكون دليلا لاقتداء أحدهما بالآخر لانه قد صلى كل واحد منهما مع جماعة وأما الجهر فيجهر فى هاتين الركعتين اللتين يأتى بهما بعد تسليم الامام لان الركعتين اللتين فاتتا عليه جهريتان لقوله صلى الله عليه وسلم وما فاتكم فاقضوا وحقيقة القضاء أن يؤدى الذى فات بجميع صفاته وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر وما فاتكم فأتموا فالمراد به أتموا عددها لانها لم تكمل أربعا وأما اذا لحق المؤتم الامام فى آخر ركعة من الجهرية فانه يقوم بعد تسليم الامام فيأتى بركعة يجهر فيها وهى ثانية له ثم يجلس للتشهد

الاوسط ثم يقوم ويجهر فى الثالثة ليستكمل مافاته من الجهر (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الحسنى هى الجنة قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى أى بالجنة فعمل لها عمل تصديق بها فسنيسره لليسرى وقوله تعالى وزيادة الزيادة هى تجلى الحق تعالى كيف يشاء وتقديم الحسنى على الزيادة لكونها محلا لها وأما تفسيرها عند أهل الباطن فالمراد بالحسنى أسماء الله الحسنى وقوله وزيادة أى زيادة عليها لان لله أسماء لاتحصى غير الاسماء الحسنى وهذا التفسير على لغتهم التى هى نتيجة قصدهم لانهم لم يقصدوا بعبادتهم سوى الله تعالى فيكون جزاؤهم على حسب مرادهم جزاء وفاقا فهو تعالى يتجلى لهم بالاسماء الحسنى لان لكل اسم تجليا غير تجلى الاسم الآخر ويتجلى لهم أيضا بأسماء غير الاسماء الحسنى وهى الزيادة (وقال رضى الله عنه) جميع أفعال بنى آدم هى أفعال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون لانه سبحانه خلق آدم وأهله وأقدره على جميع مايفعله وهو خالق لفعله وصناعته قال تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين ألا ترى الى من أسقمه المرض حتى بلغ به الى حالة لايمكنه معها القيام ولا تحريك يد ولا رجل فالله سبحانه أذهب منه القوى بسبب ذلك المرض فلا يمكنه فعل شئ واذا أراد سبحانه أن يقدره أزال عنه ذلك المرض فتراه يفعل جميع أفعاله فالفاعل هو الله تعالى وجميع بنى آدم كلمة الله فليس ذلك مختصا بعيسى وآدم عليهما الصلاة والسلام لقوله تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وقوله فى آية أخرى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون بل كل بنى آدم كذلك وكل شئ

كلمة

كلمة الله تعالى قال الله تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فاذا عرفت هذا عرفت أن كل أعمال الانسان وغيره الخالق لها هو الله تعالى اذ هو أقدر كل شئ وأهله لما خلق له ولكن الوقوف عند القدر والامساك عنه واجب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكر أصحابى فأمسكوا واذا ذكرت النجوم فأمسكوا ولا يمكن التعبير بحقيقة القدر فهو ثابت منفى فى حالة واحدة لانك اذا نفيته نسبت الى الله تعالى العجز واذا أثبته نسبت اليه الظلم فما بقى الا الامساك ومن اتقى الله كان حقا عليه تعالى أن يعلمه حقيقته قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله والقدر من العلم الذى لايمكن أن يعلم الا من لدنه تبارك وتعالى فالايمان به على الجملة ثم الاحتجاج به باطل (وسئل رضى الله عنه) عن قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (فأجاب) أن لها تفسيرين أحدهما أن اليقين هو الموت وهو الظاهر فتكون حتى للغاية الثانى أن اليقين هو أن يرى الشئ عيانا ألا ترى أن الواصف اذا وصف لك شيأ وأنت معتقد اعتقادا صحيحا لايختلجك شك ولا ريب عندك أنه صادق فيما وصف لكنك لم تر ذلك الموصوف فأنت لاتزال تتخيل هذا الموصوف وتصوره ومعلوم قطعا أن تخيلك وتصورك لهذا الشئ الذى لم تره لايطابق حقيقته كمن يصف لك مكة مثلا وأنت لاتعرفها وتصورها تصويرا لايطابق ما اذا رأيتها عيانا فاذا رأى الانسان حقيقة الامر آمن به وهو يشاهده واذا آمن بما وصفه الواصف من دون مشاهدة فهو مؤمن بالغيب والمؤمن اذا عبد الله حق عبادته بقدر استطاعته عرّفه الله سبحانه وتعالى واذا عرفه فلا يشهد سواه حتى انه يحول بينه وبين قلبه أى اذا رأى

قلبه بعين البصيرة وجد الله حائلا بينه وبين قلبه وبهذه المعرفة تنال
المعارف الالهية التى من لدنه تبارك وتعالى وكلما صفا وصفى قلبه
قربت منه أشكال المعارف ألا ترى أن الزجاج أصله حجر كثيف ثم لما صفى
وزالت عنه الكدورات قرب الاشخاص البعيدة فان الناظور يقرب
الشىء البعيد حتى ان ما زادت تصفيته يقرأ الانسان به مكتوبا من مسافة
بريد كذلك المنظرة تقرب الشمس من مسيرة أربعة آلاف عام حتى
تحرق ما وقعت عليه وهذا أعظم من آصف بن برخيا فانه أتى بعرش بلقيس
من مسافة ثلاثة أشهر قبل أن يرتد الطرف وهذه أتت بالشمس من مسافة
أربعة آلاف سنة قبل ارتداد الطرف فانك اذا ركبتها على شىء أحرقته بمجرد
وقوعها عليه فالنبى صلى الله عليه وسلم هو عين الوجود وواسطة عقده أخذ
من أنوار الحق تعالى بقدر صفوه فالآخذ من الله تعالى بواسطته صلى الله
عليه وآله وسلم ولله المثل الاعلى ولرسوله فى القوى كآخذ الضوء من الشمس
بواسطة الزجاجة وهذا تشريف لهذه الامة وأى تشريف لانهم
الآخذون بواسطته والآخذ من الله تعالى من غير واسطته صلى الله عليه
وسلم كآخذ الشىء من الشمس من دون واسطة الزجاجة وذلك لان
الرسول صلى الله عليه وسلم هو النور الذى قبضه الله من قبضة نوره قال
تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فالنور هو الرسول صلى الله عليه
وسلم اذ لو كان النور هو الكتاب لكان لفظا متكررا والحق تعالى هو سمعه
وبصره وقلبه الى آخره فكله صلى الله عليه وسلم نور مع أنه متحيز فى
بشريته وفى عبوديته والحق تعالى مطلق فى كبريائه وفى ملكوته وهو الله
فى السموات وفى الارض فى حال كونه على العرش استوى فى حال

كونه

كونه قلب عبده المؤمن وبصره وسمعه سبحانه فلرسول الله صلى الله عليه
وسلم وجهتان وجهة الى الحق تعالى وهو المقام الذى قال تعالى فيه والله
ورسوله أحق أن يرضوه فأعاد الضمير بصيغة الافراد وقال تعالى يا أيها النبى
انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
وتسبحوه بكرة وأصيلا فأعاد الضمير بصيغة الافراد وقال صلى الله عليه
وآله وسلم فى هذا المعنى من رآنى فقد رأى الحق تعالى وقال صلى الله عليه
وسلم إن لى وقتا لا يسعنى فيه الا ربى ولذا قال تعالى واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فالحجاب المستور
هو كونهم ما رأوا فيه إلا البشرية والعبودية اذ لو صدقوه لرأوا ما رأى الذين
قال تعالى فى حقهم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فهو صلى الله عليه
وسلم أقرب الكون الى الله بل فوق العرش الحجب سبعون حجابا ما بين
كل حجاب وحجاب مسافة سبعين ألف سنة وغلظ كل حجاب سبعون ألف
سنة وفوق ذلك فضاء لا يعلم قدر مسافته الا الله سبحانه وتعالى وهو الذى
يقال له عالم الرقا وهو مظاهر أسماء الله وهو فوق العرش والكرسى ووراء
هذا كله نور سيد الكونين والثقلين الرسول الخاتم خاتم الانبياء والمرسلين
سيد ولد آدم أجمعين ولذا قال صلى الله عليه وسلم حين سأله الاعرابى أين
كان الله تعالى قبل أن يخلق الخلق قال كان فى عماء بالمد والقصر فازداد
السائل حيرة لانه ان كان بالمد وهو السحاب الرقيق فيكون معناه يوم
يأتيهم الله فى ظلل من الغمام وان كان بالقصر فهو الغشاوة على القلب أو
على العين فاستفاد السائل هذا العلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبه ازداد حيرة فالعلم بالله تعالى كلما ازداد صاحبه حيرة وفى هذا المعنى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحار ولزالت بدعائكم الجبال ولو خفتم الله عز وجل حق مخافته لعلمتم العلم الذى ليس معه جهل ولكن ما بلغ ذلك أحد قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا قالوا ما كنا نظن أن الانبياء تقصر عن ذلك قال الله أعظم من أن ينال أحد أمره كله ووراء ذلك مالا يعلمه الا الله ومع هذا فهو صلى الله عليه وسلم فى حيرة ولذا قال رب زدنى فيك تحيرا وهو أيضا مع كونه فى مقام الامن والقرب أخوف الخلق من الله تعالى وفى مقام الخوف قال صلى الله عليه وسلم ليت رب محمد لم يخلق محمدا يعنى أنه يتمنى أن لو لم يقبض الحق تعالى قبضة من نوره لتحيز البشرية بل كانت مطلقة فى أصلها وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه ليت أبا بكر كان شجرة فعضدها جمل فى فيه فكان بعرا ولم يكن بشرا فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف وله صلى الله عليه وسلم وجهة الى الخلق قال تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله وقال تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله فقال لتؤمنوا وجعله المرسل والمرسل اليه وقال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الشوكة فى رجل أحدكم الا وجدت ألمها فهو صلى الله عليه وسلم حقيقة الكون كما أن الشجرة لها ورق وغصون وفروع وعروق وجذوع وزهر وثمر وحقيقة الكل شجر فجميع دعائه صلى الله عليه وسلم بصيغة الافراد المراد به أمته فدعاؤه لنفسه عين دعائه لامته فمن صفا قلبه من أمته صلى الله عليه وسلم وتوجه به الى الله بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفجر من قلبه ينابيع الحكمة وأخذ قلبه أنوار العلم الالهى فقوى بقوة قابلية الواسطة صلى الله عليه وسلم ومن كان كذلك فهو الوارث الذى قال

فيه

فيه صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ومن لفظ الصفاء أخذ الشاعر تسمية الصوفى صوفيا فقال

لا تحسبن لباس الصوف لابسه * يدعى به بين أرباب العلى صوفى
تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا * وكلهم قال قولا غير معروف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى * صفا فصوفى حتى سمى الصوفى

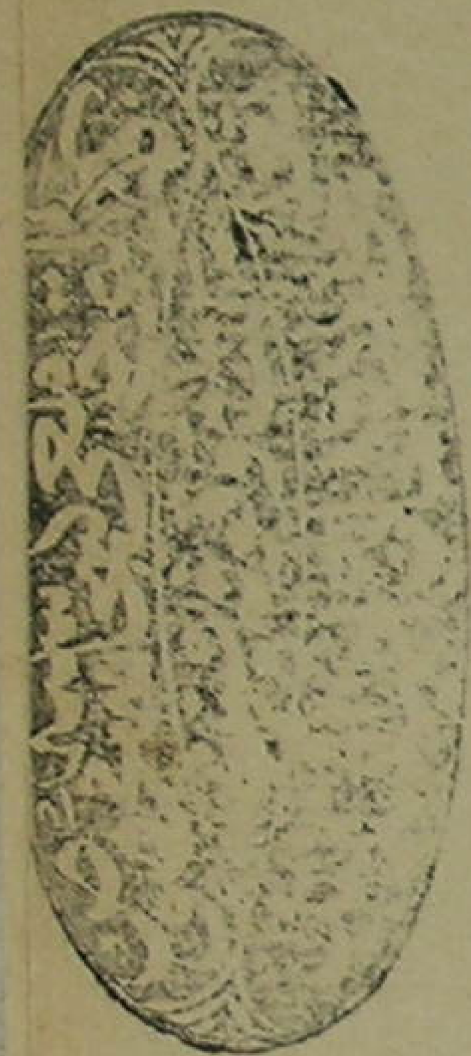
(وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام عن معنى ذلك فقال جبريل حتى أسأل ربى فقال تعالى أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحسن الى من أساء اليك وأما قوله تعالى وأعرض عن الجاهلين فليس المراد إعراض غضب بل معناه لا تؤاخذهم بجهلهم لان الانسان ربما حفر حفرة وفى علم الله أنه لا يقع فيها الا ذلك الحافر لها لكنه جاهل لذلك ولو علم لما حفرها فهذه حالة الجاهل فأذيتهم لك هى عين أذيتهم لانفسهم لكنهم جهلوا ولو عرفوا لما آذوك فأعرض عن جهلهم هذا وتخلق بأخلاقنا فانا نعرض عمن جهل علينا فعسى أن يتوب منه كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم فأتمر صلى الله عليه وسلم لامر ربه وأعرض عن جهلهم حتى انه طلب منهم أن يقتصوا منه حقوقهم ان كان لهم عليه حقوق فقال صلى الله عليه وسلم أيها الناس لعله أن يكون (١) قد دنا منى حقوق وأنا بين أظهركم فمن كان له على محمد حق من مال أو شعر أو بشر فهذا مال محمد وشعره وبشره

(١) قوله قد دنا الخ هكذا فى الاصل وحرر لفظ الحديث اه مصححه

ولا يقولن أحدكم انى أتخوف العداوة والبغضاء من محمد فانهما ليستا من خلق ولا من طبيعتى وان أولا كم بى رجل كان له على شئ من ذلك فأخذه أو يحللنى فالقى ربى وأنا محلل لى ثم قال تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم أتبع تعالى هذه الآية التى قبلها وذلك لان للشيطان مجالا عند هذه الخلال والاستعاذة من الشيطان هى التلفظ بلفظ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك منك أن الله هو الآخذ بناصية ابليس باسمه المضل قال تعالى مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها فلا سلطان له على عباد الله (وقال رضى الله عنه) الصراط المستقيم الذى هو أحد من السيف وأدق من الشعر هو فى الدنيا قبل الآخرة وفى الآخرة مروره على قدر الاستقامة عليه فى الدنيا وهو فى الدنيا فى جميع الامور وهى لا تحصى فمن ذلك أن تؤمن بالقدر خيره وشره ولا تحتج به ومن ذلك أن تعتقد ان الله سبحانه وتعالى قلب عبده المؤمن وسمعه وبصره فى حال كونه على العرش استوى فى حال كونه فى السموات وفى الارض فى حال كونه ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم من حيوان وانسان ونام وجماد وجامد ومائع ومعيته مع كل شئ من ذلك غير المعية التى مع الآخر وهو ناظر الى كل فرد من أفراد الكون نظرة غير نظرة الآخر وناظر فى كل شعرة غير نظرة الأخرى ومصاحب لها من غير أن يشتمل عليه تعالى زمان ولا مكان فهو كما كان وكما يكون دائما أبديا سرمديا باطنا فى حال ظهوره ومن جملة أدعية الصوفية كيف أعرفك وأنت الباطن الذى لا تعرف وكيف لا أعرفك وأنت الظاهر الذى

فى

فى كل شئ تتعرف وهو تبارك وتعالى أوّل فى حال كونه آخرا سبحانه وتعالى ومن ذلك أن تباشر الأسباب ولا تقف معها كأن تمتثل قوله سبحانه وتعالى فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ولكن لا تقف معها فمن اشتغل بها عن الله تعالى فقد خسر كما أنه تعالى أمر بالتزويج ليكون بسببه النسل وبالتكسب ثم قال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم لما وصل بالبراق الى بيت المقدس ربطها فى الحلقة التى كانت الأنبياء تربط فيها مع أن البراق مأمور فأين يهرب وأين يذهب ومن ذلك أنه تعالى أمر بالأسباب التى توصل الى الجنة والتى تقرب عبده منه ثم أمرنا أن لا نقف معها فقال تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فاذا ركنت الى عملك فقد اتخذت من دون الله أولياء قال الله فاعبده وتوكل عليه أى تقرب بالعبادة التى هى السبب ولا تركن اليها بل توكل عليه سبحانه وتعالى فاذا أراد الله بعبده خيرا سلك به الصراط المستقيم فلا يميل عنه ولا يحيف بل كلما عثر أو كاد قادته يد التوفيق وعلى قدر هذا السلوك يكون المرور على الصراط يوم القيامة الذى هو ألف سنة صعودا ومثلها هبوطا ومثلها استواء أيضا فمنهم كطرفة العين ومنهم كالبرق الخاطف ومنهم كالريح القاصف ومنهم من دون ذلك ومنهم على قدمه وحبوا اللهم ثبت أقدامنا على الصراط يوم تزل الاقدام يا أرحم الراحمين (وقال رضى الله عنه) معنى نية المؤمن أبلغ من عمله أنه قد يحج الانسان وهو فى بيته من دون سفر



ولا تعب وذلك كأن تمنعه عن الحج موانع الشرع ونيته منطوية عليه ولولا أنه عاقته عوائق قدمها الشرع على الحج لأتى مكة ولو حبوا ومن ذلك أن أهل الجنة يخلدون فى الجنة أبدا مع انه لم يعمل كل واحد الامدة عمره وكذلك من خلد فى النار فهو ما عمل عمل أهل النار الامدة عمره والله سبحانه وتعالى عدل لا يظلم أحدا لان نية المؤمن أنه لو عمر فى الدنيا أبدا مؤبدا لبقى على حالته التى هو فيها يعبد الله فيها ولا يشرك به شيأ ويؤمن بالله ورسوله فأبدته وخلدته نيته وكذلك الكافر فان نيته لو عمر أبد البقى كافرا قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فخلدته نيته فى النار نسأل الله العافية والسلامة (وقال رضى الله عنه) قال تعالى ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون زعم المفسرون أنهم أناس استوت حسناتهم وسيآتهم يبقون بين الجنة والنار وهذا غلط لانه لا دليل لهم أن فى الآخرة دارا ثالثة بل أصحاب الاعراف رجال من أولياء الله أودع الله فيهم هذا السر وهو كونهم يعرفون كلا بسيماهم ولذا أتى بالنكرة التى تقتضى التعظيم بقوله وعلى الاعراف رجال أى أى رجال مثل قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ومثل قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقولهم أناس استوت حسناتهم وسيآتهم لم يفسره الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك حتى انا نعتمده كما فسر المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى فيجب الوقوف على كلامه صلى الله عليه وسلم وان كان لفظ المغضوب عليهم يتناول كل من غضب الله عليه كقاتل العمد قال الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وكذلك الضالين

واما

وأما أصحاب الاعراف فلم يفسرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك التفسير الذى فسروه فمن أين أخذوه مع انه قد انقطع الوحى بموته صلى الله عليه وسلم فما بقى الا أنهم فسروه من جهة عقولهم ورأيهم وليس للعقل والرأى فى الشرع مجال والمعنى الظاهر من اللفظ فى قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ان هذا السر وهو المعرفة بالسيما فى ذلك اليوم الذى يقول فيه كل الناس حتى الانبياء نفسى نفسى لا يودعه الله الا فى رجال اصطفاهم لذلك الخطاب فى يوم تطيش فيه الألباب فقال تعالى حاكيا عنهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ثم قوله لم يدخلوها أى أصحاب الجنة وهم يطمعون فى دخولها واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهؤلاء أصحاب الاعراف هم كبار الاولياء لانهم حكموا بحكم الله فى ذلك اليوم الذى قال فيه تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا فهل يتكلم فى تلك الحالة غير من كان من أهل الله لا ينطق بحكمه قبل وقوعه ويعرفون كلا بسيماهم ياهل ترى أن يتكلم أحد فى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه فكل مشتغل بنفسه بلى فلا والله يتكلم هنالك الا من أذن له الرحمن وقال صوابا (وقال رضى الله عنه) قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب خصنى بشىء أقدسك به دون غيرى فقال قل لا إله إلا الله فقال يارب علمنى شيأ أذكرك به وأدعوك به فقال قل لا إله إلا الله فقال يارب كل عبادك يقولها انما أريد شيأ تخصنى به فقال قل لا إله إلا الله فقال يارب أما هذه فكل أحد يقولها فقال تعالى ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى (وقوله وعامرهن غيرى بالغ فى الكلام لانه بالنسبة الى أن الله هو الذى عمرها

فليست ثقيلة ولا فى عمارتها كلفة بل هى بكلمة كن ولفظة كن لا تعدل لا إله إلا الله فانظر الى هذه البلاغة ثم لم يقل فى الارضين وعامرهن غيرى لانه كذلك فى السموات وانما الارضون أهون وأدون) والارضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله ومعنى هذا قصه الله تعالى فى القرآن لرسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى فعجل الى الله سبحانه وتعالى شوقا اليه وخلف قومه وراءه وطمعا أن ينال منه تعالى شيأ يختص به فأدبه الله تعالى بأن فتن قومه بعده وأضلهم السامرى ثم لم يخصه بشئ دون غيره بل قال له قل لا إله إلا الله فأمر أن يقول هذه الكلمة التى عم بها الاقصى والأدنى من المسلمين وذلك ليعلم أن فضل الله لا ينحصر فى أحد ولا يختص به أحد بل فضله شامل وعطاؤه سبحانه عام وخزائنه لا تفنى ولو كان جميع ما خلق الله تعالى من جن وانس وغيرهما فى درجة موسى لم ينقص من سعة فضل الله أحد منهم وأدب الله تعالى بهذه القصة رسوله الاعظم ونبيه الاكرم صلى الله عليه وسلم ولذا قال لابى ذر انى أراك ضعيفا وانى أتمنى أن تكون مثلى أى من جميع الوجوه وذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم بسعة فضل الله ورحمته وهو يتمنى ذلك صلى الله عليه وسلم لكل فرد من أمته وأمره الله تعالى أن يصبر نفسه مع أمته فقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فهو يسوق أمته صلى الله عليه وسلم ويجعلهم أمامه وظهره للملائكة وذلك أن قوة النبوة لا يلحق بها غيرها فلولم يسقهم لتخلفوا وراءه وفتنوا صلى الله عليه وسلم (وسئل رضى الله عنه) هل يستفاد قبول شورى المرأة من قبول شعيب صلى الله عليه

وسلم

وسلم شورى بنته لما قالت له يا أبت استأجره فقبل ذلك بقوله انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين فقال لا يستفاد ذلك بل يشاورن ويخالفن وأما مقام الانبياء فهو معصوم فيسرى سره على من ليس فى مقامه فتستفاد الشورى عن المرأة وغيرها ببركته هو فان الله سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فقال وشاورهم فى الامر مع انه صلى الله عليه وسلم أعقل العقلاء وأكمل الكملاء وأعرف بعواقب الامور وقطب الكون الذى عليه رحاه يدور لكنهم بسبب صحبتهم له صلى الله عليه وسلم تدفق عليهم أنوار أسراره فلا ينطقون الا بالصواب ولا يتكلمون الا بفصل الخطاب فلا يقاس على مقام الانبياء ووقتهم ولا يضاهى بل مقامهم معصوم يختص بما لا يطلق على العموم وحسبنا الله ونعم الوكيل (وقال رضى الله عنه) اذا أراد الله سبحانه بعبده خيرا رضاه بما هو فيه حتى يعتقد أن حصول ما هو فيه خير من عدم حصوله فان أهل سبا كانت لهم الجنتان اللتان وصفهما الله فى القرآن بقوله لقد كان لسبا فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور وتانك الجنتان مسافة شهر أو أكثر فانهما من قرب صنعاء اليمن الى قرب الشام قال تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ووصفها تبارك وتعالى بأنها طيبة فانها من طيب هوائها لا يعيش فيها البق ولا البرغوث ولا القمل ولا العقرب ولا البعوض ثم تضع المرأة المكتل على رأسها فتمضى بين الجنتين بقدر سويعة وأقل فلا تقطعها الا وقد امتلأ المكتل مما تساقط من الثمار من جميع الفواكه مع أن الله سبحانه وتعالى قدر السير فيما بين القرية الى القرية بحيث يمكن المسافر أن يتغدى فى قرية ويتعشى فى

أخرى ويبيت فى ثالثة فلم يرضوا بهذه الحالة بل بعضهم قالوا لو طالت
المسافة بين القرى فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا بصيغة الامر وبعضهم قالوا
لو قربت المسافة بين القرى فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا بصيغة الماضى على
جهة الاخبار فلما لم يرضوا بما هم فيه قال تعالى فى حقهم وظلموا أنفسهم
فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق وبدلهم تعالى بجنتيهم جنتين ذواتى
أكل خمط وأثل وهذان النوعان ليس فيهما منفعة سوى الحطب ثم قال
وشئ من سدر قليل أى وهذا النوع الذى فيه بعض منفعة دون غيره من
الفواكه فانه أقلها منفعة فلله تعالى فقال وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم
بما كفروا وهل يجازى الا الكفور فكفران النعمة هو عدم الرضا بها
وان كانت فى الظاهر ليست نعمة فكل ما هو من الله سبحانه وتعالى فهو نعمة
فان فى الاسقام والامراض نعمة للعبد لو يعرف قدرها لاختار وجودها
عند وجودها على عدمها اللهم رضنا بقضائك وبارك لنا فيما قدرت لنا حتى
لا نحب تأخير ما عجلت ولا تعجيل ما أخرت ونسألك العافية من كل بلية
ونسألك تمام العافية ونسألك الشكر على العافية ونسألك الغنى عن
الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (وقال رضى الله عنه)
المشايخ يمتحنون تلاميذهم بأمرهم بفعل شئ مما يخالف عاداتهم
ليعرف الصادق من غيره ولهم فى ذلك حكايات عجيبة ليست هذه
الكراريس موضع ذكرها ومعهم على ذلك دليل من كتاب الله تعالى قال
الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله
أعلم بايمانهن والمؤمنات يشمل الذكور والاناث فالمؤمنات صفة
للنفوس أى النفوس المؤمنات وقد أطلق سبحانه وتعالى لفظ النفس على

الاشخاص

الاشخاص فقال تعالى أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله
الى آخر الآيات ثم قال بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين فعلى قراءة الكسر يعود الضمير الى النفس وعلى
قراءة الفتح يعود الى الاشخاص المؤمنات بدليل أن النبى صلى الله عليه
وسلم لما نزلت عليه يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن
لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين الى قوله ان الله غفور رحيم كان
يبايع الذكور والاناث بهذه الصيغة على هذه الشروط فيقول للذكور
بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم
ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف فدل
على أن المراد بالمؤمنات النفوس (وسئل رضى الله عنه) هل لمن أراد
أن يأخذ شيخا أن يطلب منه كرامة ليطمئن بها قلبه لانه ربما يكون ذلك
الشيخ متطفلا وليس بأهل للمشيخة ثم اذا طلبها هل للشيخ أن يظهر له كرامة
أم لا (فأجاب) بأنه لا ينبغى لمن أراد الاخذ أن يطلب من الشيخ ذلك ولا ينبغى
للشيخ أن يظهر له ذلك لانه ان كانت له عناية وجذب من الله تعالى فهو يرى
جميع حركات الشيخ وسكناته كرامات اذا كان صادقا وان لم يكن له عناية
فربما يتأول التلميذ الكرامة الظاهرة كما حكى الله سبحانه عن الكفار
بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت
أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة
الآية ثم اذا ظهرت له الكرامة ولم يتلقها بالقبول الصادق فذلك الخطر
العظيم لان بنى اسرائيل لما سألوا عيسى أن يسأل ربهم أن ينزل عليهم
مائدة من السماء قال الله تعالى انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم

فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فلولم يسأل أولاذلك لكان عذابهم كعذاب غيرهم اذا كفروا فتأمل ما أخطر الانكار بعد ظهور الحجة ثم ضرب رضى الله عنه مثلا فقال اذا أراد الانسان أن يضع شيأ من زيت أوسمن فى إناء ليحفظه له هل يحفظه التراب اذا صبه عليه لا بل اذا أراد الانسان أن يصنع من التراب إناء فلا بدّ أولا أن يعجنه بالماء ثم يخدمه حتى يمتزج بالماء ثم يهيئ صورة الاناء ثم ييبس فى الشمس وقتا من الزمان ثم توقد النار فيدخل فيها حتى ينضج نضجا كاملا ثم يخرج منها فيختبر فان لم يحفظ الماء أولا أعيد فى النار ثم يخرج ويطلى بطلاء ثم يعاد فى النار فبعد ذلك لا يخون فتضع فيه ماشئت من زيت أوسمن أوغير ذلك فانه يحفظه كذلك الاسرار لا توضع فى صدور الرجال الا بعد تعب ورياضة وخدمة من الشيخ بالتعليم والاختبار والامتحان للرجل الذى يريد وضع الاسرار فيه فان علم أنه قد صار حافظا لا يخون وضعها فيه والا أمسك وهذا التدبير هو الذى أجرى عليه الله الكون فانه تعالى كان قادرا أن يعطينا الخبز على صورة لا يحتاج معها الى شئ من الخدم لكنه أولا ألهمنا وأمرنا أن ندفن الحب فى التراب ثم نسقيه بالماء حتى تمتد عروقه فى الارض فينبت ثم يسنبل ثم يحصد ثم يداس ثم يطحن ثم يعجن بماء ثم ينضج فى النار ثم يؤكل وهذه قاعدة كلية فى كل شئ أنه لا يحصل للانسان شئ الا بعد أن يدأب فيه بجد وجهد حتى يحصله بعد زمان وامعان فقال له السائل فبم نعرف صدق الشيخ من عدم صدقه فقال بالصدق فاذا عاملت الله سبحانه وتعالى بالصدق واستخرته فخق عليه اذا عرف صدقك أن لا يدلك الا على الصدق والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين

(وقال

(وقال رضى الله عنه) اسرائيل نبىّ الله صلى الله عليه وسلم لما حرم على نفسه لحم الابل حرمها الله على أولاده ثم زاد على ذلك بأن حرم عليهم كل ذى ظفر تبعا له لكونه حرم على نفسه ما أحل له قال تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يقره الله على ما فعل من تحريم نسائه بل عاتبه فيها وذلك عناية به صلى الله عليه وسلم ورحمة من الله لأمته لانه لو أقره لكان مشروعا لأمته لانه صلى الله عليه وسلم أبو المؤمنين وما فعلته الآباء يثبت فى الابناء من خير وشر قال تعالى فى قصة الخضر مع موسى وكان أبوهما صالحا (١) وكان أبواه مؤمنين (وقال رضى الله عنه) قال تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ وقال تعالى فى عكس ذلك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حقيقة المؤمنين قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الشوكة فى رجل أحد كم إلا وجدت ألمها وقال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات الواو هنا تفسيرية أى واستغفر لذنبك الذى هو ذنب المؤمنين والمؤمنات وأما هو صلى الله عليه وسلم فمن أين له ذنب واذا فرض أن له ذنبا من حيث إنه يعده هو ذنبا وليس بذنب لانه لما عرف الله تعالى حق معرفته نزل نفسه صلى الله عليه وسلم منزلة المقصر فى حق من عرفه فقد غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر فعلم أنه صلى الله عليه وسلم حقيقة المؤمنين فأمره الله تعالى بأن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ليتحقق له الشفاعة فهو صلى الله عليه وسلم يتوب عن أمته ويشفع لهم والرزية كل الرزية فى الذنب من المؤمن اذا أذنب وحقيقته الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم انا نسألك

(١) قوله وكان أبواه مؤمنين لا مناسبة لقصة الغلام بما نحن فيه اه مصححه

العافية ولذا كلما ازداد الايمان فى امرئ كان الذنب منه أعظم منه من غيره (وسئل رضى الله عنه) كيف تكون اداب التلميذ بين يدى شيخه (فأجاب) ان الادب كل الادب من التلميذ أن يعى لما سمعه منه باذنه وقلبه فيقتدى به قولا وفعلا وعقيدة وأما آداب الهيئات فيجمعها ثلاث كلمات وهى كن مع أهل الظاهر بالظاهر ومع أهل الباطن بالباطن وكن مع أهل الله كيف شئت فانهم لا يرون الافعال كلها الا لله ولا يشهدون سواه فلا قبيح عندهم ولا شين بل كل مافعل الحبيب مليح (وقال رضى الله عنه) أخوف شئ على المريد التهاون بحقوق الخلق وان قل لانه الذنب الذى لا يتركه الله تعالى وان كان مثقال ذرة فان رجلا وقف على جزار ليأخذ منه لحما فلما وصل الى يده أرجعه عليه ولم يأخذه فخاصمه بين يدى الله وقال يارب أخذ منى هذا اللحم فأرجعه فوزن مالصق بيده منه فجاء مثقال ذرة فكان مكملا لحسناته التى بها يدخل الجنة وطرح فى ميزان الجزار على حسناته فدخل الجنة وكان متمما لسيآته التى يدخل بها النار وطرح فى ميزانه فوق سيآته فدخل النار نسأل الله العافية والسلامة ورؤى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مناما بعد أن مات بشهر فقيل له كيف كان قدومك فقال الآن فرغت من الحساب حتى إنى حوسبت على بقرة رأيت امرأة تحلبها وهى رابطة لضرعها يجتمع اللبن فقيل لى رأيت بقرة تعذب ولم تنقذها وبعض الصالحين نحت ترابا من جدار على كتاب كتبه ولم يجف منه المداد لعلمه أنه لا يساوى ثمنا ولا له قيمة فسمع هاتفا يقول سيعلم المتهاون بالتراب (١) مايلقى غدا من طول الحساب واشترى

(١) فى نسخة قدره فى يوم الحساب بدل قوله مايلقى غدا من طول الحساب اه مصححه

ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يوما تمرا بمكة فسقطت تمرة الى الارض فأخذها ظانا انها من الذى اشتراه ثم رحل الى بيت المقدس فلما وصل وبات فيه سمع ملكا يقول لآخر من ههنا فقال ابراهيم بن أدهم الذى حجبت دعوته شهرا من أجل تمرة أخذها من حق غيره فعاد من حينه الى مكة فسأل عن الرجل فوجده قد مات فدلوه على ولده فاستحل منه فأحله وقال له وله ورثة غيرى فقال امض بى اليهم فمضى اليهم فأحلوه جميعهم ثم رحل الى بيت المقدس فبات به فسمع أيضا ملكا يكلم آخر من ههنا فقال ابراهيم بن أدهم قال الذى غفر الله له ذنب التمرة التى سامحه فيها ورثة الرجل الذى أخذها منه واستجيبت دعوته فانظر ماهذا الخطر العظيم فى حقوق الخلق اللهم ان لنا ذنوبا فيما بيننا وبينك وذنوبا فيما بيننا وبين خلقك اللهم ما كان لك منها فاغفره وما كان لخلقك فاقضه عنا وأغننا بفضلك انك واسع المغفرة وذو فضل عظيم (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى حاكيا عن هرون عليه الصلاة والسلام لما أخذ موسى عليه الصلاة والسلام بلحيته قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى مع انه أخوه من أمه وأبيه ولكنه لم يذكر الا الام وذلك أنها محل الرحمة ليذكر حق الرحامة من جهتها فيرحمه لان الله سبحانه وتعالى وهبه له من رحمته كما قال تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا (وقال رضى الله عنه) قول الله تعالى يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك من باب تكليم الخصم ليلقنه حجته فلو قال غرنى كرمك لفاز ونجا وأى غنيمة ومنجاة أعظم من الغرور برحمة الله لكنه لم يقل كذلك ولذا رد عليه تعالى بكلمة الردع التى هى أشد توبيخا فقال كلا بل تكذبون بالدين وان

عليكم لحافظين الى آخرها فكانت أعماله السيئة أنه مكذب بيوم الدين لأنه مغرور برحمة الله (وقال رضى الله عنه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث وفى رواية لم ينجس فعلم بهذا التحديد أعنى القلتين أنه لا ينجس ولا يحمل الخبث اذا كان قلتين ثم فى حديث آخر الماء طهور لا ينجسه شئ الا ما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه ولم يحده بحد (١) فعلم من التحديد الاول أنه لا ينجس ولا يحمل الخبث بما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه الا اذا كان أقل من ذلك التحديد وأما اذا كان قلتين فلا ينجس ولو غلبت على أحد أوصافه (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم فقدم بعد قوله نبئ عبادى الغفران ثم أتى باسمه الغفور بعد أن أتى بالضمير المنفصل الذى للتأكيد ثم أتى باسمه الرحيم ثم عطف عليه العذاب ولم يأت باسم الانتقام فيقول وأنى أنا المعذب مثل قوله أنى أنا الغفور الرحيم ولذا غلبت رحمته غضبه ثم بعد هاتين الجملتين قص سبحانه وتعالى قصة ابراهيم مع أضيافه والنكتة فى ذلك أن ابراهيم لما نزل عليه أضيافه أكرمهم غاية الاكرام وتولى خدمتهم بنفسه اكراما لهم قال تعالى ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما (٢) قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم فهذا عبد من عبادى يكرم أضيافه النازلين عليه هذا الاكرام فكيف بالرحيم الكريم اذا نزل عليه عبده ضيفا عند الفاقة والاحتياج الى الرحمة والاكرام فجعل سبحانه وتعالى الجملة

(١) قوله فعلم الخ هكذا فى الاصل وهو خلاف المذاهب المشهورة اه

(٢) قوله قال سلام الخ هذه من الذاريات والآية قبلها من الحجر اه مصححه

التى فيها التخويف وهى قوله وأن عذابى هو العذاب الاليم متوسطة بين جملة الرجاء وهى قوله نبئ عبادى وبين قصة ابراهيم وهذا سر حكمة ترتيب القرآن (وقال رضى الله عنه) ما أخل بالملوك وأفسد عليهم أمر دينهم ودنياهم الا الجور وعدم العدل فان نظام الملك وزينته وروحه العدل فان من اتصف بالعدل منهم ولو كان كافرا ظهر سره فى صلاح أمور رعيته وانتظم ملكه وبورك فى عمره وصار ممدوحا مذكورا خلفا عن سلف فان كسرى لما ذهب سمعه رآه بعض أصحابه وهو يبكى فقال ما يبكيك قال فقد سمعى وليس بكاؤه لمجرد فقده ولكنه اذا أتى مظلوم يصيح لم يسمع صياحه ثم قال الحمد لله ان ذهب سمعى لم يذهب بصرى وأمر أن من ظلم لبس الثوب الاحمر فيكون علامة لكل من ظلم ثم لما بنى الايوان وكان مما يليه بيت لعجوز ساومها فيه فلم ترض بيعه فأبقاه لها ثم أمر بأن يعوج الايوان من الجانب الذى يليه بيت تلك العجوز وسئل بعض ملوك الكفار ما السبب فى أنهم يعمرون وملوك الاسلام أسرع ما يزولون من ملكهم فأراه شجرة عظيمة ثابتة فى الارض غاية الثبوت فقال هل يستطيع أحد أن يزيل هذه الشجرة قال لا قال هذا جوابك فبقى الرجل مفكرا فى تلك الشجرة ما معنى كونها هى الجواب وبقيت همته متعلقة بها فلم يلبث الا يسيرا اذا هو قد سمع بهدة عظيمة فسأل عنها فقيل له الشجرة الفلانية انقلعت واذا هى تلك الشجرة فطلبه الملك فقال له عرفت ما معنى أن هذه الشجرة جوابك قال لا قال انها كانت ثابتة ذلك الثبوت الذى ليس معه لاحد قدرة على ازالتها فلما بقيت همتك متعلقة بها أزالتها فهذه همة رجل واحد أزالت شجرة عظيمة فكيف اذا تعلقت همم جميع الرعايا بملك جائر كل واحد منهم يريد زواله

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يوسع الحرم النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وكان مما يليه بيت العباس رضى الله عنه فطلبه وقال له انى أريد أن أوسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أردت أن أبنى لك بيتا مثل بيتك فى جهة أخرى أو أعطيك ثمنه وندخل بيتك فى المسجد فأبى العباس رضى الله عنه فقال عمر رضى الله عنه لابد أن تفعل قال العباس رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى أمر داود أن يبنى بيت المقدس فعمد اليه ليبنيه فوجد الى جنبه أرضا فأراد أن يأخذها فأوحى الله اليه انى أمرتك أن تبنى لى بيتا (١) فأردت أن تغصب بيت عبد من عبادى عقوبتك أن لا تبنيه فقال عمر رضى الله عنه لابدّ أن تأتينى ببرهان على ذلك فذهب الى الصحابة رضى الله عنهم وقال أنشدكم الله هل سمعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فقالوا نعم فقلع عمر رضى الله عنه الميزاب الذى فى بيت العباس رضى الله عنه وهو كان الى سطح يصب فى المسجد فقال العباس بئسما صنعت فانه وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عمر رضى الله عنه لابدّ أن تطلع على ظهرى أو على كتفى ثم ترد الميزاب حيث كان ثم بعد ذلك سمح العباس رضى الله عنه ببيته ذلك من غير ثمن ولا عوض فانظر الى العدل وأهله تزدد معرفة بمقدار العدل ثم ان كل انسان ملك على جوارحه وأعضائه فاذا كانت سيرته فيها بالعدل نال الخيرات واتصف بمحامد الصفات والعكس

(١) قوله فأردت أن تغصب الخ هكذا فى الاصل وفى هذا الكلام ما لا يليق بمقام الانبياء والصحابة ولعل مثله مدسوس على ابن ادريس فالله أعلم اهـ مصححه

بالعكس

بالعكس نسأل الله العافية (وسئل) رضى الله عنه عن قول الله تعالى فى الصوم وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين (فأجاب) انه فى صدر الاسلام قبل نزول فمن شهد منكم الشهر فليصمه كان الصوم ليس بواجب بل من أراد أن يصوم صام ومن أراد أن لا يصوم افتدى باطعام مساكين ثم بعد نزول آية وجوب الصوم وهى قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه بقى حكم قوله وعلى الذين يطيقونه على الحامل والمرضع لانها تطيق الصوم ولكن لها أن تفطر اذا خشيت ضرر ولدها أو حملها وتفدى ثم تقضى وأما الشيخ الهرم والذى لا يطيق الصوم بعلة فحكمه مأخوذ من قراءة وعلى الذين يطوقونه فله أن يفطر ويفدى ولا قضاء عليه وأما قولهم يقدّر حرف نفى تقديره وعلى الذين لا يطيقونه فهذا كلام فاسد لا يقول به عارف وكيف يزاد فى كلام الله شىء ليس من كلامه اللهم اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان (وقال رضى الله عنه) من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه أتى هنا بزيادة الحرث مع أن نعيم الجنة لا يزول وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وفيها التجليات الالهية وليس فيها أسقام ولا آلام ولا حرّ ولا برد ولا تعب ولا نصب أهلها على سرر متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدّعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون فذكر الزيادة فى هذا الحرث بقوله نزد له فى حرثه ثم قال ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الدنيا جميعها لا تعدل عند الله جناح بعوضة وكم ملوك فى الدنيا على زعمهم وكم تجار وكم زراع وكم صناع وغير ذلك فكم

قسم الواحد منهم من جناح البعوضة ثم مع هذا أتى بمن التى للتبعيض فقال نؤته منها فتأمل أين زيادة الحرث الاول وقد رحصة الرجل الواحد من جميع من فى الارض من جناح بعوضة مع آنه يؤتى بعض هذه فأين الحصة من ذلك اللهم انزع حب الدنيا من قلوبنا واجعل حبك أحب الاشياء الينا وأصلح فساد قلوبنا وألهمنا رشدنا يا أرحم الراحمين (وقال رضى الله عنه) أرواح الاموات فى البرزخ كل روح على صورة جثمانها من جميع الصفات حتى ان الرائى اذا رأى تلك الروح لا يراها الا على صورة صاحبها مع أن الجسم قد بلى فى الجدث وأرواح الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم الى آخر الآيات المراد بها الارواح وانما مثل الفرق بينها وبين غيرها كمثل الرجل اليقظان والنائم فأرواحهم كاليقظان وأرواح غيرهم كالنائم فأرواح الشهداء فى تلذذها بالنعيم وبالبشارات عند ربهم والارزاق وفرحهم كاليقظان وأرواح غيرهم فى تلذذها وفرحها كالانسان اذا رأى فى منامه ما يسره ثم قال هذا أقرب مثال يكون فيهم (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان أى ان الامانة جعلها الله سبحانه وتعالى وظيفة عظيمة لا يقوم بها الا من كان فى أحسن تقويم فكل شئ غير الانسان خلقته وطاقته قاصران عن حملها ولذا أبين أن يحملنها وأشفقن منها ولما خلق الله تعالى الانسان فى أحسن تقويم قدر على حمل الامانة فمثل ذلك كأن يفصل الانسان ثوبا طويلا عريضا موفر الاذيال فى أعلى مرتبة الكمال فكل من لبسه اذا لم يكن فى غاية الطول والعرض

يأبى أن يلبسه لانه يعذب بلبسه ولا يقدر أن يسير به ولا يتمتع به بوجه من الوجوه فاذا عرض ذلك الثوب على انسان فى غاية الطول والعرض كامل الذات قبله وتمتع بلبسه وانتفع به كذلك الامانة اذا لم يخنها الانسان فهى أعظم وأكبر نافع له ثم قال تعالى انه كان ظلوما جهولا أى قبل حمل الامانة أتراه جاهلا بعد أن حملها وهو الذى علم الملائكة الاسماء بل الملائكة عبدت الله فى الازل وترقت فيها وما بلغت معرفة الاسماء حتى علمهم آدم عليه السلام فانظر الى شرف الجوهر الانسانى اذا أدى الامانة ولم يخنها خلقه الله أولا فى أحسن تقويم ثم أعطاه الامانة التى هى سبب اذا لم يخنها النيل الدرجات التى لم ينلها غيره من المخلوقات واذا لم يخنها صار الحق سمعه وبصره الى آخره واذا لم يخنها أدخله الله الجنة التى فيها ابيح له النظر الى وجهه ويحيا بحياة الله وملكه الملك الدائم حتى انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فأى نوع أشرف من هذا وأى مزية أعلى من هذه ويا ضيعة بل يا خيبة من رغب عن هذا الملك والنعيم بخيانتها فى حطام هذا الفانى وباع الدار الباقية بهذه الدنيا الفانية التى لا تعدل عند الله جناح بعوضة ففى الحديث انها تأتى يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء وتسأل الله أن يجعلها الادنى أهل الجنة فيقول لا يا لاشئ اللهم اجعلنا ممن أدى الأمانة يا أرحم الراحمين (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق المراد بالنافد هو الوهم الذى نتخيله عندنا والوهم قتال لان الدنيا أسحر من هاروت وماروت فيخيل لنا أن هناك شيأ ولا شئ كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وأما من عرف منا قدر الدنيا ونزلها منزلتها وسلك فيها الصراط المستقيم فهو الفائز ما عندكم ينفد

وماعنـد الله باق (وقال رضى الله عنـه) فى قول الملائكة عليهم الصلاة والسلام حين شاورهـم الحق تبارك وتعالى فى آدم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك معنى نسبح بحمدك ونقدس لك أى مخلصين لوجهك الكريم لأن ذلك التسبيح والتقديس معلولان لاجل جزاء أوغير ذلك وهذه الدرجة هى أعلى درجات العبادات التى من حازها فقـد صار وليا وأما الانبياء فكلهـم كذلك وهى مراد كل مترق ولكن كم تلقى دون هذه الرتبة عاثرا وكيف تلقى عنها مقهقرا ومانالها الامن تولاه الله وسلم أموره لله فأخذ بيمناه فان الملائكة عليهم السلام فرّوا من التسبيح والتقديس المعلولين لكنهم أخذتهم الغيرة على الخلافة فوقعوا فيما فروا منـه (وقال رضى الله عنـه) ان الذين جاؤا بالافك عصـبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم وذلك أن قصة الافك اتفقت فيها متفقات احتوت على كرامات وظهرت فيها خفيات فمنها التنويه بشأن أبى بكر رضى الله عنـه بقول الله تعالى ولا يأتل أولو الفضـل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألاتحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم فجعله من أولى الفضـل وتلك صفة من صفات الله تعالى والله ذو الفضـل العظيم والسعة هى سعة الله تعالى قال الله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فسعة أبى بكر رضى الله عنه هى سعة الله لان المؤمن المتوكل على الله خزانته عند الله ومن كانت خزانته عند الله فتلك سعة الله ومنها اظهار مزية مسطح رضى الله عنه عند الله فان من أحبه الله تعالى قاد اليه الذنب خيرا كثيرا فان مسطحا أتى بهذا الذنب العظيم الذى هو من أعظم الذنوب

واخطرها

وأخطرها فكان بسببه الخير الكثير بأن وصفه الله تعالى بأنه من أولى القربى أى من الله تعالى ففى الحديث من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا وبأنه من المساكين أى الى الله تعالى وهـم الذين سكنوا اليه تعالى الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقهم اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وشهد له بأنه من المهاجرين فى سبيل الله ليخرج ممن هاجر لاجل مال يصيبه أو امرأة يتزوجها وهـذا سر قول رسول الله صلى الله عليـه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فانى قد غفرت لكم ثم أتى تعالى بصـيغة الامر وليعفوا وليصفحوا ألاتحبون أن يغفر الله لكم ليتخلقوا بأخلاق الله تعالى فيعاملهم بها ثم قال تعالى ان الذين يرمون المحصنات فقال يرمون ولم يقل رموا لينبه جـل جلاله أنه قد غفر للذين قد وقع منهم ذلك انما هذا الذين يرمون فيما بعد وبرأ الله تعالى عائشة بأن وصفها بأنها من المحصـنات ثم قال الغافلات هذه غفـلة ممدوحة لانها غافلة عن الشر المؤمنات فوصفها بأنها من المؤمنات ثم قال لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم فعـلم أنهم غير من قد وقع منهم ذلك لانه قد غفر لهم سـبحانه وتعالى وكيف يأمر غـيره أن يغفر لهم وهو لا يغفر لهم بل هو تبارك وتعالى أحق بالمغفرة ومنها أن عائشة رضى الله عنها كان فيها قبـل ذلك زهو على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمها بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها فأدبها الله تعالى بذلك ومنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحبها والله سـبحانه غيور على قلب عبده أن يسكن فيه حب غيره وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه والقلب لا يسع الا حب واحـد وهذه الغيرة

من الرب جل جلاله هى التى أدّب بسببها نبيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اشتدّ فى قلبه حب ولده اسمعيل فأمره بذبحه وهى أيضا التى أدّب بسببها نبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام لما اشتدّ فى قلبه حب ولده يوسف فغيبه عنه وأدّب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اشتدّ حب عائشة رضى الله عنها بقصة الافك لينكسر قلبه فلا يبقى فيه الا الله تعالى واذا صفا قلب العبد المؤمن وتطهر حتى بلغ حد قوله تعالى لم تسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن فلا بدّ أولا أن يذبح حتى يفنى عن بشريته فلا يبقى الا الحق فينطق به ويبصر به ويسمع به ويبطش به ويمشى به قال تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة والله سبحانه وتعالى ملك الملوك فاذا دخل قرية قلب عبده أفسد أهلها وأهلها بشريتها والبشرية ذليلة والعزة لدولة الحق وسلطانها وحينئذ ينادى منادى الجبار لمن الملك اليوم يخاطب بعد الاضمحلال فى عين العدم جميع الآثار فيجيب نفسه لما لم يجد سواه لله الواحد القهار (وقال رضى الله عنه) تنوعت أقوال المفسرين فى وجه اثبات الالف فى السبيلا والرسولا من قول الله تعالى حاكيا عن الكفار يوم القيامة يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وما أصابوا الغرض المقصود وهو أن اثبات الالف فى السبيلا تنبيه على تثنية السبيل لانهما سبيلان سبيل الهدى وسبيل الضلال قال تعالى وهديناه النجدين فمن اهتدى لسبيل الهدى فقد اهتدى لسبيل الضلال ومن ضل عن سبيل الهدى فقد ضل عن سبيل الضلال لانهما متلازمان من كل وجه وأما اثباته فى الرسولا فكذلك

اشارة

اشارة الى أن الرسول رسولان رسول خارج وهو الذى جاء من عند الله ليبلغ عنه ورسول داخل وهى القابلية وكل واحد مفتقر الى الآخر كنور البصر فانه مفتقر الى نور خارج اذ لو كان فى ظلمة لما رأى شيأ والنور الخارج مفتقر الى نور البصر فان الاعمى لا يرى شيأ ولو كانت الشمس فى كبد السماء ألا ترى أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين جاء كل واحد منهم قومه بالمعجزات الباهرات والعلامات الظاهرات فلم يقبل منهم الا من ثبت فى داخله رسول القابلية ومن لم يثبت لم ينتفع بالرسول الخارجى وهى المطاوعة يقال كسرته فانكسر يعنى قبل الكسر وأما اذا قلت فتلت الحديد فانفتل فهو باطل لان الحديد لا ينفتل كذلك الكفار لم يثبت لهم رسول القابلية فلم يطاوعوا الامتثال لما جاءت به الرسل فهذا وجه اثبات الالف وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل (وقال رضى الله عنه) قال المفسرون فى قول الله تعالى من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ إن المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم وان الضمير فى ينصره يعود اليه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك لانه لم يتقدم لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يعود اليه الضمير لا قريبا ولا بعيدا فانه لم يتقدم ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم من أول السورة الى هذه الآية بل الضمير فى ينصره عائد الى الموصول وهو من كان يظن لا الى الرسول لكونه لم يتقدم لفظ الرسول لا قريبا ولا بعيدا وقد يأتى ضمير عائد الى متقدم وان بعد كقوله تعالى وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فعلى قراءة الكسر معطوف على قوله تعالى وعنده علم الساعة أى وعنده علم قيله يارب وعلى قراءة النصب

معطوف على البعيد وهو قوله تعالى أيحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم أى ويحسبون أنا لا نسمع قيله يارب وأما من كان يظن أن لن ينصره الله فلم يتقدم ما يعود اليه الضمير على وجه تفسيرهم بل معناه كل من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع عن نفسه هذه النازلة التى بسببها يطلب النصر هل يذهبن كيده ما يغيظ أى لو أمكنه هذا المحال ما أذهب غيظه فكيف وهو لا يمكنه أصلا ومن الضمائر التى تعود الى البعيد قوله تعالى ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون فانه معطوف على قوله تعالى قبل جزء ولو أننا نزلنا وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ثم أتى تعالى بهذه الجمل المعترضة وهو قوله اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين الى آخر الآيات ثم قال ولتصغى تقديره ولنبينه لقوم يعلمون ولتصغى اليه اه والحمد لله (وقال رضى الله عنه) فى قول الله تعالى يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة متعلق الجار والمجرور فى قوله بالقول الثابت هو آمنوا وليس متعلقا بيثبت تقديره الذين آمنوا بالقول الثابت يثبتهم الله والقول الثابت هو قول الله تعالى وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال رضى الله عنه) فى حديث ما معناه أن المؤمن يتلذذ بنزع روحه عند الموت كما يتلذذ الظمآن بشراب الماء البارد فى اليوم الصائف (١) وأما قول الرسول

(١) قوله وأما قول الرسول الخ وقوله بعده ولان آدم الخ هكذا فى الاصل ولعل فى الكلام سقطا فحرر وانظر المناسبة التى بها يرتبط الكلام بعضه ببعض اه مصححه

صلى

صلى الله عليه وسلم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ما يشاك أحدكم شوكة الا وجدت ألمها ولان آدم عليه الصلاة والسلام ما أكل من الشجرة التى نهاه الله عن أكلها الا لتحرك الاشقياء فى صلبه الذين قال تعالى فى حقهم ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا وقال تعالى فى حقهم بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فالنبى صلى الله عليه وسلم هو حقيقة العالم الانسانى وأصله وهو صلى الله عليه وسلم يتحمل المشاق لاجل أمته ويستغفر فى كل يوم سبعين مرة لاجل أمته لان استغفاره لنفسه صلى الله عليه وسلم هو عين استغفاره لامته أتراه يذنب صلى الله عليه وسلم وهو معصوم أو يخاف من الذنب وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وذنبه الذى غفر له انما هو باعتبار ما عنده صلى الله عليه وسلم والا فليس له ذنب لكنه لما عرف الله سبحانه وتعالى حق معرفته نزل نفسه صلى الله عليه وسلم منزلة من لم يؤد حقه تعالى كما يليق بجماله وكماله فعد ذلك ذنبا وأما قوله صلى الله عليه وسلم رب اغفر لى وتب على فهو استغفار لامته وتوبة عنهم صلى الله عليه وسلم فهو ممتثل لامر ربه سبحانه وتعالى حيث قال فاعف عنهم واستغفر لهم أى الحقوق التى لك عليهم فضيعوها اعف عنهم فيها وتخلق بأخلاقنا والحقوق التى لنا استغفر لهم فيها ويا هل تراه تعالى يأمره صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لامته ولا يقبله لكن يضيفك ويغلق بابه دونك حاشا وكلا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اللهم صل وسلم على رسولك الشفيع المشفع وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك (وسئل رضى الله عنه) عما ورد من الاحاديث التى فى معنى من تداوى واسترقى

فقد برئ من التوكل وماورد من تداويه صلى الله عليه وسلم بحرق الحصير والصاقه بجرحه ونحوه من النفث وقراءة المعوذتين (فأجاب) دامت افادته بما معناه ان الامة على ثلاث طبقات عليا ووسطا ودنيا فاذا جاء عن الشارع مايقتضى كراهة فعل شئ إما بذمه أوذم من فعله ثم جاء عنه أنه فعل شيأ منه فذلك الذم درجة الطبقة العليا وفعله لشئ منه وهو سيد أهل الطبقة العليا ليحصل الفاعل له من أهل الطبقة الوسطى والدنيا حظه من محبة الله تعالى بالاتباع قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فهو صلى الله عليه وسلم فى استعمال الدواء والرقية فى أعلى مراتب التوكل لانه مستعمل لها بالله لا نظرله فى ذلك الا الى الله فان استعمل عبد الدواء مثلا مستحضرا نية الاقتداء أوالاتباع وامتثال الامر كما ورد فى احدى روايات خطبه فى حجه صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا أنزل له دواء فله حظه من محبة الله على قدرنيته واعانه ومن فعله من غير نية سوى التداوى فله حظه بقدره ولا يشترط ماقالوه انه لا يثاب على الفعل المباح الا اذانوى نية تصيره عملا صالحا فان المؤمن مثاب على كل فعل يفعله من حركة وسكون وقول وسكوت مالم يكن ذلك فى معصية كما أنه لوفعل شيأ من ذلك عن غير قصد فيما لا يرضاه الله تعالى فانه يأثم والحجة فى هذا قوله صلى الله عليه وسلم ان فى بضع أحدكم صدقة قالوا يارسول الله أيأتى أحدنا شهوته وله أجر قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أما كان عليه وزر الحديث وقوله ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها فى عليين ويتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار سبعين خريفا الحديث وفى بعض رواياته لا يظن أنها تبلغ مابلغت فالعبد اذا امل



القعود مثلا فقام ليستريح فهو مأجور لانه ماقام الا معتقدا أن الله أباحه ولو حرمه عليه مافعله فهو مأجور وان لم يستحضر النية وهكذا قس عليه سائر أفعال العبد مثل الاكل والشرب فهو ممتثل للامر من الله سبحانه فأجره عظيم فى امتثال قوله كلوا واشربوا وكذلك كل ماورد به أمر الشارع ولاشك أن من استحضر النية لكل فعل فان رتبته أعلى وأجل وأجر كل عامل على قدر عمله نسأل الله التوفيق (وسئل رضى الله عنه) عمن أدرك ركوع الامام هل يعتد بها ركعة ولو لم يقرأ الفاتحة فيها (فأجاب) أن قراءة الفاتحة أسقطها الشارع عن المسبوق اذا أدرك الركوع مع الامام بدليل حديث أبى خزيمة الذى صححه وحديث أبى بكرة رضى الله عنه حين ركع دون الصف ومشى الى الصف فقال له صلى الله عليه وسلم زادك الله حرصا ولا تعد فانه لم يأمره باعادة ولو كانت لا تجزئه لأمره بالاعادة وقوله ولا تعد إنما هو عن الركوع دون الصف لا عن اتباع الامام على الحالة التى هو عليها فانه مأمور باتباع الامام على أى حال وجده عليها وورد أيضا أنه صلى الله عليه وسلم أطال الركوع فى بعض صلواته طولا زائدا فسئل بعد انصرافه فقال ان جبريل أتانى فقبض يدى على ركبتى ليدرك على رضى الله عنه الركعة فسئل الشيخ رضى الله عنه من ذكر هذا الحديث قال الذى يحضرنى الآن أنه ذكره ابن الجوزى مع انه قد جعل بعض الاحاديث الحسان والصحاح موضوعة فما أورده الا وهو عنده ثابت والله أعلم (وسئل رضى الله عنه) عن قول الله تعالى فى الحديث القدسى ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله ومنهم من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله الحديث مع ماورد فى الحديث الآخر ان رجالا يتخوضون فى

مال الله تعالى بغير حق فلهم النار ومايشاهد من طغيان الاغنياء وكثرة المال فى أيدى الكفار (فأجاب) ان قوله تعالى ان من عبادى فعباده هنا إما أن يكونوا الخواص منهم الذين لا يتعبدون لغيره تعالى فهو مثل قوله تعالى وهو يتولى الصالحين ياهل ترى أنه لا يتولى الا الصالحين بل هو متول لجميع خلقه من كافر ومسلم وفاسق ومؤمن قال تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون وقال تعالى أيحسب الانسان أن يترك سدى لكن التولى هنا خاص للصالحين باسمه الهادى واللطيف والرحيم وبجميع أسماء الرحمة وتوليه للمجرمين بأسماء العذاب كالمضل والمنتقم فاذا عرفت ذلك علمت أن لكل اسم من أسماء الله تأثيرا فى خلقه وان الحقيقة واحدة وتأثير كل اسم من أسمائها فى المخلوقات فتأتى كل عبد جيوش الاسماء مع أن الحقيقة واحدة ولما كان خلق آدم على الصورة وافقت الاسماء شؤنه فالمضل يجذبه اليه والهادى يجذبه اليه والمنتقم يقول للمضل ائتنى به فان لى فيه حصة والرحمن والرحيم يقولان للهادى ائتنا به فان لنا فيه حصة فالله سبحانه متول لجميع العباد بجميع الصفات وقوله يتولى الصالحين أى بأسماء الرحمة فقوله ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لفسد حاله أى عبادى الخواص فان من الانبياء من ابتلى بالفقر ومن الصالحين كذلك ومنهم من ابتلى بالقتل ومنهم من ابتلى بالامراض لكن ذلك صلاحه باعتبار ماله كقطع اليد من الاكلة وتجرع الادوية نعوذ بالله من ذلك وكذلك قوله ان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لفسد حاله أى الخواص منهم لانه بسبب غناه يدخل الجنة لكونه يتصدق ويعتق الى غير ذلك من أنواع الخير ولو كان فقيرا السخط وربما أحوجته

الضرورة

الضرورة لفعل أشياء بسببها يستوجب النار هذا اذا كان لفظ عبادى موجها الى الخواص فاذا كان باعتبار العموم فالصلاح فى قوله ان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى موجه الى السابقة فان من سبق فى علم الله أنه من أهل النار لا يصلحه لهذه السابقة الا الغنى الذى هو عين الفساد فصلاحه عين فساده وعلى هذا كل من بسبب غناه يكون طغيانه وكذلك من سبق فى علم الله أنه من أهل النار ولكن لا يصلحه لهذه السابقة الا الفقر وبسببه يكون طغيانه ولو كان غنيا لفسد حاله أى فسد حال هذه السابقة وهذا سر القدر ولا تؤدى عنه العبارة والسكوت فيه أولى (وقال رضى الله عنه) اذا أسلم العبد جميع أموره لله وفوضه له تولاه الله وعامله بما يصلحه وهو أعلم بمصالح عباده فان أهل الله تعالى وأنبياءه مشوقون ومتشوقون لتجلى الحق لهم فيتجلى لهم بالقدر الذى به يتمتعون ويتلذذون على قدر طاقتهم واستطاعتهم لانهم لا يزالون يتقربون ويتوددون اليه تعالى بالعبادات والاعمال الصالحات حتى يكون أبصارهم وأسماعهم فيرونه به فطلبوه من بابه فكان تجليه لهم رحمة وبنو اسرائيل لما لم يفوضوا اليه ولا طلبوه من بابه بل قالوا أرنا الله جهرة تعنتا منهم تجلى لهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فكان تجليه لهم عذابا ثم قال تعالى بعد ذلك ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون أى تشكرون نعمة الحجاب فان الحجاب رحمة لمثلكم كذلك نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام قال رب أرنى أنظر اليك مع أنه قد رآه حيث تجلى له فى النار فى أول الامر لكن قوله أنظر اليك يريد بالجلال والجمال الذى يعلمه لنفسه فقال انظر الى الجبل فنظر الى الجبل فتجلى ربه للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا والصعقة هى الموت فرآه فى الموت وهو مصداق قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحدكم ربه حتى يموت وهو ما رأى
إلا بقدر ثلث الخنصر من الذات كما ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبهذا القدر كان تجليه له فوق استعداده وطاقته ولو كان فوق ذلك
بقليل لصعق حتى لا يبقى موسى ولا يبعث فسبحان من لا يعلم قدره غيره
ولا يبلغ الواصفون صفاته ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما فوض
أمره الى الله تعالى أسرى به وأراه إياه بقدر لا يعلمه إلا هو فصار فى الظاهر
عبدا يمشى فى الناس ويتكلم معهم وفى الباطن أمواج بحار أنوار الحق
تعالى ومكنه الله طاقة واستطاعة يحمل بها أعباء ما أهله الله له من
مشاهدته ومحاضرته وتبليغ أمته الرسالة وأداء الامانة فهو علوى سفلى
صلى الله عليه وسلم فسبحان المعطى المانح جل جلاله وتقدست أسماؤه
ولا إله غيره وصلى الله على نبينا وسيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم (وقال رضى الله عنه) أخفى الله ثلاثا فى ثلاث أولياءه فى خلقه
ورضاه فى طاعته وغضبه فى معصيته وبه أوصى الباقر عليه السلام ولده
فقال يا بنى لا تحتقرن ذنبا فربما يكون به هبوط الاعمال وغضب الرحمن
ولا تحتقرن طاعة فربما يكون بها نيل الخيرات وبها رضا الله تعالى ولا
تحتقرن أحدا من المسلمين فربما تحتقر من هو عند الله عظيم فتكون
منازعا لله وقال بعض الصالحين إذا اعتقدت أن كل من رأيته هو الخضر
فقد رأيته ولو كان معروفا عندك كأخيك أو ابن عمك لانه يتصور بصورته
والله الله أن تحتقر مسلما أو تؤذيه فقد يكون وليا من أولياء الله وأنت
لا تشعر فتكون داخلا فى غضب الله ففى الحديث ان الله ليغضب
لأوليائه كما يغضب الليث لأشباله والله سبحانه يحارب ثلاثة أنواع من

اهل

أهل المعاصى قاطع الطريق وآكل الربا والمؤذى لأولياءه وفى الحديث
الآخر القدسى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة قال تعالى انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو
يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك
لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وقال تعالى فى آكل الربا
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم
تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وفى الحديث من آذى وليا فقد حارب
الله (وقال رضى الله عنه) لا ينبغى أن تكون الخلة إلا لله تعالى ففى الحديث
يا أيها الناس انه كان لى فيكم اخوة وأصدقاء وانى أبرأ الى الله أن أتخذ منكم
خليلا ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة
الاسلام أفضل وأما قول الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا
المتقين فهو دليل على ما قلناه لان المتقين هم أحباء الله تعالى والله يحب المتقين
فلا خليل لهم غير الله تعالى وليس المراد أن بعضهم أخلاء لبعض بل اذا تخالل
رجلان فى الدنيا صارا عدوين يوم القيامة لان كل واحد منهما اتخذ خليلا
غير الله ولا تبقى الخلة إلا لله فالمستثنى بقوله الا المتقين انما هو الخلة لله فقط
لان حقيقة الخلة هو أن يكون الجوهر عين العرض والعرض عين الجوهر
كالصباغ فى الثوب وهو معنى أن يكون سمعه وبصره الى آخره (وقال
رضى الله عنه) قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه حمل الناس قول الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم على
غير معناها فتركوا النهى عن المنكر والامر بالمعروف وليس كذلك
فالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على كل أحد إما بيده أو

بلسانه أو بقلبه وذلك أضعف الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله بعقاب منه وقوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم هو معنى ولا تزر وازرة وزر أخرى أى ضلال المضل لا يعاقب عليه من اهتدى فالواجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى تكون المعذرة والمعذرة هو أن ترى مصداق ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالمعروف وانه عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك ودع عنك أمر العوام وحسبنا الله ونعم الوكيل (وقال رضى الله عنه) لما نزل قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الى قوله وذلك هو الفوز العظيم ترك الصحابة رضى الله عنهم الاكل من أموالهم حتى نزل قوله تعالى ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فأباح لهم تعالى أن يتصرفوا فى ماله الذى اشتراه منهم بالمعروف من غير اسراف وكانوا اذا أكلوا جميعا يؤثر كل واحد منهم أخاه وبهذا تحصل البركة وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام ما كثرت عليه الايدى وشكا الصحابة عدم الشبع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعلكم تفترقون على طعامكم قالوا نعم قال اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال صلى الله عليه وسلم الذى يأكل وحده شيطان وفى الحديث الكنود هو الذى يأكل وحده

ويمنع

ويمنع رفده ويضرب عبده وكذلك اذا أكلوا أشتاتا فلا بد من الايثار اللهم اهدنا لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها الا أنت يا أرحم الراحمين (وقال رضى الله عنه) قلب ابن آدم ميزانه فان أردت أيها الطالب للعلم أن تعرف العلم النافع من غيره فانظر فى قلبك فان وجدته حين تقف لسماع ذلك العلم يشرئب الى الدنيا وحب الرياسة ففر منه فذلك هو الضلال المبين وان اطمأن قلبك عند سماعه بالله وخرج من قلبك حب الدنيا واستغنيت بما عند الله تعالى فذلك هو العلم النافع فعض عليه بالنواجذ وأت ولو حبوا وما جمع هذه الشروط وهذه الاوصاف سوى قول الله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأولا وبالذات أنك تكون من الذاكرين الله كثيرا بقولك قال الله قال رسول الله ثم يصلى عليك الله عشرا بقولك صلى الله عليه وسلم ثم تلتمس الهدى من الذى شهد الله له بالبيان والهدى فقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة فما أخسر صفقة من استبدل قال الله قال رسوله بقول فلان قال فلان أتراه نورا وكلام الله ورسوله ظلمة أو تلتمس الهدى من غير ما التمس منه الصحابة والصالحون من التابعين اللهم انفعنا بالقرآن العظيم وبسنة رسولك صلى الله عليه وسلم (وقال رضى الله عنه) قال الله لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة عظم تعالى النفس اللوامة فأقسم بها ولا يقسم الا بعظيم ثم قرنها بيوم القيامة وذلك لان النفس اللوامة وهى التى تذكر ذنوبها فتلوم نفسها ولومها نفسها هو قيامتها وهو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حاسبوا انفوسكم قبل أن تحاسبوا فمن حاسب نفسه ولامها فقد أقام قيامته لان يوم القيامة هو يوم الحساب وفى الحديث كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فنزل منزلا فذهب رجل الى الرمضاء وجعل يتمرغ فيها ويقول لنفسه ذوقى حر النار جيفة بالليل وبطالة بالنهار وتطمعين أن تدخلى الجنة فبينما هو يتقلب فى الرمضاء اذ أبصره رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اليه فقال يا رسول الله غلبتنى نفسى فقال له صلى الله عليه وسلم ان الله قد باهى بك الملائكة ثم قال صلى الله عليه وسلم لمن حضر من أصحابه تزودوا من أخيكم فجعل كل واحد منهم يقول ادع لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمهم عمهم وذلك لكونه حاسب نفسه فى خلوته ووبخها ولامها فالكيس اللبيب من أكثر اللوم على نفسه وحاسبها قبل أن يحاسب على مثاقيل الذر اللهم انا نسألك توبة نصوحا وأن تشغلنا بعيوبنا عن عيوب غيرنا برحمتك يا أرحم الراحمين (وقال رضى الله عنه) ليس ما عبر عنه من المستقبل بصيغة الماضى فى القرآن لتحقق وقوعه كما زعم أهل المعانى مثل قوله تعالى أتى أمر الله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا بل ما كان فى علم الله تعالى فهو مشاهد معاين عنده سبحانه وتعالى فان علمه عين إبصاره فكل ما يكون فى يوم القيامة مشاهد له من قبل خلق كل شىء فانك ترى المنى حال نزوله من الصلب وهو ماء والله سبحانه وتعالى يراه على الخلقة التى سيكون عليها ويرى فى ذلك المنى عيونه بقدر حجمها وسمعه وبصره وجميع جوارحه وأعضائه على ما ستكون عليه بل يراه كذلك قبل خلق كل شىء وعلمه بالشىء تعالى عين رؤيته له ويرى عيانا ذرية تلك النطفة الى ما لا نهاية له أرى الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عيانا ليلة الاسراء كل ما سيكون كالمرأة تخدشها هرة فانه رآها صلى الله عليه وسلم عيانا مع أن تلك المرأة فى البرزخ

ورآها

ورآها صلى الله عليه وسلم كذلك فى النار وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما جالسا بين أصحابه فقال انى أرى حجرا ألقى من شفير النار وله سبعون سنة يهوى فيها وهو الآن وصل قعرها فلما سكت صلى الله عليه وسلم سمعوا وجبة عظيمة حتى حصلت رجفة وما سكنت تلك الوجبة حتى سمعوا صياحا فى بيت رجل من المنافقين مات فى تلك الحالة وعمره سبعون سنة فكل حياته يهوى فى النار وحال مماته وقع فى قعرها ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار فعبر صلى الله عليه وسلم بالحجر عن ذلك المنافق ورآه رأى العين مع أنه فى تلك الحالة فى بيته لم يخرج منه فانظر الى بطلان قول أهل المعانى يؤتى بصيغة الماضى فى محل المستقبل لتحقق وقوعه بل هو واقع وصيغته مطابقة لمعناه والله المستعان (وقال رضى الله عنه) أعظم البلايا والرزايا والامتحانات واقعات على الانبياء والاولياء من عباد الله تعالى وذلك لان كل اسم من أسماء الله تعالى له تأثير فى خلقه فكل واحد يطلب حظه فحظ المنتقم والضار والجبار منهم فى الدنيا والخير كل الخير لهم فى ذلك فانه لا يبقى بينهم وبين النعيم المقيم سوى الموت وبقدر المشاق تكون لذة الراحة سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه يا رب لم تعطى الدنيا الكفار والمجرمين وتزويها عن عبادك الصالحين فكشف له عن حالة من ابتلاه الله فى الدنيا من المؤمنين فلما رآه وما هو فيه من النعيم قال لا يضره اذا ما ابتلى به فى الدنيا ولو سحب على منخره من أول حياته الى آخرها وكشف له أيضا عمن أنعم عليه فى الدنيا من المجرمين فلما رآه وما هو فيه من العذاب قال لا شىء ما كان فيه ولو ملك جميع الدنيا وما فيها ولا

شك أن كل ما فقد ولو كان أعلى وأغلى وأعز ما فى الوهم فهو كلا شىء قال الشاعر

كأن الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ✱ ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا

وقال آخر

إن التجار اذا عادوا وقد ربحوا ✱ أنساهم الربح ما عناهم السفر

هذا من غير نظر الى أن جميع ما فى الدنيا الفانية لا يعدل ما يكون لادنى أهل الجنة الباقية فان الدنيا تتصور يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء وتسأل الله أن يجعلها لادنى أهل الجنة فيقول لا يا لا شىء أى أنت أهون أن تكونى لاحد من أوليائى هذا وفى طى ابتلاء المؤمنين حكم قال تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ألا ترى أن الصحابة فى أحد وقع عليهم ما وقع ليبتليهم قال تعالى ثم صرفكم عنهم ليبتليكم يعنى الهزيمة وأى ابتلاء أعظم من هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وهم المحقون وعدوهم المبطلون ويريدون إعلاء كلمة الله تعالى ثم حصل عليهم ما حصل قال تعالى وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم لان الفتنة هى الاختبار يقال فتنت الذهب أى ألقيته فى النار ليختبر ويظهر هل هو ذهب أولا وهل هو جيد أو ردىء ولذا قال منهم قائل لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا وقال البوصيرى فى الدرر المضية فى مدح خير البرية

لو مس النضار هون من النـ ✱ ـار لما اختير للنضار الصلاء

فاذا عرفت وأمعنت فكرك فيما سنح هان عليك جميع مصائب الدنيا وتعلم أن فى طيها مع الصبر عليها كل الخيرات ونيل الدرجات وكفى لك أسوة

بصاحب

بصاحب المعجزات والكرامات عليه وعلى آله أفضل السلام وأزكى التحيات لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد (وقال رضى الله عنه) قال تعالى يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد معناه فى الظاهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا فى نعالكم وفى الباطن زينة الانسان فى صلاته حضور قلبه واخلاص عمله ومعنى الاخلاص أن تكون صلاته تلك خالصة لله تعالى كما يستحق كماله وجلاله لا لطمع فى شىء ولا النجاة من شىء وانما يسأل الله الجنة لكونها محل رضاه ويتعوذ من النار لكونها محل سخطه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن كالاجير السوء ان أعطى عمل وان لم يعط لم يعمل ولا تكن كالعبد السوء ان خاف عمل وان لم يخف لم يعمل هذا فان بلغ العبد الى هذه الرتبة فقد أخذ زينته والزينة هى مقامه فى محل العبودية من جميع الوجوه واستؤذن رضى الله عنه من بعض من ينتسب اليه فى أن يقرأ فى كتاب من الكتب المؤلفات فأعرض عن الجواب ثم قال استأذن فيما سلف رجل شيخه فى أن يدرس كتابا من المؤلفات فقال له على اختيارك ما ظهر لك عملت به وهذا التلميذ المستأذن رجل غريب فدرس فى مسجد تلك البلدة التى هو فيها فلما سمع شيخه بذلك قال له يا رجل انك ما زلت مطاوعا نفسك لم تقنع بشهرتك ورياستك فى بلدك حتى أردتهما فى غربتك يعنى ان وضع التدريس كما يفعل الآن للشيطان والنفس فيه مجال تصعب السلامة منهما الان بسبب ذلك يظهر ويشتهر والظهور يقصم الظهور والظهور نقمة والنفس تهواه والخمول نعمة والنفس تأباه ولكن الذى كان عليه الصحابة وأهل الله

من بعدهم أنهم لا يفتون الا عند الحادثة حتى ان عمر رضى الله عنه كان اذا استفتى عن شئ يقول أوقع ذلك فان قالوا لا قال لا تسألوا حتى يقع واذا وقع فتح الله فيه وروى ذلك أيضا عن مالك رحمه الله تعالى وفى حديث ما معناه ملعون من سأل عن شئ لم يكن وأما ما حدث من نصب المدارس لتدريس الكتب المؤلفات فهو الى النفس والهوى أقرب ولا يخلو من ذلك الا القليل واتباع الهوى مذموم حتى فى العبادة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ذات ليلة بأبى بكر رضى الله عنه وهو يخافت فى صلاته ثم مر بعمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو يجهر فى صلاته ثم مر ببلال وهو يقرأ من القرآن آيات من سور مختلفات فلما كان الغداة سأل أبا بكر عن مخافتته يعنى انه يريد أن يستفهمه عن قصده لأن كل واحد منهم له فى فعله ذلك قصد ونية فقال قد أسمعت من ناجيت فقال ارفع صوتك قليلا ثم سأل عمر فقال لأرضى الرحمن وأطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فقال اخفض صوتك قليلا ثم سأل بلالا فقال أخلط الطيب بالطيب فقال لا فاذا شرعت فى سورة فأتمها فمقاصدهم رضى الله عنهم كلها حسنة ولكن أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجهم عن أهواء نفوسهم ويمكنهم من حظهم من حب الله تعالى فى اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم انما كان يقف لاصحابه ليعظهم ويذكرهم بالله ويعرفهم به لأنه يعلمهم أحكاما لم تقع فيها الحادثة ولم يحتج الى الحكم فيها حالا والصحابة رضى الله عنهم كانوا اذا جاء السائل يسأل يوردون له الكتاب والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان رجلا سأل ابن عمر رضى الله عنهما عن القنفذ فقرأ له قوله تعالى قل

لا أجد فيما أوحى الى محرما الى آخر الآية فلما لم تنص هذه الآية على تحريمه أحله فلما سكت قال له رجل انى سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن القنفذ قال هو خبيث من الخبائث فقال ابن عمر إن كان أبو هريرة حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ذاك فانظر الى حال الصحابة الذين هم قطب رحى هذا الدين ثم انظر ما أجهل من أفتى بكلام رجل من السلف وجده فى هامش كتاب لم يعرف كيف سنده ولا وجه اتصاله بقائله وربما كان مخالفا لما جاء به كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا ناقضته بالحديث عن رسول الله يقول لو صح هذا لاطلع عليه امامى فما أعظم هذه الرزية التى عمت نسألك اللهم عافيتك ثم يميل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح الذى اجتهد فيه السلف الصالح من الائمة حتى ضبطوه وأتقنوه وأوصلوه من ثقة عن ثقة الى النبى صلى الله عليه وسلم (وقال رضى الله عنه) فى قول الله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال ليس المراد بيوتهم وديارهم بل المراد المعاصى أى عصيتم بما عصوا به وقد عرفتم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فان لكل قوم نبى عصيانا غير عصيان من سواهم فذلك الخطاب يتناول كل عاص على تنوع العصيان فالذى يلوط قد تبين له فى القرآن كيف فعل الله بقوم لوط فهو سكن فى مساكنهم والذى يخسر الميزان قد تبين له كيف فعل الله بقوم شعيب وسكن فى مساكنهم وكذلك سائر المعاصى ما من معصية الا وقد عصى الله بها قوم وعوقبوا عليها بعقاب مخصوص فما أجهل من عصى الله تعالى وما أشده عداوة لنفسه وقد أخبره الله تعالى فى كتابه العزيز على

لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجرى للقوم الذين عصوا الله من خسف أو صيحة أو رمى بحجارة اللهم اعصمنا حتى لانعصيك واكفنا حتى لانرجوسواك (وقال رضى الله عنه) أرسل الله سبحانه رسله كل رسول بمعجزة غير معجزة غيره من الرسل كذلك أولياؤه لا يتفق اثنان فى طريقة واحدة فقدرة الله تعالى وصنعته أبدعت كل شىء فكل فرد من مخلوقاته بديع فى خلقته ولونه ولسانه وطباعه فكل انسان لم يتقدم عليه مثله من جميع الوجوه ولم يتأخر عنه أحد كذلك وان تشابه اثنان فى جزء اختلفا فى جميع الاجزاء الباقية وكذلك غير الانسان من الحيوانات والجمادات وغيرها فان كل فرد مغاير لغيره حتى الشعرات فكل فرد من مخلوقاته تعالى ليس كمثله شىء قيل لبعض العلماء وهو أبو يزيد رضى الله عنه بم عرفت الله فقال بوحدانيتى عرفت وحدانيته فهو ليس كمثله شىء فسبحان المبدع لااله الا هو فاذا علمت أنه لايفيد المريد تطلبه لمراده فى كتاب من الكتب المؤلفات فلابد من الشيخ والاخذ عنه لانه متفرد بطريقة لم يتقدمه أحد بها ولم يتأخر عنه أحد فبحضوره بين يدى شيخه تحصل له البركة فيفتح الله عليه بفتوح مبتدع غير فتوح شيخه وغير فتوح من تقدمه ومن يتأخر لان خزائن الله ملأى لاتنقص وعطاياه لاتحصى ولاتنحصر ولاتقاس بمقياس ولذا قالوا طرائق القوم عدد أنفاس الخلق وكذلك الانبياء والرسل فان لكل واحد منهم دينا غير دين الآخر وشريعة جديدة وشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخت جميع الشرائع ومن بقى على دين من قبله من الانبياء ولم يؤمن به فهو كافر فاذا عرفت هذا الباب علمت أنه لابد من شيخ تأخذ عنه والا كان خطؤك أكثر من صوابك والله المستعان (وقال

رضى الله عنه) الدليل على أن بسم الله الرحمن الرحيم آية من كل سورة اتفاق الامة على أن الصحابة لم يكتبوا فى مصاحفهم غير القرآن ولم يوجد مصحف من مصاحفهم الا وفيه بسم الله الرحمن الرحيم فى أول كل سورة سوى براءة وهذا الاجماع بعد حديث عبد الله بن مغفل فاجماع المصاحف على كتبها مع اتفاق الامة أن الصحابة لم يكتبوا الا القرآن والاثبات مقدم على النفى كما يعتبره المحدثون دليل على ماقلنا وأى دليل أعظم من هذا كما ترى وغيره لما سمع ولده فى الصلاة قال بسم الله الرحمن الرحيم قال يابنى لاتكن أول من أحدث فى الاسلام فانى صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فلم أسمعهم يقولونها وقال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم فقال بعض الصحابة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه انما هى ست آيات يعنون الفاتحة فقال البسملة احدى آياتها (وقال رضى الله عنه) دعا الله عبيده الى ضيافته بلسان خليله ابراهيم وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فان الملك اذا دعا عزيزا عنده لضيافته أرسل اليه أكرم عبيده وأعزهم عنده فقال تعالى جل جلاله وتقدست أسماؤه يأمر خليله صلى الله عليه وسلم وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وقال تعالى على لسان نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فما أعظم هذا التشريف الذى شرف الله به هذه الامة أن بعث اليهم لضيافته رسولين هما أفضل الخلق فقال بعض أصحابه فالذى يجاور بمكة من الحجاج بعد أن يحج هل هو باق فى الضيافة أم لا فقال باق فى ضيافة مولاه فقال بعض أصحابه فاذا طعمتم فانتشروا (فأجاب) على البديهة بأن قال الضيافة ثلاثة أيام وأيام كل أحد

على قدره وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون فان بقى الرجل فى مكة مدة عمره أوفاه الله كمال ضيافته فى قبره وفى الجنة فرقصت الالباب مما وجدت من السرور عند سماع هذا الجواب على البديهة ثم قال رضى الله عنه وأعظم فوائد هذه الدعوة هو اجتماع المسلمين بعرفات ومزدلفة ومنى ومكة وفيهم الاولياء والصالحون فيشفع بعضهم لبعض ويهب الله مسيئهم لمحسنهم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم والاجتماع رحمة والفرقة عذاب قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون مع أن هذه الآية فى الكفار وهم لم يستغفروا وانما استغفار النبى صلى الله عليه وسلم لهم منه رائحة اتحاد الحقيقة فبها لم يعذبهم الله فى الدنيا وقال تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما فسلم الكافرون من العذاب بمجرد اجتماعهم بالمؤمنين فحال الاجتماع بالصالحين حالة سلامة ونجاة لان الله ينظر اليهم فيسكن غضبه (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فلا يعذب سبحانه وتعالى أحدا حتى يبعث اليه رسولا فان الذاهبة عقولهم والصبيان (١) ويأجوج ومأجوج لم يبعث الله اليهم رسولا ولكنه فى يوم القيامة يبعث اليهم رسولا وهم بمعزل من الناس والنار تأجج ولها زفير عظيم فيقول لهم انكم لم تعلموا بما جاءت به الرسل فكل واحد يعتذر بما كان فيه فيقول الذاهب عقله فى الدنيا انى كنت لا أعقل

(١) قوله ويأجوج ومأجوج هكذا فى الاصل والمشهور أن دعوته صلى الله عليه وسلم شملت يأجوج ومأجوج وليحرر اه مصححه

ولو

ولو عقلت لآمنت بما جاءت به الرسل وعملت بأوامرهم ونواهيهم فيقول أنا رسولكم من عند الله ان أمرتكم بأمر تطيعونى فيقولون نعم فيأمرهم بأن يلقوا أنفسهم فى النار فمن كانت سابقته سابقة السعادة وفى علم الله أنه لو كان عاقلا فى الدنيا لآمن ألقى نفسه فى النار فيجدها بردا وسلاما ومن سبقت له سابقة الشقاوة وفى علم الله أنه لو كان عاقلا فى الدنيا لما آمن لم يمكنه القاء نفسه فى النار أبدا حتى انه ربما يهم أن يلقى نفسه مرارا فلا يمكنه وكذلك الصبيان وكذلك يأجوج ومأجوج ففى الحديث أنه لما مات طفل قالت عائشة رضى الله عنها عصفور من عصافير الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه المتألية على الله وما يدريك فان الله خلق للجنة خلقا وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار خلقا وهم فى أصلاب آبائهم (وسئل رضى الله عنه) عن قول الله تعالى فى الحديث القدسى الذى آخره ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه فان النبى صلى الله عليه وسلم خير الخلق أجمعين والله يذكره اذا ذكره فى ملا خير من ملئه فما هو الملأ الذى يذكره الله فيه وهو خير من ملئه صلى الله عليه وسلم مع أنه خير خلق الله أجمعين (فأجاب) بأن الملأ الذى يذكره الله تعالى فيه هو ملؤه صلى الله عليه وسلم نفسه ولكن لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الترقى فما ذكر الله تعالى الا وارتقى الى رتبة أعلى من الاولى فيذكره الله فى ملئه ذلك بعد ترقيه فيكون ذكر الله تعالى فى ملا خير من الملا الذى ذكر الله تعالى فيه لانه قد ترقى الى رتبة أعلى من الرتبة الاولى فالملأ واحد وباعتبار ترقيه متفاضل ولم يزل فى ترق الى ما لا نهاية له وأصحابه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم أجمعين كذلك فى ترق بعده صلى الله عليه وسلم (وقال

رضى الله عنه) قال الله تعالى قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فضل الله ورحمته هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين أى من جن وانس وشجر ومدر وحيوان فما من شئ الا وهو مستمد من نوره صلى الله عليه وسلم وله اليه وجهة وقال تعالى هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين الى قوله والله ذو الفضل العظيم فرحمة الله وفضله هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء أخذ الله تعالى منهم ميثاقهم أن يؤمنوا به وينصروه كما قال جل وعلا واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين وذلك رحمة بهم ليؤبروا ويخل ايمانهم به صلى الله عليه وسلم فامتثلوا أمر ربهم ونصروه بأن بشر كل نبى قومه به صلى الله عليه وسلم فقال عيسى عليه الصلاة والسلام كما حكى عنه الله تعالى واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل الآية فتعريف الانبياء قومهم به صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل هو عين نصرهم له صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ولذا عرفوه كما يعرفون أبناءهم كما قال تعالى يعرفونه كما يعرفون

ابناءهم

أبناءهم وتعريف الانبياء قومهم به صلى الله عليه وسلم هو لاجل أنهم اذا أدركوه عرفوه فآمنوا به وهذا هو النصر ولكن لم يوفق الله الا القليل منهم ثم قوله تعالى واذكر فى الكتاب ابراهيم واذكر فى الكتاب موسى وغيرهما أى أدر أسماءهم على لسانك ففيها رحمة عليهم ولهم الخير الكثير فى مجرد ذكرك لهم فانظر الى هذا النبى الكريم الذى لا تحصى فضائله ولا تعد جل كماله أن يعبر عنه لسان وعز جماله أن يكون مدركا للانسان وتعاظم جلاله أن يخطر فى جنان صلى الله عليه وسلم (وسئل رضى الله عنه) عن قول الله تعالى وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن الى ماذا يعود الضمير فى منه (فأجاب) أنه يعود الى الشأن لان نزول القرآن بحسب شؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعرفة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم مترتبة على معرفة القرآن فمن عرف القرآن حق معرفته عرف قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشؤنه صلى الله عليه وسلم وخلقه القرآن فتارة يكون صلى الله عليه وسلم فى بسط فيباسطه القرآن بآيات البسط وهى الحالة التى قال فيها صلى الله عليه وسلم لى حالة لا يسعنى فيها الا ربى وطورا يكون صلى الله عليه وسلم فى قبض لما يجد من عدم امتثال قومه لاوامره ونواهيه ومخالفتهم له وأذيتهم له فينزل القرآن على حسب شأنه وذلك كقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا وغير ذلك فالقبض والبسط صفتان من صفات الله تعالى فان بسط فلا هرب منه كما أنه ان قبض فلا فرار منه فلا ملجأ من الله الا اليه قال بعض أولياء الله رضى الله عنه يوما لاصحابه هل تعلمون ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كخامة الزرع قالوا لا نعلم قال معناه أن المؤمن اذا

أصابته ريح البسط شكر الله وان أصابته عواصف القبض رضى وكان منزلة القبض عنده كمنزلة البسط كما أن الزرع اذا أصابته شمال سجد واذا أصابته جنوب سجد الى موضع آخر فلا يعتريه من احداهما الا ما يعتريه من الاخرى انما هو يوافق ذات اليمين بسجوده الى جهة الشمال و يوافق ذات الشمال بسجوده الى جهة اليمين قال تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا الآية ومعنى هذه الآية بلسان أهل الحقيقة لا تسجدوا لشمس البسط ولا لقمر القبض واسجدوا لله أى تكون عبادتكم فى كل حال خالصة لله لا معلولة ولا تكونوا كمن اذا أنعم الله عليه أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ولا بالعكس كما قال لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط فمن كان كذلك فوجهته الى الله تعالى فى جميع الحالات من قبض و بسط وغيرهما وهو الاخلاص والاخلاص أن لا يكون العمل الا لله فى قبض و بسط ولا يكون لاجل خوف من النار ولا شوق الى الجنة فان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله والجنة هى مال فمن ألهاه مال الجنة عن ذكر الله فقد نال من الخسران حظه لكنه دون من ألهاه مال الدنيا الفانية لان الله تعالى يقول ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ومن لازم اخلاص العمل التوكل الذى هو الدرجة العظمى ولا ينالها الا من خلصه الله عن جميع الشوائب فان بعض الصالحين قال كل مقام بحمد الله وصلت اليه ومكثت فيه الا هذا التوكل المبارك فما شممت له رائحة ومعنى التوكل ان جميع الحالات التى تصيبه من قبض و بسط ونفع وضر وجميع الحالات التى تعترى الشكل الانسانى بمثابة واحدة لا ينازع الله فى شئ

ولا

ولا تفرحه السراء ولا تزعجه الضراء بل اذا أصابته سراء شكر وان أصابته ضراء صبر ومما يعين على التوكل عدم الركون الى الذين ظلموا قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار أى نار البعد والقطيعة والذين ظلموا هم الذين نقصوا وكل ما سوى الله ناقص وأعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك فان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امتثلوا ما أمرهم الله تعالى به من الجهاد مع ما هم فيه من الضعف والفقر حتى انهم كانوا يأكلون أوراق الشجر فى الغزوات و يتقون الحفا بالرقاع لكنهم توكلوا على الله وامتثلوا ما أمر الله من غير ركون الى أنفسهم نصرهم الله وقمع بهم شوكة الكفر مع ما كان عليه الكفار من القوة والعدد والمدد وأصحاب طالوت لما ركنوا الى أنفسهم واتكلوا على أهوائهم اذ قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فلما بعث لهم ملكا صار منهم ما صار وتولوا الا قليلا منهم ومثل هؤلاء من أنزل الله فيهم قوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية فحقيقة التوكل أن لا يتمنى الانسان شيأ من العبادات أو غيرها لانه ربما يدرك الانسان فى نفسه قوة فيتمنى عبادة أو جهادا فهذا هو الركون الى النفس واذا جاءه من الله أمر امتثله ولو كان يرى أنه عاجز فتوكل على الله تعالى ونهض له متوكلا على الله لا راكنا الى نفسه ولو كان فى غاية الضعف فقد أعطى التوكل على الله حقه وهذا هو الظافر (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون أى انهم

حذروا الموت الذى هو عكس الحياة الدائمة التى قال فيها تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فقوله ان الله لذو فضل على الناس مثل قوله يستبشرون بنعمة من الله وفضل فأرادوا هذه الحياة فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم أى قاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم أى يسمع دعاءكم ويعلم ما فى قلوبكم فان كان طلبكم للقتال لأهواء نفوسكم فالله يعلمه ولا تنصرون وان كنتم مخلصين لله فى ذلك فالله يعلمه وأنتم المنصورون الغالبون وان قتلتم فهى بغيتكم ونحن نحييكم الحياة الدائمة فعلم الله منهم صدق النية فأحسن متقلبهم ومثواهم وأنالهم مشتهاهم وبالعكس قوم طالوت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه انظروا الى هؤلاء يعنى قوم طالوت والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت والفرق بين الفريقين القصد والنية اللهم أحسن نياتنا وعاقبتنا فى الأمور كلها يا أرحم الراحمين وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك آمين (وسئل رضى الله عنه) عن استدلال من منع قراءة المؤتم الفاتحة فى الجهرية خلف الامام بقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (فأجاب) ليس ذلك بدليل لهم والجواب على من استدل به أوضح من الشمس وذلك أن الله تعالى يقول وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهو صلى الله عليه وسلم قال صلوا كما رأيتمونى أصلى وثبت فى الأحاديث الصحيحة التى ليست بمعارضة ولا منسوخة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسكت بعد تكبيرة الاحرام سكتة طويلة ومثلها بعد تمام الفاتحة ويقف على رؤس الآى فالمؤتم مخير فى أن يقرأ الفاتحة إما فى السكتة الاولى وإما

فى

فى السكتة الثانية أو كلما وقف الامام عند رؤس الآى فان فعل كذلك فقد فعل ما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لا صلاة الا بأم القرآن وقوله كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج ثلاثا أى ان لم يأت فيها بأم القرآن واستمع قراءة الامام وأنصت لها فى حال قراءته ولم ينازعه بالقراءة فان لم يسكت الامام فى هذه المواضع فهو الذى فرط وأما المؤتم فلا تسقط عنه قراءة الفاتحة لانه مأمور بالاتيان بها والامام هو الذى ألجأه واضطره الى أن ينازعه بالقراءة فالتفريط من الامام اذا لم يسكت فى المواضع التى كان يسكت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والله المستعان (وسئل رضى الله عنه) عن الاوقاف التى وقفها الواقفون على أئمة الصلاة والمقيمين مع أن الاجرة محرمة عليهما لان أجر الصلاة على الله تعالى قال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا ونحن مأمورون باتباعه صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لمسجدك مقيما لا يتخذ عليه أجرا (فأجاب) أنه ينبغى للامام والمقيم اذا صرف اليهما شئ من هذه الاوقاف أن يتورعا عن الاكل منها فيأخذان ما صرف فيهما ثم يصرفانه على مستحقيه ظاهرا ان لم يخشيا على نفسهما الرياء أو باطنا ان خشياه والصارف الذى هو المتولى على تلك الاوقاف يصرفها فيهما امتثالا لأمر واقفه الا أن يظهر له أنه لولا هذه الاجرة ما صلى الامام ولا أقام المقيم فلا يجوز له الصرف فيهما وان خالف أمر الواقف ولا ينبغى له أن يفتش عن ذلك ولا يبحث عن قصدهما بل يحملهما على الظاهر والظاهر فى حقهما أن أخذهما لها ليس فى مقابلة الصلاة وانما أخذهما لها لكونه وقف الواقف عليهما كأن يقف الواقف على رجل وقفا وليس هو بامام ولا مقيم فهو يأخذها امتثالا لامر الواقف لانه وقفها

عليه فالظاهر من قصدهما هذا ولا يبحث عن غيره وبالله التوفيق (وسئل رضى الله عنه) عما اذا وجد الانسان فى ثوبه منيا وتيقن أنه احتلم ولكنه ما عرف فى أىّ نومة هو (فأجاب) انه يحمله على آخر نومة نامها ولا يعيد من الصلوات الا ما بعدها بعد أن يغتسل فان مثل هذا اتفق لعمر رضى الله عنه وهو أنه صلى بالناس صلاة الصبح ثم خرج الى (١) بلادله فرأى فى ثوبه منيا تيقن منه أنه احتلم فاغتسل ثم أعاد صلاة الصبح فقط ولم يأمر أحدا ممن صلى معه أن يعيدها فعلم انه حمل ذلك الاحتلام على آخر نومة وحسبنا الله ونعم الوكيل (وسئل رضى الله عنه) عن الحديث الذى سماه أهل المصطلح مقلوبا (فاجاب) ان ذلك غلط وليس بمقلوب وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه ففهم الناس أن البعير اذا برك قدّم يديه فاذا وضع الانسان يديه قبل ركبتيه فقد تشبه بالبعير الذى نهى عنه صلى الله عليه وسلم فألجأهم هذا الفهم الى أن يقولوا مقلوب وانه انقلب على الراوى والا فآخر الحديث وليضع يديه قبل ركبتيه وهذا غلط فاحش نسخوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بهواهم وليس الى العلم فيه سبيل والحديث تفسيره ظاهر فان قوله صلى الله عليه وسلم اذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير والبعير يبرك على ركبتيه وان كانتا فى يديه لان ركبتى البعير فى يديه وركبتى الانسان فى رجليه ولذا أتى بالعطف التفسيرى بقوله وليضع يديه قبل ركبتيه ليزيل الوهم الذى وقعوا فيه فاذا قدّم الانسان وضع ركبتيه

(١) قوله بلاده كذا فى الاصل وحرر اه كتبه مصححه

على

على يديه فقد تشبه بالبعير فى كونه يبرك على ركبتيه من غير نظر الى كونهما فى يديه وركبتا الانسان فى رجليه وركبتا الجمل لغة وعرفا فى يديه وأما ما رواه وائل بن حجر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه فاذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه (١) فذلك فهم الصحابى وفهم الصحابى ربما يخطئ لانه ليس بمعصوم فلا يقابل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم والله الهادى الى الصواب (ومما أورده رضى الله عنه من الاحاديث) * الحديث الاول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يحبهم ربك رجل سكن بيتا خربا ورجل نزل فى محل السيل ورجل أرسل دابته وجعل يقول يارب احبسها يارب احبسها * الثانى ثلاث من فعلهن فقد استكمل الايمان بذل السلامة للعامة والانصاف من نفسك والانفاق من الاقتار * الثالث من حضر إملاك امرئ مسلم فكأنما صام يوما فى سبيل الله اليوم بسبعمائة يوم ومن حضر جنازة امرئ مسلم فكأنما صام يوما فى سبيل الله اليوم بسبعمائة يوم ومن حضر ختان امرئ مسلم فكأنما صام يوما فى سبيل الله اليوم بسبعمائة يوم * الرابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قليل ثم يظهر الجور وما ظهر شئ من الجور الا ذهب مثله من العدل حتى يولد ناس فى الجور لا يعرفون غيره ثم يأتى الله بالعدل كلما ظهر شئ من العدل ذهب مثله من الجور حتى يولد ناس فى العدل لا يعرفون غيره * الخامس قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو قابض على

(١) قوله فذلك فهم الصحابى الخ هكذا فى الاصل وانظره مع تعبير الصحابى بالرؤية اه مصححه

يديه يمينه وشماله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه
أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم ثم أجمل على آخرهم
لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه
أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم ثم أجمل على آخرهم
لا يزاد فيهم ولا ينقص ثم قال صلى الله عليه وسلم فرغ ربكم (وسئل رضى
الله عنه) هل يستنبط من سر ألسنة العرب أنه يجب على كل قارئ
تجويد القرآن وذلك مثل قولهم في لفظ الحلق فان فخمته كان اسما
لمجرى الاكل والشرب من أقصى اللسان وان رققته كان اسما لحلق
الشعر مصدر حلق (فأجاب) أنه لا يجب ذلك فانه موسع فيه أن يقرأه كل
أحد بما يطيقه لسانه والمراد منه العمل به قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به فقوله يتلونه حق تلاوته أي يؤمنون
به لا أن معناه يقيمونه في ألسنتهم (وسئل رضى الله عنه) عن قول من
قال الحمد لله كما يستحقه وأضعاف ما يستحقه كيف تكون مضاعفة
ما يستحقه من الحمد مع أنه لا يحصر (فأجاب) بأنه لا يحصر وما ذلك الا
تفويض الى الله تعالى في ادراك معناه وفي الحديث ما معناه أن العبد اذا
ذكر ذكرا عكن الملائكة ضبطه وحصره فعلوا وان لم أمرهم الله أن
يكتبوه في صحيفة العبد بلفظه ووكلوا حصره وضبطه الى الله تعالى وهو
تعالى يعلم كل شئ بقدر علمه وقدرته وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
مثقال حبة من خردل من أعمال القلب خير من أمثال الجبال الرواسي
من أعمال الجوارح وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الحجاج
أعظم أجرا وأي المصلين أعظم أجرا وأي المزكين أعظم أجرا وأي

المجاهدين

المجاهدين أعظم أجرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله عز
وجل ذكرا (وسئل رضى الله عنه) عن قوله تعالى ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر
الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم
هل المعية بالذات والعلم أو بالعلم فقط (فأجاب) بأن المعية منه سبحانه وتعالى
كما يليق بجلاله وكما يعلمها لنفسه فان العقل لا يهتدي اليها ولو كلف الله
العقول بمعرفتها لحملها ما لا طاقة لها به ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فان
الاعمى الاكمه اذا قال لمبصر صف لي السواد واجتهد لي في وصفه حتى
تخيله لي تخيلا لا يخطئ حقيقته فلا يقدر المبصر أن يزيد على قوله سواد
فيقول الاكمه ما معنى سواد فاذا أراد المبصر أن يزيده تقريبا يقول له
عكس البياض فهل تراه يستفيد الاكمه بهذا الوصف بل لا يعرف الى
ما ذهب اليه وهمه الا الله فتعرف أنه لا تميز له السواد الا اذا خلق الله له
عينين ثم بعد أن يصير مبصرا تقول له هذا السواد فيراه عيانا فاذا عرفت
أيها السائل هذا المثال علمت أن كلنا في ذات الله كمه وفي الحديث كلكم
في ذات الله حمق وأنا أعرفكم طريق النجاة وأنت لابد أن تسئل يوم
القيامة عن ذلك واذا سئلت فلابد من الجواب واذا قلت يارب وكلت الامر
اليك في ذلك وآمنت في ذلك بالغيب لاني لم أقف على كلام منك ولا من
رسولك أن المعية بالذات والعلم أو بالعلم فقط ولا علم لي بشئ الا ما أتى عنك أو
عن رسولك فاذا كان هذا جوابه أتراه يعطب أم ينجو بين يدي العدل الحكيم
واذا قال يارب خشيت أن يضل عبادك اذا أبقيت الآية على ظاهرها
فقلت بالعلم لا بالذات يقول له الحق لا محالة أنا أقول ان القرآن هدى وأنت

تقول مضل ولولا كلامك أنت لضلوا بكلامى فلولا أنك قطرت القرآن الى
اعتقادك لضل الناس وهل أنا قلت فى كتابى العزيز خطابا لرسولى وأنزلنا
اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم أو قلت لبينه للناس فلان فهذا
عاطب هنالك قامت عليه الحجة كالشمس الا أن يتجاوز الله عنه اللهم ألهمنا
رشدنا حتى لا نتكلم الا فيما يعنينا يا أرحم الراحمين والفار من قوله بالذات
وقع فى حفرة أعظم مما فر منه لانه أراد أن ينزه الحق تعالى عن قوله بالذات
والذى ألجأه الى هذا الفرار أنه قاس على الذوات المعروفة بالعيان ومن
شرط القياس المماثلة والله ليس كمثله شئ فانه لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ
الواصفون صفاته فان موسى عليه الصلاة والسلام رآه ولم ير الا النار
هنالك مع أنه بعد ترقيه عليه الصلاة والسلام فى أعلى درجات نبوته
ونيله لمرتبة الرسالة وهلاك عدوه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى
وذلك لانه سأل الله أن ينظر اليه فى كنه جلاله وجماله الذى لا يكون من
المخلوقات شئ له قابلية تقدر على أن يتجلى لها به وأما بقدر قابليته عليه
الصلاة والسلام فقد تجلى له فى النار قال تعالى فلما جاءها نودى أن بورك
من فى النار ومن حولها ثم فى تكليمه تعالى له لما أدرك فى كل عضو منه وكل
شعرة وكل جارحة منه تلذذا لا يضبطه قياس ولا يعرفه الا من ذاقه قال
يارب أهكذا كلامك قال انما أكلمك بقوة عشرة آلاف لسان ولى قوة
الالسن كلها وأقوى من ذلك ولو كلمتك بكنه كلامى لم تكن شيأ هذا
فى السماع من وراء الحجاب فكيف الرؤية ثم تجلى تعالى للجبل وجعله دكا
وخر موسى صعقا وانما تجلى له كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه
وسلم بقدر ثلث الخنصر من جميع الذات فانظر الى بطلان كلام من فكر

بعقله فقال بالعلم لا بالذات أتضبط ذات من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ
الواصفون صفاته بعقل بل ما يكون من نجوى ثلاثة (من جميع الخلق
صامت وناطق وجامد ومائع وساكن ومتحرك لان كل شئ له مع الله مناجاة
لان الصلاة مناجاة بين العبد وربه وقال تعالى ألم تر أن الله يسبح له من فى
السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما
كانوا مع أن كل شئ مشتمل عليه زمان ومكان وهو تعالى كما كان لا يشتمل
عليه زمان ولا مكان فى حال كونه تعالى على العرش استوى فى حال كونه
تعالى سمع عبده الذى يحبه وبصره ويده الى آخر الحديث من غير مزج ولا
كيفية ولا يرجع العبد ربا ولا الرب عبدا بل كيف يشاء وأين يشاء كما
يعلمه لنفسه ونقول آمنا بالله على مراد الله ووكلنا كل الامور اليه ونقول
ما قالت الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام لا علم لنا الا ما علمتنا انك
أنت العليم الحكيم (وسئل رضى الله عنه) ما معنى الاعتبار قال هو
المجاوزة يقال عبرت الوادى بمعنى جاوزته وعبرت الرؤيا أى جاوزتها الى
المعنى المقصود منها وقوله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار أى جاوزوا ما
أبصرتم من الآيات الذاتية والآفاقية وما سمعتم من الايات القرآنية الى
غيرها وهو الله تعالى فكل ما فى الوجود يدل عليه سبحانه وتعالى وهو معنى
قول القائل والله ما رأيت شيأ الا رأيت الله معه والاخر قال الا رأيت الله
قبله أى استدل بالله تعالى على مخلوقاته فهذا الاخير أعلى درجة لان الله
تعالى عند من عرفه حق معرفته لا يستدل عليه بل هو الدليل على وجود
مخلوقاته سبحانه وتعالى اللهم عرفنا اياك حق المعرفة يا أرحم الراحمين

يا أقدر القادرين انك تفعل ما تشاء وأنت أكرم الاكرمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين (وسئل رضى الله عنه) ما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع لو استقبلت من أمرى ما استدبرت منه لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة (فأجاب) بأنه صلى الله عليه وسلم ساق الهدى فنزل عليه الوحى بأن يحج قارنا فتبع الحق مراده كما تبع الحق مراده ومراد أصحابه فى أسرى بدر لما قبلوا منهم الفديه فعاتبهم الله تعالى بعتاب لطيف حيث قال ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ثم اتبع الحق مرادهم بان قال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فأحل تعالى لهم الغنيمة اتباعا لمرادهم مع أنها كانت محرمة على من قبلهم وكانت تنزل نار من السماء تأكل الغنائم وهذه معاملة الحبيب لحبيبه تعود الجمرة تمرة فالنبى صلى الله عليه وسلم لو لم يسق الهدى لما أوحى اليه أن يحج قارنا وهو قوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من أمرى ما استدبرت منه لم أسق الهدى ولجعلتها عمرة ومن هذا الباب يدور الحق حيث دار عمر والله ورسوله أعلم (وقال رضى الله عنه) لما سئل عن معنى قول الله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى أعطى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به ثلاثة علوم علم أمره بتبليغه وعلم أمره بكتمانه وعلم خيره فيه فالذى أمره بتبليغه هو علم الشريعة ومن قام بها حق القيام من غير تبديل ولا تغيير بل سلك الطريق التى نهجها له الكتاب والسنة بحسن نية واخلاص تولى الله سبحانه وتعالى تعليمه العلمين الآخرين وهو معنى قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقوله

تعالى

تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وذلك لان هذه الشريعة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام هى أصل كل سعادة ومنها تتفرع الخيرات وتنمو البركات وهى الحبل الممدود من السماء الى الارض فمن حفظ هذا العلم الظاهر حق حفظه حتى عمل بمقتضاه علمه الله أسراره وأسرار هما العلمان الآخران لان القرآن جامع لثلاثة علوم فمن فتح الله بصيرته اطلع على أسراره ولا يكون ذلك الا بالقيام بحق ظاهره من جميع الوجوه رزقنا الله ذلك وبلغنا ما هنالك آمين يارب العالمين (وقال رضى الله عنه) من علت همته فى طاعة الله تعالى ورسخ قدمه فيها قصد معالى الامور فى الافعال والاقوال وقصد فى معانى ما علمه الله تعالى من النطق ما علا وما ينتهى الى ذلك الا أنظار من نور الله تعالى بصائرهم واذا أردت أن يسلك بك هذا المنهاج فأنا أشير اليه بتفسير قولك الحمد لله فمعناه أن الله هو الذى حمد نفسه بلسان عبده وتفضل سبحانه على عبده بأن أجرى حمده على لسانه فاذا قصد العبد هذا المعنى فمن أين يبقى للعجب أو للرياء مدخل ثم اذا تقرب العبد من ربه جل وعلا حتى صار الحق سمعه وبصره ولسانه فهنالك الدرجة العليا والمرتبة العظمى فيصير معنى قول من كانت هذه صفته الحمد لله حمدا لله تعالى نفسه بنفسه ومحيت عنه ظلمة البشرية بأنوار الاحدية فيصير جميع تصرفاته تصرفات الحق تعالى وهو معنى الغفر أى تغفر البشرية بمعنى تغطى لان غفر الشئ تغطيته ومنه المغفر وهو الذى يغطى به الرأس فاذا قال رب اغفر لى فمعناه غط بشريتى وامحها بأنوارك وهذا مسلك هذا اللسان ومشرب أهله قد علم كل أناس مشربهم وحسبنا الله ونعم الوكيل (وقال رضى الله عنه) للقرآن بطن وظهر

وحدّ ومطلع فبطنه يعلمه الخواص وظهره علم الشريعة والحدّ هو
معنى كونه جامعا لمعرفة الله تعالى وضابطا لها والمطلع لا يعلمه الا الله تعالى
ويعلمه لمن يشاء وهو كونه فى كل كلمة منه كل شئ وفى كل حرف منه
جميع الحروف وذلك كالعالم الانسانى جميعه من أوله الى آخره جميع
مافيه فى انسان واحد فان قولك هو حرف واحد وانما أتى بالواو عند اشباع
الضمة ليمكن النطق بها فهو حرف واحد وهو اسم الذى أوجد جميع
الكون من العدم سبحانه وتعالى ولهذا كان أنين المريض توحيدا لانه أتى
بالهاء فى قوله آه وانما أتى بالهمزة قبلها ليمكن النطق بالهاء ومايعلم تأويله
الا الله (وقال رضى الله عنه) كلما قرب العبد من الحق تعالى زاد ذلاله
فانه اذا صار الحق سمعه وبصره الى آخره قوى أثر العبودية فى الضمير
المتصل بالبصر فى قوله كنت بصره وكلما تذلل قوى اتصاله (ولما سئل
رضى الله عنه) عن القدر وقد تقدم الخوض فيه فى أثناء هذه الكراريس
ولكن هذا تتمة له ضرب مثلا فى مجرد قصته فقال كان بعض الملوك يقرّب
أحد وزرائه فحسده الآخرون فأراد أن يظهر وجه حبه له وتقريبه
فبعث بجوهرة ثمينة لا توجد الا فى خزائن الملوك الى كل واحد من الوزراء
وأمر كل واحد منهم أن يدقها دقا ناعما فكل واحد منهم فكر فى نفسه وقال
ما أراد الملك بهذا الاختبارى فيصحب معها هدية ثم يرجعها الى الملك ويقول
له ياسيدى هذه الجوهرة عظيمة القدر وقد أمرت أن أدقها فلم أستحسن
ذلك لان اتلافها محض اسراف واضاعة مال وليس فى دقها فائدة فيقول
الملك أحسنت فبعث بجوهرة الى ذلك الوزير المقرب وأمره بدقها فبمجرد
ماوصلت اليه أمر بالمهراس ثم دقها دقا ناعما وجعلها فى قرطاس ودخل

على

على الملك فناوله القرطاس فقال ماهذا قال هذه الجوهرة الذى أمرتنى
بدقها قال كيف هذا أتلفتها وقد علمت ماهى عليه من النفاسة وتعلم مقدار
ثمنها فلم يحتج عليه فيقول أنت الذى أمرتنى بل قال قد أخطأت ولكن العفو
فنسب الخطأ الى نفسه فازداد قربا لديه (وقال رضى الله عنه) من لم يشرب
من مشرب أهل الله تعالى فهو غبى عن حالهم فأولى له السكوت عنهم وان
لم يقبل كلامهم عقله فان بعضهم لما سمع قول الله تعالى ان بطش ربك
لشديد نزل به حال فقال بطشى أشد ففى الظاهر أن هذه الكلمة بشعة
وليست كذلك فان معناها مستقيم وهو أن الله سبحانه وتعالى اذا بطش
لم يفرغ فى بطشه ذلك جميع مايقدر عليه من القوة والبطش لانه ليس
لذلك حد بخلاف الانسان اذا غضب وأراد أن يبطش أفرغ جميع مايقدر
عليه من القوة والقدرة وهذا معنى مستقيم لاشئ فيه من الغلو وقال
بعضهم الله لا يعلم الغيب فظاهره فيه بشاعة وليس كذلك بل معناه انه
ليس عند الله غيب حتى يعلمه بل الغيب عنده مشهود وانما يعلم الغيب
باعتبار ماعند العبد وهذا المعنى لا غبار عليه والله الهادى الى الصواب ومن
ظن فيهم ظن السوء وكذبهم فقد دخل فى معنى قوله تعالى بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه لانه لا سبيل الى الاحاطة بما يكنه باطن الانسان بل لا يحيط
بما يشتمله ظاهره فاعتقد تغنم أوسلم تسلم وفائدة الاعتقاد لا تحصل فى
الانتقاد وأرض المنتقد لا تساوى سماء المعتقد اللهم أعد علينا من
بركات أوليائك واجعلنا من صالحى خير أمة لخير أنبيائك وأصفيائك
آمين يارب العالمين (وقال رضى الله عنه) لما سئل عن قول الله تعالى الحمد لله
الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا

بربهم يعدلون ما السر فى جمع الظلمات وإفراد النور (فأجاب) النور مفرد للفرد
الصمد جل جلاله والظلمات للمتعددين ممن سواه وجميع الآيات التى فى
القرآن المذكور فيها النور والظلمات لا يؤتى فيها بالنور الا مفردا والظلمات
جمع مثل قوله تعالى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من
النور الى الظلمات والتى قبلها الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور وقوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من
الظلمات الى النور وغير ذلك من الآيات (وسئل رضى الله عنه) عن
قول الله تعالى واذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا
واشهد بأننا مسلمون ما حقيقة هذا الوحى (فأجاب) بأن هذا الوحى بواسطة
نبيهم مثل قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وهو لم ينزل اليهم وانما نزل
اليهم بواسطة نبيهم (وسئل رضى الله عنه) عن قول الله تعالى وأوحينا الى
أم موسى مع أنه قال تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم (فأجاب)
أن الوحى الذى أوحى الله تعالى الى أم موسى والى مريم بنت عمران وحى غير
وحى الرسالة لان وحى الرسالة لا ينبغى الا للرجال لان رتبة النساء التأخير
وقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم ليس بحصر للوحى انما هو
حصر للرسالة وكذلك المكالمة فانها ليست للانبياء خاصة فقد تكون
للاولياء وانما مكالمته تعالى للانبياء المرسلين على قدر مقامهم وهو تبليغ
الرسالة ومكالمة الولى فيما هو فيه خاصة ثم ضرب رضى الله عنه مثلا بأن
قال ولله المثل الاعلى ألا ترى أن الملك يكلم سواس الخيل بما هم فيه من
اصلاح أطعمتها وأشربتها وعدتها ويكلم الامير بما هو فيه من ترميم
أحوال المتأمر عليهم والسيرة الحسنة فيهم ويكلم خواصه بالاسرار التى

لا يريد أن يطلع عليها أحد والذى ألجأ من بنى على عدم التكليم الا للرسل أنه
جعل باب المكالمة واحدا ولو اطلع على ذلك لما حكم وقول الله تعالى وكلم
الله موسى تكليما ليس بحصر انما هو تعالى يكلم كل أحد بقدر قابليته فهو
تعالى كلم موسى تكليما كاد يذوب منه ويتلاشى تركيبه من شدة
ما حصل معه قال يا رب أهكذا كلامك فقال انما كلمتك بقوة عشرة آلاف
لسان ولى قوة الالسن كلها ولو كلمتك بكنه كلامى لم تكن شيأ وقابلية
موسى عليه الصلاة والسلام فى ذلك الحين تقوى على ذلك ولم يزل بعد ذلك
مترقيا والنبى صلى الله عليه وسلم قال أوتيت جوامع الكلم فهذا أعلى
مقامات الكلام فى أعلى مراتب القوابل فانها لم تنته قابلية أحد من
المرسلين الى أن تقبل جوامع الكلم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم وأذقنا حلاوة الايمان بما جاء به (وقال رضى الله عنه) فى معنى
الدعاء النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام اللهم حبب الموت الى
من يعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسولك معناه أنه لم يحب الموت الا من
كثر شوقه الى لقاء ربه ولم يرض بالحياة الدنيا ولم يطمئن بها وأما من رضى بها
واطمأن بها فانه لا يحب الموت قال تعالى فى حق أهل الكتاب قل ان كانت
لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وقال تعالى
فى حق المؤمنين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم
تنظرون وأما قول عائشة رضى الله عنها كلنا نكره الموت يا رسول الله
فهو هنا فى حال مخصوص وهو أنه قد يعترى المؤمن خوف من أن يلقى ربه
وهو غير ذاك من جميع الوجوه أو يذكر ذنوبه فيظن أنها لم تغفر فهو يحب

الحياة لا لكونه راضيا ولا مطمئنا بها وانما يحبها لاجل أن يدأب فى الاعمال التى تقربه الى الله وتغفر بها ذنوبه ويترقى فى معالى الاعمال وهو لا يحصل له ذلك الا فى قيد الحياة وحسبنا الله ونعم الوكيل (وقال رضى الله عنه) فى قول الله تعالى فى قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ليس كما قال المفسرون أن الجسد غير سليمان بل هو سليمان نفسه بينما هو فى ملكه نافذا أمره فيمن تحت مملكته اذ سلب عنه السر الذى به انقيادهم وتسخيرهم له فلم يلتفت اليه ولم يطع أمره قال تعالى ثم أناب أى رجع الى ربه لتنبهه الى أنه تبارك وتعالى فتنه بذلك والفتنة هى الاختبار قال الله تعالى ولقد فتنا سليمان وذلك بعد أن قطع رؤس الخيل وسوقها جاءت الفتنة وحين أناب قال رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وقد يظن أنه عليه السلام سأل ربه الملك الذى لا ينبغى لاحد من بعده محبة له وطمعا فيه وليس كذلك ولكن سأل ذلك رحمة وشفقة وتخفيفا لمن بعده لان على الملك لكل واحد ممن تحت وطأته حقا بالغين ما بلغوا فان قلوا فبحسبهم وان كثروا فبحسبهم وصاحب الحق له مقال قال صلى الله عليه وسلم دعه فان لصاحب الحق مقالا وهو المعنى الذى أشار اليه عمر رضى الله عنه حيث قال لاحد أولاده أتحسب أن أباك ملك انما هو عبد للناس أى خادمهم وهو سيدهم لان خادم القوم سيدهم وهنا جاءت مسئلة الدور فكل من الراعى والرعية سيد ومسود وهى العلة التى بها اختار نبينا صلى الله عليه وسلم العبودية حيث خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا لانه لا يريد أن يشغل قلبه بحق لغير الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا (وسئل رضى الله عنه) عن قول الله

تعالى حاكيا عن أخوة يوسف وجئنا ببضاعة مزجاة ما معنى مزجاة (فأجاب) بأن المزجاة القليل ويدل على ذلك ما بعده فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين أى لا تنظر الى ما جئنا به فانه قليل وكذلك قول الله تعالى ألم تر أن الله يزجى سحابا أى ينشئه ضعيفا قليلا ولذا قال تعالى ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما أى يكثره وينميه بعد أن كان ضعيفا قليلا وكذلك مخلوقات الله تعالى كلها أول ما يبرزها جل وعلا الى الوجود فى غاية من الضعف ثم ينميها فان النخلة أول ظهورها من جوف النواة فى غاية من الضعف ثم لا تزال تنمو حتى تصير الى ما ترى من التفرع والكبر كذلك كل مولود وذلك أشد دلالة على القدرة الباهرة سبحانه وتعالى ما أقدره نعم وقولهم فى حلية النبى صلى الله عليه وسلم أزج الحاجبين أى قليل شعر حاجبيه وقلة الشعر فى الحاجبين هى غاية الكمال صلى الله عليه وسلم (وسئل رضى الله عنه) ما معنى الحديث الرؤيا على جناح طائر اذا قصت وقعت وفى لفظ الرؤيا معلقة برجل طائر ما لم يحدث صاحبها فاذا حدث بها وقعت فلا تحدث بها الا صديقا صاحبا أو ناصحا أو حبيبا فما معنى ذلك المراد التعبير فاذا عبرها أحد وقع ذلك التعبير وقد تعبر ولا يقع فى الغالب (فأجاب) بأن معناه بالفعل فان بعض المشايخ رأى كأنه أعطى تلميذا له عمامته ثم قام الى التلميذ فقال له انى قد رأيت كذا وكنت أريد أن أعطيك عمامتى فى اليقظة ولكن أخشى أن يكون ذلك تعبيرها فلا أعطيك اياها ليبقى تعبيرها بيد الله سبحانه وتعالى وكذلك رأى بعض المحدثين أن النبى صلى الله عليه وسلم سقاه لبنا فقام من نومه يتقيأ لينظر صحة الرؤيا فخرم تعبيره اذ لو لم يتقيأه لاعطى من العلم بقدر ذلك اللبن والله أعلم

(وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة وقال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ثم مقت سبحانه على الكفار لما قالوا كذلك فقال حاكيا عنهم وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ وقال تعالى فى الرد عليهم قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين وذلك لانهم قالوا كلمة حق يريدون بها باطلا وليس قولهم ذلك تصديقا وايمانا ولكنهم قالوها احتجاجا بالقدر فكان مقتا عليهم والاحتجاج بالقدر هو الخطر العظيم وكذلك عدم الايمان به والصراط المستقيم فى ذلك لمن أراد أن يسلك أسلم المسالك هو الايمان بالقدر مع عدم الاحتجاج وحسبنا الله ونعم الوكيل (وقال رضى الله عنه) القرآن قد يحتمل العدل ويحتمل الرحمة فى كثير من الآيات كقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومثل ذلك كثير فحمله على معنى الرحمة أولى وأحسن وهو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه لا على ما زعم كثير من الناس أن المراد بذلك تفسيره على أحسن وجوهه فأدى هذا الى أن كل واحد يفسره على قدر ما سنح له من الرأى فأوقع كثيرا فى الغلط وحملهم على التلاعب بمعانى القرآن بالتأويلات الفاسدة وأخرجوه عن معناه الظاهر الذى هو بيان وهدى قال تعالى هذا بيان للناس وهدى فاذا عرفت هذا علمت أن المراد بقوله فاحملوه على أحسن وجوهه أى اعملوا منه

بأحسن وجوهه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث متمما لمكارم الاخلاق فاذا احتملت الآية خلقين أحدهما أحسن من الآخر عمل بالاحسن فالصبر أولى من المعاقبة والتصدق بالقصاص أولى من القصاص وغير ذلك والله الموفق والهادى للصواب (وقال رضى الله عنه) فى معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر معناه أن من قال كذلك صباحا أو مساء فقد صار نائبا عن جميع المخلوقات ناطق وصامت وجامد ومائع ومسلم وكافر فى الحمد فيعود عليه أجر ذلك الحمد عن كل فرد من المخلوقات وهذا شئ لا يعلمه ولا يحصره الا الله سبحانه وتعالى فسبحانه ما أكرمه جل وعلا يجازى بهذا الجزاء الذى لا يعد ولا يحصى على كلمة واحدة ثم انظر بلاغة كلام من لا ينطق عن الهوى الذى أعطى جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم (وقال رضى الله عنه) خلوص العمل هو أن لا يعمل الانسان لاجل شئ فان عمل لاجل دنيا أو لخوف من النار أو لطمع فى الجنة فهو العمل المعلول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكن أحدكم كالاجير السوء ان أعطى عمل وان لم يعط لم يعمل ولا كالعبد السوء ان خاف عمل وان لم يخف لم يعمل فقال بعض الحاضرين ففى الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله ومن جملتهم رجلان تحابا فى الله فاذا أحب انسان انسانا لاجل ذلك أهو معلول قال نعم هو معلول وانما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما ممن يظلهم الله فى ظله جزاء لهما وأما هما فليسا بعالمين حال تحابهما بهذا الجزاء أو عالمين لكنهما لم يتحابا لاجله بل تحابا فى الله اجتمعا على رضاه وافترقا على رضاه من غير نظر الى

شيء فكان ذلك جزاءهما قال الله سبحانه وتعالى ألا لله الدين الخالص اللهم اجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهك الكريم بحرمة القرآن العظيم والنبي الكريم والصحابة أجمعين وعبادك الصالحين (وقال رضي الله عنه) قال الله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون فكل من سوى الله جاهلية فاذا لم يرض العبد بحكم الله تعالى فيه فقد بغى حكم الجاهلية فان المرض مثلا وجميع البلايا التي هي من الله سبحانه وتعالى هي حكم الله في عباده فاذا تلقاها بالرضا والتسليم فقد امتثل لحكم الله تعالى وعلم أن كل ما كان من الله تعالى فهو خير وان كان في الظاهر شرا فلو كشف له الغطاء لاختار ذلك الابتلاء اللهم بارك لنا فيما قدرت لنا ورضنا بقضائك حتى لا نحب تأخير ما عجلت ولا تعجيل ما أخرت يا أرحم الراحمين ومن لم يرض الا بما هويته نفسه فقد بغى حكم الجاهلية ولو اتصل بكل ما هويته نفسه لتغير حاله وفسد حتى لو كشف له ذلك لفر مما هويته نفسه أعظم فرار قال الله تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن (وقال رضي الله عنه) قال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم الاشارة في قوله ولذلك عائدة الى أمة واحدة باعتبار الامر لان الله سبحانه وتعالى أمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي يجتمعوا على عبادتي وهي عائدة الى ولا يزالون مختلفين باعتبار الارادة لان الله سبحانه وتعالى خلق خلقا للنار ولذلك

وقع

وقع الاختلاف بين أهل الجنة وبين أهل النار فريق في الجنة وفريق في السعير (وقال رضي الله عنه) تكبيرة الاحرام للصلاة هو أن ينسى المصلي كل شيء سوى الله ويسبح في الكبرياء والعظمة ثم كلما انتهى الى نهاية في الكبرياء فالله كبرياؤه فوق ذلك ولهذا يجدد التكبير عند الركوع فيقول الله أكبر أي أكبر مما انتهيت اليه في السباحة في كبريائه ثم هكذا الى وسط الصلاة فيتحقق عجزك عن أن تسبح في جدول من بحور كبريائه فتعود ثم تصل الى الخلق في آخر الصلاة فتقول السلام عليكم ورحمة الله لان التسليم لا يكون الا من عائد من سفر فأما الذي هو حاضر فيلتفت على من على يمينه ويقول السلام عليكم وعلى من على يساره ويقول السلام عليكم فهو يعد من الجنون لانه ليس بمشروع في حقه (وقال رضي الله عنه) اذا اطلعت على عصيان عاص فاكره منه ذلك الفعل في تلك الساعة ولا تحمله عليه من بعد لانه ربما يكون ذلك الرجل مغفورا له ولا يضره ذنب فان الصحابة رضي الله عنهم لم تضرهم الذنوب ولا عبادة الاصنام ولا قتل البنات بل هم خير الخلق بعد الانبياء ولهذا قال الله تعالى في كتابه العزيز مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون فأمره تعالى بأن يتبرأ من عملهم لا منهم ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن خالد بن الوليد قتل الذين قالوا صبأنا وهم قاصدون بذلك الشهادة والاسلام قال اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ولم يقل من خالد فهذا الصراط الذي به النجاة ثم ان الله سبحانه وتعالى قال ان الحسنات يذهبن السيآت فينبغي التخلق بأخلاق الله تعالى لا كما هو عادة الناس اذا رأوا رجلا فعل معصية حملوه عليها ورأوه بها مدة حياته نعوذ

بالله من هذه الاخلاق بل اذا مرت ساعة يمكن التوبة فيها فلا تحمله على ذلك الذنب ولا تره به واذا صلى إماما صليت معه ولا تتخلق بعكس أخلاق الله تعالى وتجعل السيآت يذهبن الحسنات اللهم اهدنا لاحسن الاخلاق والاعمال لايهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنا سيئها لايصرف عنا سيئها الا أنت يا أرحم الراحمين (ومما أورد رضى الله عنه) من الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وعنه صلى الله عليه وسلم قال ياعائشة لا تأكلى الطين فان الله خلق آدم من الطين فحرم الطين على ذريته وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات وفى بطنه مثقال حبة خردل من طين كبه الله فى نار جهنم على وجهه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لايغتسل أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من بنى فوق عشرة أذرع ناداه ملك الى أين ياعدو الله ورأى صلى الله عليه وسلم رجلا يصلى وثيابه مسبلة فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة فصلى على ذلك الحال وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة فقال له رجل يارسول الله رأيتك أمرته باعادة الوضوء والصلاة مرتين فقال له صلى الله عليه وسلم انه صلى مسبلا ولا يقبل الله صلاة مسبل وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ائتزروا كما تأتزر الملائكة عند رب العالمين قالوا كيف تأتزر الملائكة عند رب العالمين قال الى أنصاف سوقها وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أرخى سراويله حتى تدخل تحت قدميه فقد عصى الله ورسوله ومن عصى الله ورسوله فله نار جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ياسعد بن زرارة لاتسبل ازارك فان الله لايحب المسبلين وعن عبد الله بن عمر قال رآنى

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وازارى مسبل فقال من هذا قلت عبد الله قال ان كنت عبد الله فارفع ازارك وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا وقع فى رجل وأنت فى ملا فكن للرجل ناصرا وللقوم زاجرا وقم عنهم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من اغتاب مسلما جاء يوم القيامة ولسانه معقود الى قفاه لايحله الا عفو الله أو عفو من اغتابه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الغيبة أشد من ستة وثلاثين زنية فى الاسلام وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من غصب شبرا من الارض طوقه الله يوم القيامة الى سبع أرضين وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أول من تسعر بهم النار ثلاثة عالم وشهيد وغنى وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من شفع شفاعة فأهدى اليه هدية فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله نظيف يحب النظافة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والموقدين عليها السرج وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال نظفوا أفنيتكم فان اليهود لا تنظف أفنيتها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال أيما امرأة تطيبت ثم خرجت فهى زانية ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه وأن يوطأ وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الميت يسمع الأذان والاقامة والسلام من المسلم عليه مالم يطين عليه القبر فلا تطينوا قبور موتاكم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال كسر عظم المؤمن ميتا ككسره حيا (وقال رضى الله عنه) قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء المراد العلماء بالله تعالى لان من علم به تعالى خشيه

ألا ترى أن العالم بالحية ان فيها سما قاتلا يخشاها ويخاف منها والذى لا يعلم كالصبى يميل اليها ويأنس بها ويعجبه ما عليها من النقوش والصفاء فيباشرها بيده ولا يخافها ولا يخشاها لانه لا يعلم ان هناك سما فقول الله سبحانه وتعالى فى ابن أم مكتوم وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فشهادة الله له بالخشية عين شهادته له بالعلم وشهادة الله مستمرة لان علمه تعالى بما سيأتى كعلمه فى الحال فالخشية فى ابن أم مكتوم بشهادة الله تعالى مطابقة ماضيا وحالا واستقبالا ولهذا خلفه النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة فى أكثر غزواته لعلمه بالله تعالى (وسئل رضى الله عنه) عن قول الله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين (فأجاب) بأن الظن يحصل للانسان من قبل نفسه فيصدقه عليه الشيطان ولذا قال تعالى وما كان له عليهم من سلطان أى ابليس لا يجيء للانسان بالوساوس الا بعد أن يؤتى من قبل نفسه فيلقى ابليس المجال وليس أنه لولا ابليس ما عصى الله تعالى فان ابليس عصى من قبل نفسه وليس له شيطان وهو أيضا يخطب على منبر فى النار بما حكى الله تعالى عنه فى القرآن وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى وهذا الظن وقع فيه الناس الا من عصمه الله تعالى ولذا قال تعالى الا فريقا من المؤمنين يعنى لا المؤمنون جميعهم بل فريق نسأل الله العافية والسلامة فانك ترى انك لولا سعيك فى الرزق لما أكلت ولا اكتسبت وهذا ظن اتبعته ورميت اليقين وهو قول الله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة

والانجيل



والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وهذا وان كان فى بنى اسرائيل فهو عام لان القرآن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخلق به هو وأمته وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق أى لهم وما أريد أن يطعمون وقال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم أتى بقوله الله يرزقها باضافة الرزق اليها ثم عطف بقوله وإياكم تشكيتا لابن آدم لو فهم أن الدابة لما لم تحمل رزقها ابتدأناها بالرزق كما قدمناها فى اللفظ بقولنا الله يرزقها وابن آدم لما كان له سعى فى رزقه أخرناه فى الرزق كما أخرنا لفظه بقولنا وإياكم فهذا هو ظن من قبل نفس الانسان فلما ألقى ابليس المجال بهذا الظن صدقه فصار الانسان عازما جازما بأنه لو لم يسع لما رزق أصلا كذلك العلم ظن الانسان من قبل نفسه أن العلم هو ما عليه الناس الآن مكبون كالمنطق والتعمق فى النحو والصرف وعلم الأصول فصدّقه عليهم ابليس وصاروا عازمين جازمين بان ذلك هو العلم لا علم غيره ثم يصدّق الرجل قول الرجل اذا نقله له عن صاحب مذهبه ويعلم أنه صادق لا ريب فيه فيحكم به وهو يعلم علما يقينا أن الشاهد الواحد لا تقبل شهادته حتى ينضم اليه آخر أو امرأتان فيرمى هذا اليقين الذى هو من قبل الله تعالى ثم يعمل بظنه الذى حصل عن اخبار المخبر له بأن صاحب مذهبه قال كذا فيصدّقه عليه ابليس ويرى أن ذلك هو الحق

اذا قالت حذام فصدّقوها * فان القول ما قالت حذام

ثم قد يكون كلام إمامه معارضا لكتاب الله تعالى أو لسنة رسوله الذين جميع الامة متلقية لهما بالقبول عن النقل الصحيح الذى لا يشك فى صحة

نقلهما من له أدنى مسكة بالاسلام فان وجدتأويلا قطر كتاب الله وسنة رسوله الى قول إمامه وان لم يجد تأويلا رماهما وعمل بقول إمامه ويقول لو كان هذا الحديث صحيحا العلمه إمامى فهذا معنى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وإضافة الظن الى ابليس لكونه كان بسببه المجال لا بليس فى كونه صدقه عليهم والافالظن والتصديق منه لكن لما صار التصديق له صار الظن داخلا تحته فانقلب الظن له وصار الظن والتصديق كلاهما له اللهم أعذنا من الشيطان حتى لايكون له علينا سلطان وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالبغيض النافع التلبينة فوالذى نفسى بيده انه ليغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم الوسخ عن وجهه وروى أحمد والبخارى ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن انتهى (وقال رضى الله عنه) ماأعظم غلطة غلطها الزمخشرى فى تفسير قول الله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وماصاحبكم بمجنون فجعل هذا دليل أن جبريل عليه السلام أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أين له دليل فى هذا اللفظ على أنه أفضل منه ولم ينظر فى ليلة الاسراء حين وصل جبريل عليه السلام الى سدرة المنتهى ووقف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتركنى فى هذا الموضع وحدى فقال ومامنا الاله مقام معلوم ولو جاوزت قدر أنملة لاحترقت فهذا محل الاستنباط بأن مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى لانه رقى حتى سمع صريف القلم فى اللوح الى محل لاينتهى اليه أحد وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى الرفرف هو وجبريل عليه السلام قال أما جبريل فغشى عليه وأما أنا فلم يغش على قال فكان

جبريل

جبريل أعلم منى فلا يدل هذا على الاطلاق أنه أعلم منه بل فى ذلك الشئ بخصوصه فلا يضر السلطان أن يكون الخياط أعلم منه بالخياطة وأما قوله صلى الله عليه وسلم لاتفضلونى على يونس بن متى ولا تفضلونى على موسى فذلك وقع منه صلى الله عليه وسلم فى مقام افتخار كانت اليهود تقول لاأفضل من موسى افتخارا منهم فقال صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام لاتفضلونى على موسى وأما يونس فانه لما وقعت مذاكرة فى موقف ابن دقيق العيد فى التوحيد سألوه ما الدليل على أن الله سبحانه وتعالى لايتحيز فقال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفضلونى على يونس بن متى فقالوا من أين يكون الدليل فى هذا فقال لاأقول لكم حتى تقضوا دين هذا الرجل وهناك رجل عليه دين فكل واحد منهم قضى عنه بعضا من دينه حتى قضوه كله فقال وجه الاستنباط منه أن قوله صلى الله عليه وسلم لاتفضلونى على يونس بن متى أى فى القرب من الله تعالى فان قربى ليلة أسرى بى وأنا فى الافق الاعلى وكنت قاب قوسين أوأدنى كقرب يونس بن متى منه وهو فى بطن الحوت فى قعر البحر ولما كان المقام مقام التحدث بنعمة الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر اه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الزهد فى الدنيا أن تحب مايحب خالقك وأن تبغض مايبغض خالقك وأن تتحرج من حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها فان حلالها حساب وحرامها عقاب وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك وأن تتحرج عن الكلام فيما لايعنيك كما تتحرج من الحرام وان تتحرج من كثرة الاكل كما تتحرج من الميتة التى قد اشتد نتنها وأن تتحرج من حطام الدنيا وزينتها كما تتحرج من النار وان تقصر أملك فى الدنيا فهذا هو الزهد فى

الدنيا (وعنه رضى الله عنه) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ماهولك فهو آتيك على ضعفك وماليس لك فلن تدركه بقوتك وعنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى بنيانا أو غرس غرسا من غير ظلم
ولا اعتداء كان له أجره باقيا ما انتفع به أحد من خلق الله تعالى وعنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امن بى من بات شبعان وجاره الى جنبه
جائع وهو يعلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما قوم بات
فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله وعنه قال قال خالد بن الوليد
رضى الله عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله
انى سائلك عما فى الدنيا والآخرة قال له صلى الله عليه وسلم سل عما
بدا لك قال يانبى الله أحب أن أكون أعلم الناس فقال له صلى الله عليه
وسلم اتق الله تكن أعلم الناس قال أحب أن أكون أغنى الناس قال له
صلى الله عليه وسلم كن قانعا تكن أغنى الناس قال أحب أن أكون خير
الناس قال له صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس فكن نافعا لهم
قال أحب أن أكون أعدل الناس قال له صلى الله عليه وسلم أحب للناس
ما تحب لنفسك تكن أعدل الناس قال أحب أن أكون أخص الناس
قال له صلى الله عليه وسلم أكثر ذكر الله تكن أخص العباد الى الله تعالى
قال أحب أن أكون من المحسنين قال له صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك تكن من المحسنين قال أحب أن يكمل ايمانى
قال له صلى الله عليه وسلم حسن خلقك مع الناس يكمل ايمانك قال أحب
أن أكون من المطيعين قال له صلى الله عليه وسلم أد فرائض الله تكن
مطيعا قال أحب أن ألقى الله نقيا من الذنوب قال له صلى الله عليه وسلم

اغتسل

اغتسل من الجنابة متطهرا تلق الله وما عليك ذنب قال أحب أن أحشر فى
النور قال له صلى الله عليه وسلم لا تظلم أحدا تحشر فى النور يوم القيامة
قال أحب أن يرحمنى الله قال له صلى الله عليه وسلم ارحم نفسك وارحم
خلق الله يرحمك الله قال أحب أن تقل ذنوبى قال له صلى الله عليه وسلم
استغفر الله تقل ذنوبك قال أحب أن يوسع على فى الرزق قال له صلى الله
عليه وسلم دم على الطهارة يوسع عليك فى الرزق قال أحب أن أكون أكرم
الناس قال له صلى الله عليه وسلم لا تشك الله الى الخلق تكن أكرم الناس
قال أحب أن أكون من أحباء الله وأحباء رسوله قال له صلى الله عليه
وسلم أحب ما أحب الله ورسوله وأبغض ما أبغض الله ورسوله تكن من
أحباء الله وأحباء رسوله قال أحب أن أكون آمنا من سخط الله قال له
صلى الله عليه وسلم لا تغضب على أحد تأمن من غضبه وسخطه قال
أحب أن يستر الله عيوبى قال له صلى الله عليه وسلم استر عيوب اخوانك
يستر الله عيوبك قال فما الذى يمحو الخطايا قال له صلى الله عليه وسلم الدموع
والخضوع والامراض قال فأى حسنة أفضل عند الله قال له صلى الله
عليه وسلم حسن الخلق والتواضع والصبر على البلية والرضا بالقضاء قال
فأى سيئة أعظم عند الله قال له صلى الله عليه وسلم سوء الخلق والشح المطاع
قال فما الذى يسكن غضب الرحمن قال له صلى الله عليه وسلم اخفاء الصدقة
وصلة الرحم قال فما يطفئ نار جهنم قال له صلى الله عليه وسلم الصوم اه
(وقال رضى الله عنه) قال سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى بعثنى بالحق بشيرا ونذيرا لتفترقن أمتى على أهل دينها وجماعتها على
اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة تدعو الى النار فاذا كان ذلك فعليكم

بكتاب الله فان فيه نبأ ما قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم والحكم فيه بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاعته النافعة عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه ولا يعوج فيقام ولا يزيغ فيشعب ولا تنقضى عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد هو الذى سمعته الجن فلم تتمه أن ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة الفاخرة ببولاق مصر القاهرة الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى أعانه الله على أداء واجبه الكفائى والعينى)

نحمدك يامن أوردت صفوتك من خلقك موارد علمك فانتهلوا وأفضت عليهم من أسرارك فابتهلوا وباحوا بما ساغ لهم إبداؤه وكتموا ما وجب عليهم إخفاؤه ونصلى ونسلم على نبيك الأكرم ورسولك السيد السند الأعظم سيدنا محمد الذى لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بما كان وما يكون وفتح له كنوز علمه المكنون وعلى آله وأصحابه وارثى علومه المبتهجين من سره بمكتومه ﴿ أما بعد ﴾ فان الله جلت قدرته ما اتخذ من عباده وليا إلا أعلمه وفك له رموز بعض المكنونات وفهمه إلا أن منهم من أذن له فى بعض المعلومات بالاظهار ومنهم من أمره فى

البعض بالاسرار كما قال أبو هريرة رضى الله عنه علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من العلم أما أحدهما فقد بثثته لكم وأما الآخر فلو أظهرته لقطع منى هذا الحلقوم لذلك ألف كثير من العلماء الأولياء الكتب الجمه وترجموا فيها مدة شطحاتهم عن شئ من الأسرار المهمه وفسروا الآيات القرآنية والأخبار النبوية بتفسيرات غريبة على غرابتها موافقة لمشاهدهم ومذاهبهم مصيبة ومن أجل من خفقت على هامتهم أعلام الولاية الامام الذى بلغ من علوم الظاهر والباطن كل غاية وقامت على بلوغه النهاية فى ذلك كل آية مربى المريدين ومرشد السالكين القطب الكبير والعلامة الشهير صاحب العلم النفيس سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه وأرضاه ومن كأس مشاهدته سقاه فأرواه فانه رضى الله عنه أملى كتابه الجليل ذا المنهل العذب السلسبيل مشيد المبانى مهذب المعانى أتى فيه بتفسير بعض الآيات القرآنية بالمعانى العرفانية والجمل المرققة للقلوب التى يبلغ بها القارئ من هدايته المطلوب وهو المسمى (العقد النفيس فى نظم جواهر التدريس) ولما كان هذا الكتاب مرشدا للطلاب انتهض لطبعه رغبة فى عموم نفعه الجناب الأمجد والهمام الأسعد ذو الهمة العلية والأخلاق الحميدة المهذبة المرضية حضرة السيد محمد عبد السلام القصرى المغربى الملقب (إيواظ) التاجر بالغورية بمصر حفظه الله فتم طبعه والحمد لله بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر وبرز يسر الناظرين بجماله ويبهر عقول القارئين بجلاله ❁ فى ظل الحضرة الفخيمة الخديويه وعهد الطلعة المهيبة الداوريه من بلغت به رعيته غاية الأمانى أفندينا المعظم

(عباس باشا حلمى الثانى) أدام الله أيامه ووالى على رعيته إنعامه
ملحوظا هذا الطبع الجميل على هذا الشكل الجليل بنظر من عليه
أخلاقه تثنى حضرة وكيل المطبعة الأميرية محمد بك حسنى
فى أوائل رجب الفرد سنة خمس عشرة بعد ثلثمائة
وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل
وصف صلى الله وسلم عليه وعلى
آله وصحبه وشرّف
وكرّم

(بالقسم الادبى)





(ترجمة الامام العلامة سيدنا السيد أحمد بن ادريس)

هو رضى الله عنه بقية السلف وعمدة الخلف القطب الأوحد والفرد الأمجد الكامل الربانى والغوث الصمدانى واحد زمانه الذى ليس له فى عصره ثانى خاتمة العلماء المحققين الذى تفجرت ينابيع الحكم على لسانه وفاضت عيون الحقائق من خلال جنانه محيي معالم الطريق بعد دروسها ومظهر آيات التوحيد بعد أفول أقمارها وشموسها خلاصة أهل العرفان والمتحقق بمقام الاحسان صاحب العلم والتدريس سيدنا السيد أحمد بن ادريس (١) الحسنى نسبا المغربى بلدا هو من ذرية الامام إدريس بن عبد الله المحض من السادة الادريسية الساكنين بالمغرب وهم أشهر من أن تذكر أخبارهم (ولد رضى الله عنه) بقرية يقال لها ميسور بالقرب من مدينة فاس (ونشأ رضى الله عنه) من صغره مجبولا على الاجتهاد فى كسب العلوم بهمة عرشية ونفس زاكية مرضية فأخذ رضى الله عنه علوم الظاهر عن أكابر أهل عصره وجهابذة وقته حتى صار فى أوان شبابه إماما فى جميع علوم الظاهر (ثم أخذ رضى الله عنه) الطريق عن شيخه العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب التازى وكذلك أخذ عن سيدى أبى القاسم الوزير وغيرهما من أئمة العصر ولم يزل على قدم التجريد حتى اتصل بصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم (قال رضى الله عنه) اجتمعت بالنبى صلى الله عليه وسلم اجتماعا صوريا ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبى صلى الله عليه وسلم الخضر عليه السلام أن يلقننى الأوراد فلقننيها بحضرته صلى الله عليه وسلم (قدم رضى الله

عنه

(١) قوله الحسنى وقع الحسينى فى طرة الكتاب بزيادة الياء وصوابها الحسنى من غير ياء كما هنا فليعلم

عنه) الى مكة فى عام ١٢١٤ فأقام بها ١٤ عاما وصار رضى الله عنه يتكلم فى علوم التفسير والحديث بما يبهر العقول من أنواع العلوم والبلاغة وحسن التعبير (وكان رضى الله عنه) له قوة فكر فى أخذ الدليل من الكتاب والسنة استنباطا وانتزاعا ولم يكن له فى زمانه من يدانيه فى الحفظ وملكة الاستحضار ولما حضر الشيخ أحمد الصاوى الى مكة بقصد الحج أغراه أهل مكة على مسئلة سيدى أحمد واختباره حسدا منهم فلما حضر بين يديه وسأله أجابه رضى الله عنه عن كل ما سأله ثم قال له يا صاوى دع عنك هذا وعجل بالمسير الى المدينة فقد قرب وقتك فودعه وسار فلما وصل الى المدينة المنورة انتقل الى رحمة الله وتعصب عليه علماء مكة وجمعوا له أحاديث موصولة ومقطوعة وضعيفة وصحيحة وخلطوا أسانيدها وجمعوا له مسائل من فنون العلم ليختبروه بها فلما جلسوا بين يديه أجاب كل واحد عن مسئلته ورجع الأسانيد الى الأحاديث وتكلم فى العلم بكلام صحيح يكاد يخرج عن طور العقل تعجز عنه فحول العلماء وقد ذكر فى بعض تراجمه أنه جلس رضى الله عنه ستة مجالس فى ثلاثة أيام كل يوم مجلسين مجلسا بعد صلاة العصر الى المغرب ومجلسا بعد صلاة الصبح الى ما شاء الله من النهار وقد سأله بعض الحاضرين بعد العصر عن قوله تعالى (والذى قدر فهدى) فأتى من علومه وأسراره بما أذعنت له القلوب وابتهجت به الأسماع وأيقنت أنه وحى معنوى ثم عاد الرجل السائل صبيحة تلك الليلة وأعاد السؤال عن تلك الآية فكمل المجلس بنمط آخر أبهى وأبهر وأعلى وأنحر عما مضى ثم جاء الرجل بعد العصر أيضا وقال يا سيدى والذى قدر فهدى فشرع

سؤال

رضى الله عنه بما كان أشد تأثيرا ووقعا فى القلوب بنمط عجيب غيرما تقدم من الأسلوب الغريب ولم يزل الرجل يسأل عن تلك الآية بعينها الى أن أكمل المجالس الستة فى الأيام الثلاثة (ثم قال رضى الله عنه) لو عمرت ولبثت مالبث نوح عليه السلام فى قومه أتكلم على هذه الآية الشريفة فى كل مجلس بشرط أن لا أعيد لكم ماسبق مانفد (وتكلم رضى الله عنه) فى زبيد بحضر علمائها ومفتيها ورجالها اثنى عشر يوما يستغرق أوقاته فى تفسير قوله تعالى إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية من سورة الأحزاب حتى كتبوا تفاسيره وتقاريره وكلامه على الآية فبلغت سبعين كراسا (وصحبه رضى الله عنه) فى بلاد المغرب قبل قدومه مكة خلق كثيرون من الفضلاء والعلماء الأعلام وقد ظهر على يديه هنالك جملة من الكرامات يطول ذكرها وعرفوا فضله ومكانته من العلوم والعرفان وبالجملة فان مناقب هذا الأستاذ لا تحصى ولا يبلغ أمدها ولا تستقصى فانه كان جامعا بين الشريعة والحقيقة له الباع الطويل فى جميع العلوم والشهرة التامة فى علمى القرآن والحديث رواية ودراية كشفا وتحقيقا أذعن بفضله الخاص والعام وأخذ عنه العلماء الأعلام أئمة العصر ❁ فمن أخذ عنه وصحبه العلامة الفاضل الأكمل السيد عبد الرحمن بن سليمان الاهدل مفتى زبيد من أعيان علماء عصره والمتفق على جلالة قدره فى العلم والعمل ومنهم المحدث الفقيه الشهير بالمناقب المأثورة شيخ علماء وقته بالمدينة المنورة الشيخ محمد عابد السندى صاحب الثبت فى الأسانيد المسمى بحصر الشارد فى أسانيد محمد عابد ومنهم علامة وقته من الفضلاء الفحول

الجامع بين علمى المعقول والمنقول العارف بالله تعالى السيد محمد السنوسى مع أنه رضى الله عنه أخذ الطريق عن مشاهير الأولياء بأرض المغرب فى وقته فأخذ عن العارف بالله تعالى سيدى الشيخ العربى الدرقاوى والسيد أبى العباس أحمد التيجانى رضى الله عنهما ولما وصل الى مكة المشرفة أخذ عن سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه وأذعن له الاذعان التام وصحبه ولازمه ودل عليه وشهرة فضله وكماله تغنى عن وصف حاله ومنهم العلامة الفاضل الامام العارف بالله تعالى مربى المريدين ومرشد السالكين الشريف الحسينى سيدنا السيد محمد عثمان الميرغنى المكى ومنهم العارف بالله تعالى سيدى الشيخ محمد المدنى ظافر من أعيان المدينة المنورة ووجوهها رضى الله عنه فانه لما رجع من المغرب كاملا مرشدا مأذونا من شيخه سيدى العربى الدرقاوى رضى الله عنه اجتمع بسيدى أحمد رضى الله عنه بمكة المشرفة وأخذ عنه الطريق وأثنى عليه الثناء الجميل ومنهم الشيخ محمد المجذوب السواكنى من أولياء السودان الشهير فى وقته بين الخلائق بالكشف الصادق والكرامات الخوارق أخذ عنه وصحبه مدة مديدة وآخرهم أخذا العارف بالله تعالى صاحب الكرامات والتأييد الشيخ ابراهيم الرشيد (وله رضى الله عنه) غير من ذكروا من الخلفاء والأتباع مالا يدخل تحت حصر رضى الله عنهم وعنا بهم ❁ وبالجملة فان ماذكرته لك فى هذه المقدمة هو قطرة من بحر زخار فعنه حدث ولا حرج ولا يخفى على من يطالع أحزابه عظم قدره ومكانته ولاسيما هذا الكتاب الذى هو جدير بأن يكتب بماء العيون لما أورد فيه من درر المسائل التى خلت عنها

معظم المؤلفات رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وأعاد علينا وعلى جميع
المسلمين من عظيم بركاته آمين ۞ وكانت وفاته رضى الله تعالى عنه
بأرض اليمن بقرية يقال لها صبيا وذلك فى ليلة السبت ودفن صبيحة
ذلك اليوم يوم ٢١ رجب سنة ١٢٥٣ من هجرة سيد المرسلين
أمطر الله على ضريحه الأنوار وصيب الرحمة والرضوان



